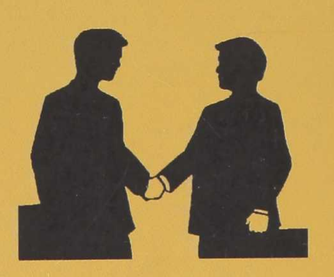
الدكتور عبد الرحمن يحيى الحداد

آداب السلوك في المجتمعات الغربية

« الدليل العملي للسلوك والعلاقات اليومية في المجتمعات الغربية »





آداب السلوك في المجتمعات الغربية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٩٩٥/١/٩٤)

رقم التصنيف : ١٧٧
المؤلف ومن هو في حكمه : **عبد الرحمن يحى الحداد**
عنوان المصنف : **آداب السلوك في المجتمعات الغربية**
رؤوس الموضوعات : ١- الاخلاقيات الاجتماعية
٢ - السلوك
رقم الايداع : (١٩٩٥/١/٩٤)
الملاحظات : مكان النشر : عمان
الناشر : دار الشروق
* - تم إعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الدكتور
عبد الرحمن يحيى الحداد

آداب السلوك
في
المجتمعات الغربية

« الدليل العملي للسلوك والعلاقات اليومية في المجتمعات الغربية »



* الدكتور عبد الرحمن الحداد: آداب السلوك في المجتمعات الغربية
* الطبعة الأولى - الأصدار الأول ١٩٩٥

* الناشر : دار الشروق للنشر والتوزيع
ص.ب ٩٢٦٤٦٣ الرمز البريدي ١١١١٠
هاتف ٦١٨١٩٠/ ٦١٨١٩١/ ٦٢٤٣٢١
فاكس ٦١٠٠٦٥
عمان - الأردن

* التوزيع : المركز العربي للمطبوعات
ص.ب ١٣٦٥٦٨٧
هاتف ٨٦٢٩٩٤
بيروت - لبنان

المقدمة

قواعد السلوك وآدابه هي أكبر مظهر للعقل. وهي التي تعكس ثقافة الإنسان وشخصيته وبيئته. وتستطيع آداب السلوك أن تخفي عيوب الإنسان الجسمية والجسدية، وهي في جميع الأحوال لا تعيق تصرف العقل بحرية وعفوية ولا تشكل أي قيد على مبادراته بل تنظمها وتهذبها.

ويبدو أن أول قاعدة موضوعية لهذه الآداب هي احترام الآخرين واحترام سلوكهم وحياتهم وهي الشرط الأساسي لاكتساب الإنسان احترام الآخرين أيضاً.

وآداب السلوك ليست مجموعة قواعد اجتماعية مصطنعة تفرضها حاجات التطور أو التقاليد أو الموضة، لكنها قواعد تحتمها القيم الإنسانية والروحية، وتستمد جذورها من الأديان السماوية ومن دستور الحقوق والواجبات المتبادلة للضمير الإنساني. وتؤكد لنا الملاحظة أن الإنسان الذي يتحلى بالآداب وبالسلوك الرفيع يكون بسيطا ومتواضعا وطبيعياً، لأنه يسترشد دائماً باللياقة والحس المرهف وسلامة القلب.

ومسألة احترام ذاتية الآخرين وشخصيتهم وحياتهم تقتضي مزيداً من العناية والحيطة والحساسية، فيمكن للإنسان أن يتحدث وأن يتصرف كما يحلو له بصورة طبيعية، ولا يقيده في قوله وفعله إلاّ الإضرار بالآخرين أو المساس بمشاعرهم.

وعليه، فإن معرفة قواعد السلوك في الحضارة الغربية تعني معرفة فن الحياة اليومية وآدابها في ذلك العالم. كما أن مراعاة تلك القواعد هي من أخص واجباتك

ليس فقط لأنك موجود في بلد لا تنتمي إليه ولا تربطك به أي رابطة ثقافية أو دينية أو عرقية أو جغرافية أو لغوية، ولكن لأن سلوكك أيضا يجسد رسالة حضارتك، ووسيلة لتأكيد احترامها واحترامك لدى الآخرين، وقد حثنا الرسول صلى الله عليه وسلم على احترام آداب الأمم كلها حيث قال «إن لكل دين خُلقا، وخُلق الإسلام الحياء»..

وهكذا يجد المسلم الواعي أن الدين يحث على مكارم الأخلاق ويدعوا إلى احترام أخلاق الأمم وآداب الأديان السماوية كلها. فالدعوة للحياء تشمل كل صور السلوك البشري، كما أن احترام آداب الأمم جميعاً واحترام قواعد السلوك للأديان والحضارات الأخرى واجب على كل مسلم وأن كل محاولة للتنصل أو الهروب من هذا الواجب سيسيء إليك ويعرقل تقدمك ويقلل من نجاحك في تحقيق اهدافك العلمية أو التجارية أو السياحية ومهامك الدبلوماسية أو الرسمية.

تذكّر أيضا وأنت في أوروبا أو أمريكا أو اليابان أو في دول أوروبا الشرقية أن هناك فروقاً ضخمة وجسيمة بين ثقافتك وعاداتك وتقاليدك وبين قواعد السلوك في هذه المجتمعات وأنك مهما ارتديت من ملابس الغرب ومهما امتلكت من الدولارات والأموال فإن سلوكك هو مقياس شخصيتك سواء كنت من شمال أفريقيا أو من وادي النيل أو من الشام أو العراق أو من الجزيرة العربية، ففواصل الزمان والمكان بين الحضارتين العربية والغربية هي من الجسامة بحيث لا يمكن تخطيها باقتناء المال والإسراف في الإنفاق وامتلاك المظاهر الخارجية للإنسان المعاصر، بل إن مراعاة السلوك والآداب اليومية هي المحك والمعيار للإنسان المتحضر.

إن فن آداب السلوك هي التي تستطيع أن تخلق الإنسجام وتحقق التناغم بينك وبين الآخرين سواء على المستوى المهني أو خلال لقاء عابر أو أثناء قضاء أجازتك، وبخاصة إذا كنت مضطرا للإقامة الطويلة في دول الغرب بغرض الدراسة أو العمل أو التدرب على مهنة ما.

إنك تعرف أن العادات والتقاليد في مجتمعنا العربي قد نمت خلال قرون من تاريخ حضارتنا، وهي تختلف وتتنوع من بلد إلى بلد ومن منطقة إلى منطقة، وأن مصادر الحضارة الغربية وينابيعها الدينية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية تختلف بدورها اختلافا جوهريا عن حضارتنا. ولذلك فإن قرونا طويلة من تخلفنا وتفوقهم، من رضوخنا وسيطرتهم، من سكوننا وحيويتهم قد جعلتنا نكتفي باقتباس المظاهر السهلة من حضارتهم، فنرتدي ملابسهم ونستخدم أدواتهم المنزلية ونستهلك منتجاتهم حتى توهم البعض منا أننا بهذا قد امتلكنا حضارة الدول المتقدمة، ويا له من وهم كبير!!

أجد من المفيد أن أشير هنا أن الحافز لتقديم هذا الدليل الاجتماعي والنفسي ينبع من النتائج المرة للتنافر والصدام بين سلوك الإنسان العربي وتصرفاته اليومية، وبين سلوك الناس في الدول الغربية. فقد كنت شاهدا على مدى عدة سنوات، أن حالة سوء الفهم لقواعد السلوك في الحضارة الغربية تشكل في أحوال كثيرة، سببا في الفشل الذي يواجهه العربي في أدائه لمهامه العلمية أو التجارية أو الرسمية هناك. وكان سوء الفهم بعادات الغرب وتقاليده سببا في عدم قدرة البعض على تحقيق التكيف المطلوب مع قواعد الحياة الاجتماعية وإدراك الفوارق الرئيسية بين القيم الثقافية والحضارية التي تضبط سلوك الناس وتصرفاتهم في أوروبا الغربية وأمريكا ودول شرق أوروبا أيضا. كما أن الجهل بقواعد السلوك في الغرب هو أحد الأسباب الرئيسية في الاستهجان والسخرية من الإنسان العربي، أضف إلى ذلك تراكمات من الأحقاد الطويلة الناتجة عن الفتوحات الإسلامية في أوروبا ثم الحروب الصليبية التي شكلت بداية الانتقام التاريخي العنيف الذي تمكن فيه الغرب من اخضاع العالم العربي والإسلامي. وفوق هذا، وأخطر من هذا كله، تلك الدعاية الصهيونية التي تحاول استعداء الرأي العام الغربي ضد العرب واستغلال عدم فهمهم للتقاليد وآداب السلوك في الدول الغربية وتصوير سلوكهم بالبربرية والهمجية وخشونة الطباع

والجمود والتخلف.

إن الكتب والدراسات والمقالات الكثيرة التي صدرت وتصدر حتى الآن في أمريكا ودول الغرب، والمكرسة لاتهام الإنسان العربي بالتخلف المزمن، قد اشعلت خلال قرون طويلة نار الأحقاد ضد حضارته وشوهت سمعته وسلوكه. وبسبب ذلك، أصبحت مهمة تصحيح صورة الإنسان العربي مسألة شاقة وطويلة وشاملة وتهمنا جميعا. كما أنها تحتاج لجهود فكرية تستهدف تعزيز الفهم والإدراك بحضارة الغرب وتقاليده وآدابه من جهة وإيقاظ الوعي لدى الإنسان العربي بأهمية الدفاع عن ذاتيته وشخصيته وحضارته وتطوير سلوكه من جهة اخرى.

آمل أن يكون هذا الكتاب خطوة بناءة على هذا الطريق ..

دكتور / عبد الرحمن يحيى الحداد

صنعاء

مارس ١٩٩٥

المحتويات

السلوك والمجتمع

هناك حقيقة لا جدال فيها وهي أن الناس في دول الغرب يتغيرون بسرعة ظروفهم وأوضاعهم وأخلاقهم وسلوكهم تتغير أيضاً. والناس في بلادنا أيضاً يتغيرون، والقيم الاجتماعية والخلقية تتغير أو على الأقل تتعدل من عصر إلى آخر، وعقلية الناس في الغرب لم تعد الآن جزءا من عقلية أجدادهم. وأصبح للوقت ثمن كبير وعنصراً غاليا يُقيم بالمال كما اشتد التنافس بين الناس والجماعات والمؤسسات، وأصبح الكمبيوتر رمزاً لعصر يعني السرعة. وتمكنت الأمهات في المنازل من استخدام الحاسبات المعقدة كما يستخدمها رؤساء المؤسسات وشركات المال والإنتاج الصغيرة والكبيرة وصغرت الدنيا وضاقت مساحة الأرض، وصار المجال الحيوي يقاس بالسنتيمتر المربع، بل إن كل سنتيمتر مربع في المباني والمنشآت أصبح له وظيفة يستغلها الإنسان. وحركة الناس تزداد ازدحاما واستعجالا وملّ الناس الانتظار وارتفع إيقاع الهلع والقلق. وتحكمت في العلاقات بين الاباء والأبناء والأصدقاء والجيران والأقارب والأخوة قواعد شاقة للسلوك. وتغير إطار التسامح في الخروج على آداب المجتمع، وأصبح الانتماء لفئة اجتماعية يعني التقيد بأيدلوجيتها الاجتماعية والخلقية، وصار كل إنسان محتاج لمعرفة آداب السلوك الجديدة وملزم بممارستها. وتعددت مجالات آداب السلوك، وأصبح هناك آداب للسلوك في المصانع ودوائر الدولة الرسمية وهكذا.

– اختلاف السلوك باختلاف الزمان والمكان

تختلف آداب السلوك باختلاف الزمان والمكان فالسلام والتحية مثلا واجبة في كل الحضارات، والإنحناءة اليابانية تعتبر تحية، والمصافحة تحية، والتلويح باليد أو رفعها بطريقة ما تعتبر تحية وسلاما كافيا في الحضارة الغربية. والرسول الأعظم صلى

الله عليه وسلم حثنا على السلام فقال «يا أيها الناس افشوا السلام، واطعموا الطعام، وصلوا الأرحام...».

وعلى هذا الأساس فان إشاعة التحية ونشر السلام في الحضارة الإسلامية هو تعبير عن تعلقنا بالسلام الاجتماعي الذي ينشده البشر جميعا في كل مكان. لكن التحيه لا تكتسب هذا المضمون في الحضارة الغربية، حيث ينبغي أن تقتصر التحية على الناس الذين نعرفهم أو نقابلهم في إطار علاقات العمل أو في المناسبات أو لأي غرض حقيقي، كالسؤال والاستفسار.

وهكذا فإن فارق المكان والزمان والقيم الخلقية تشكل عناصر السلوك الاجتماعي في كل بلد وكل حضارة، وهو تأكيد للحديث النبوي الشريف «إن لكل دين خلقا» وقد طبع المجتمع الأوروبي على احترام الحرية الشخصية وتقديس الحريات الفردية. وهكذا فإن حريات الآخرين تشكل قيودا على سلوك الناس وتصرفاتهم. ويرددون في الدول الغربية أمثلة تقول «لا تعمل مع الآخرين ما لا تريد الآخرون أن يعملوه معك».

وعليه فإن آداب السلوك تعني التقيد بقيم المجتمع وبظروفه، والفرق بين تناول الطعام بالسكين والشوكه أو بأصابع اليد لا تعني أكثر من التقيد بظروف الزمان والمكان في إطار القيم الخلقية المتعارف عليها. والمهم في حديثنا هو التأكيد على أهمية احترام ظروف الزمان والمكان، وأن لا يخلط الإنسان بين القيم الحضارية المختلفة في المكان الذي لم يولد فيه. فلا يأكل بأصابعه أمام الناس في الغرب لأن ذلك يصدم مشاعرهم أو على الأقل يصدم مشاعر بعضهم. وسنؤكد ما سبق أن ما قلناه من أن آداب السلوك يستهدف احترام الآخرين واحترام تقاليدهم وقيمهم وأيديولوجيتهم الاجتماعية. إن الوقوف من مقعدك في الباص أو القطار والتخلي عنه لامرأة حامل أو لشيخ عجوز أو لشخص معاق هو تكريس لاحترام القيم الخلقيه المتفق عليها. وبالمثل، فإن رمي القاذورات أو الأشياء على الأرض هو مظهر من مظاهر الاحتقار والسخرية للعاملين في مجال النظافة في الشوارع وإضرارا بهم. وهكذا فإن كل رفض لقاعدة من قواعد السلوك الاجتماعي تعكس احتقاراً وازدراء

بالمتقيدين بتلك القواعد والأصول. وطالما أن تلك القواعد الاجتماعية هي تعبير عن التطور الاجتماعي وتنبع من اتفاق المجتمع واحترامه لها، فإنها تعتبر دليلا اجتماعيا يستهدف تنظيم المجتمع وتحقيق حياة أفضل.

وهكذا وجب على أولئك الذين يعيشون في المجتمعات الأخرى أن يحترموا تقاليدها وأن يفهموا آدابها وقواعد السلوك فيها، بل وأن يتدربوا على ممارسة ذلك السلوك طالما أنه لا يتناقض مع القواعد الاجتماعية العليا التي يفرضها دينهم أو قوانين بلادهم فذلك مدعاة لعزتهم وكرامتهم.

– البساطة

إذا أردت أن تعرف أسلم قاعدة للسلوك البشري التي تسود حضارة الغرب لوجدت أنها البساطة. إنها السلوك الذي يمنحك القدرة على التعبير عن نفسك وتعريف الأخرين بسجاياك. بالأسلوب البسيط يمكنك أن تعرض الحقيقة بصورة سارة، وتعطي انطباعا جميلا وتوفر على نفسك البحث عن وسيلة معقدة تفرض فيها نفسك أو حاجتك. وستجد أن التحلي بالبساطة هو من الأمور المحببة في كثير من المناسبات. ولكنك لا تستطيع تبني سلوكا بسيطا ومبسطا إلا إذا تخلصت من عقدة الخجل وسيطرته. وحاذر دائما أن تخلط بين مسألة التخلص من الخجل باقتباس أسلوب جاف وفظ، لأنك تكون قد التجأت إلى أسلوب فرض نفسك واستنفار غيظ الآخرين واستغرابهم. علم نفسك البساطة ولكن في إطار الاعتداد بالنفس والثقة بالذات، وحاذر دائما زيغان العيون وانفلات نظراتها وتركزها وخاصة في مجتمع فيه نساء، لأن حركات العيون قادرة دائماً على تشويه سلوكك وتحديد نوعية شخصيتك.

كن صريحا وواضحا وإشاراتك مرنة ومباشرة وعبر عن ذاتك بعيداً عن الخجل المفتعل والحياء المصطنع أو التردد في عرض أفكارك. وكلما كنت صادقا مع نفسك كلما كسبت احترام الآخرين وحبهم.

- التباهي الكاذب «التنفح» :

شاع في الغرب مؤخرا مصطلح قديم من أصل لاتيني وهو كلمة «سناب» وهي اختصار لكلمتين لاتينيتين تعني «بدون نبل». ويشير هذا المصطلح الى محاولات البعض إضفاء سمات النبل والتفاخر المصطنع على أنفسهم والتميز عن عامة الشعب بأسلوب مفتعل ومفضوح. وكان مصطلح «سناب» في القرن التاسع عشر يعني مرض جمع الثروة والمال والظهور بمظهر الثراء. وكان قريبا من المصطلحات الغربية المعروفة «حديثي النعمة» أو «الأثرياء الجدد»، وفي العصر الماضي كان الغنى وكل مظاهر الثروة وامتلاك المال أهم عناصر التميز والتفاخر والتفرد للإنسان في دول الغرب، وقد اتجه الأدباء والفلاسفة والفنانون والروائيون لايقاظ الوعي ضد ظاهرة اعتبار المال كمصدر للمجد والفخر، بل وشنوا حملة احتفار وازدراء ضد تلك الأفكار.

أما الآن فإن «المتنفح» أو المتفاخر والمتباهي لم يعد يسعى إلى اكتساب ميزات مستمدة من المال والثروة مباشرة، لكنه يضفي على تصرفاته سمات معنوية كالتزوق الرفيع في ملابسه وطعامه وطريقة حياته وقضاء إجازاته. ويحاول حصر علاقاته بنوع من الناس المتميزين الذين يريد تقليدهم. ويقتصر دور المال والثروة على تمكينه من تحقيق المظاهر المادية والخارجية للتباهي والتنفح. ومن هنا يتضح أن المظهر المادي للمتباهي والمتنفح لا يكفي لوحده ما لم يتمكن الشخص الراغب في هذا السلوك فعلا من إظهار نوع من الذكاء والذوق والثقافة.

والشيء الواضح الآن أن الإنتماء إلى الطبقة البرجوازية أو إلى عالم المال والأعمال والبيروقراطية لم يعد في دول الغرب مصدراً للتباهي والتبجح والتفاخر، فقد ضمنت الديمقراطية مبادىء العدالة للجميع وتشابكت العلاقات بين الناس وانتشر زواج الأغنياء من الفقراء، والبرجوازيين من الطبقة العامله، والكاثوليك من البروتستانت، بل أن الزواج من الأجنبيات في أوروبا وأمريكا أصبح شيئا مألوفا. كما أن ابن الدبلوماسي يمارس مهنة النجارة، ويقوم أبناء الأغنياء بأعمال فنية وحرفية بسيطة، ولم تعد الملابس التي يرتديها الإنسان والرياضة التي يمارسها والحي الراقي

الذي يسكنه معايير لمعرفة أصالة المرء وانتماءه وأخلاقه. وأصبح العلم والعمل المنتج والجهد الخلاق والمهنة المبدعة هي مصدر الفخار والإعتزاز في تلك المجتمعات. ولذلك فإن الأسلوب الجديد للمتنفحين والمتباهين يتجلى في الظهور بمظهر هذا النوع من الرجال المبدعين، والسعي لإقامة علاقات مع الأدباء والفنانيين والعلماء ورجال السياسة، ومحاولة حضور العروض المسرحية الناجحة، وزيارة أهم المناطق السياحية في العالم. وبالتأكيد فإن التنفح والتفاخر لم يعد مقبولا دون حد معين من الذكاء ودرجة مقبوله من الثقافة، وإلا فإنه سيصبح ضربا من البلاهة والغرور والغباء، وسيواجه هذا السلوك الإزدراء والاحتقار والسخرية من الآخرين.

وهكذا فإن سلوك المتباهين والمتنفحين يضعف أكثر فأكثر في المجتمعات المتقدمة بسبب ارتفاع الوعي الثقافي وضعف الفوارق الاجتماعية بين الناس. وأصبح على المصابين بمرض التفاخر أن يتخلوا عن عاداتهم المكشوفة وأن يعودوا الى سلوكهم الطبيعي، وإذا كان مرض التباهي فيهم قد أصبح مزمنا وغير قابلا للشفاء فإن عليهم أن يتسلحوا بالعلم والمعرفة والمعنويات الرفيعة.

اللغة كمظهر للأدب والسلوك

تطورت اللغات الأوروبية كما تطورت اللغة العربية واللغات الأخرى من أصوات غريبة وغامضة، ثم وصلت إلى درجة الكمال وأصبحت أهم وسيلة للتعبير عن الأفكار والضمير والذاكرة، بل أصبحت اللغة هي الثقافة بمضمونها الشامل. فالتفكير ليس إلا عملية توليف وتنظيم لمجموعة من الكلمات الثرية بالمعاني والقادرة على توصيل الأفكار والتعبير عن احتياجات الإنسان المادية والروحية. والحوار بالكلمات هو الأسلوب الذي نكتشف فيه وجودنا ونربطه بوجود الآخرين وبهذا العالم الواسع من حولنا.

ومن الثابت أن درجة التحضر لكل أمة يرتبط بكفاءة لغتها باعتبارها دليلا على أولوية التقدم الفكري على التطور المادي. ويكفي تأكيدا على أهمية هذه الأولوية أن قادة الامم قد نجحوا في المؤتمرات الدولية بواسطة اللغة والكلمة، أن يوقفوا الحروب ويجمدوا آلياتها الذرية والنووية، وأن يحلوا كثيرا من المعضلات والمشاكل والحروب المدمرة التي عاشت عقودا طويلة من السنين.

وتحتل اللغة يوما بعد يوم مجالا رحبا في آداب الحديث والسلوك. وتظهر الكلمة التي نلفظها بوعي أو بدون وعي حقيقة المرء وطبيعته وثقافته والبيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها. وكما تستطيع الكلمة أن تقود المرء إلى طريق الخير، فإنها يمكن أن تشكل خطرا يمس مستقبله ويغير من ظروف حياته. وهذا يعني أن قواعد صارمة للسيطرة على الكلمة قد تطورت بتطور الإنسان ورافقت تقدمه الاجتماعي والفكري.

وفي مرحلة من مراحل التطور الحضاري يقدم لنا التاريخ أدلة على أن العرب مثلهم مثل الإنجليز والفرنسيين والألمان والإيطاليين كانوا يتحدثون لغات مهذبة،

ويهتمون بالنحو وبتركيب الجمل واختيار المصطلحات. وكان الإتقان اللغوي دليلا على حسن الانتماء الاجتماعي والثقافي. ومع ذلك، فإن استعمال المصطلحات الفخمة والتعبيرات المصطنعة والألفاظ المتكلفة ليس إلا مؤشرا على الفراغ الذهني. فقد فرض التطور أن تكون لغة التخاطب بين الناس هي لغة غير لغة الأدب، بحيث تستطيع أن تكون وسيلة ناجحة للتعبير عن الأفكار والاتصال بين الناس على مختلف مستوياتهم. فاللغة عمل اجتماعي لا يوجد إلا بفضل قيام مجموعة من البشر باستخدامها وتطويرها تدريجيا، والتفاعل معها حتى تصبح تعبيرا عن ثقافتهم وسلوكهم وتشكل بنية تفكيرهم وذهنيتهم، وتستحق عندئذ أن يطلق عليها «لسان القوم». وإذا ماتت اللغة فإن هذا يعني أن حضارة ومجتمعا قد ماتا أيضاً. والأمثلة على ذلك كثيرة كاللغة الفرعونية في مصر واللغة السبئية في اليمن. وهكذا، ولأن اللغة أعظم مظهر من مظاهر الحضارة فإن على الانسان الذي يريد استخدامها للتعبير عن أفكاره أن يجد الكلمة المناسبة والتعبير السليم، وأن يصيغها بصورة واضحة. كما أن العيوب اللغوية قد لا يدركها المتحدث نفسه، ولكن أثرها سيقع على المستمع، فتظهر المستوى الثقافي للمتحدث ومستوى تعليمه ونقط ضعفه والوسط الاجتماعي الذي ينتمي اليه. ومن المسلم به أن أدب الكلام ليس قضية غريزية تلد مع الشخص، بل أنها مسألة تكتسب بالتعلم والمراس والسعي الحثيث لإتقانها. كما أن اللغة المهذبة التي تليق بأدب الحديث ليست لغة الكتب ولا لغة الكتابة. ويكفي أن يكون الإنسان مركزا في كلماته وأن يتحدث ببساطة وبحرية وبطريقة طبيعية وأن يتجنب الكلمات الفضفاضة التي لا يمكن أن تكون بحد ذاتها بديلا عن الأفكار. وتزداد صعوبة المتكلم بإحدى اللغات الأوروبية في حالة الترجمة، أو في الحالة التي سيتحدث بها. وفي الحالة الأولى، لا بد أن تكون أفكاره واضحه غاية الوضوح حتى يتمكن المترجم من نقلها بنفس الوضوح. أما في الحالة الثانية وهي التي سيقوم فيها الشخص بتوصيل أفكاره بإحدى اللغات الأوروبية فإن من الواجب التنبيه إلى أن تلك اللغات غنيه بالتعبيرات والكلمات والمصطلحات وأن على المتحدث بها أن يتجنب الصيغ اللغوية المعقدة وأن يتحدث بحرية وبصورة طبيعية مستخدما الكلمات الصحيحة وقواعد اللغة السليمة.

هذا ويقودنا هذا الموضوع لإلقاء مزيد من العناية والتركيز على موضوع آخر حول «آداب الحديث» للعلاقة الوطيدة بين هذين الموضوعين.

آداب الحديث

الحديث بصوت خافت وتجنب إحداث الضوضاء يعتبر إحدى السمات الواضحة لسلوك الإنسان في الغرب. وعلى العكس من ذلك من الملاحظ أن وجود الكثير من العرب في أي مكان عام، كالمقاهي أو وسائل المواصلات، أو أثناء السير في الشوارع .... الخ غالبا ما يقترن بالضجيج والحديث بصوت عال. ويشاركنا في هذه العادة المؤذية مواطنو إمريكا اللاتينية والأفارقة وبعض الفئات الشعبية في امريكا الشمالية وعدد قليل جداً من الأسيويين. وفي الغرب يعلّم الناس أطفالهم منذ الصغر الحديث بهدوء وبصوت منخفض. ومن المعلوم أن هذا لا يعني أن يبقى الإنسان ساكتا، ولكن المطلوب فقط أن يتحدث بصوت يكفي لإسماع مخاطبه وحده دون غيره.

وآداب الحديث لا تقتصر على هذا، لأن من غير المستحب أن يتحدث الإنسان عن نفسه ولا عن الأخرين بما يسيء إليهم. وليس من اللطف والذكاء تكرار الاستغراب لأمور تبدوا عادية ومألوفة لدى الآخرين. وعند الحديث حاذر أيضا من طرح أسئلة ذات طابع شخصي. حتى تلك الأسئلة المتعلقة بالدخل أو المرتب عند الأوروبيين لا تبدو مستساغة، علما أن الحديث عن الإيراد موضوع عادي لدى الامريكيين. كما أنه ليس من المستحب التطوع بطرح رأي أو تقديم نصح لم يطلب منك تقديمه. وإذا طلب منك ذلك فقدمه بالصورة التي تثق بصحتها وسلامتها حتى لا يكون اعتماد الشخص عليها سببا في جره إلى الخطأ أو الفشل.

وحتى عند المشي أو الانتقال أو التنزه، تجنب أن يحدث مشيك ضجيجاً أو أن تكون هيئتك وحركاتك غير معتدلة. واضبط سلوكك وتصرفاتك، ولا تصرخ ولا تتحدث بصوت عال. وحاول دائما أن تجعل نبرات حديثك متزنة ومؤدبة. وأن لا تقاطع الآخرين عند الحديث، واسمع حديثهم بصبر، لأنك بهذا تستطيع إجبارهم

على الانصات والاستماع إلى حديثك.

لا تحاول أبدا أن تستثير النقاش أو تنجر إلى حدود الغضب. وتأكد أن الحديث عن كل شيء أمر مألوف، وأن كلمات البروليتاريا وصراع الطبقات واستراتيجيات الأحزاب الشيوعية أو المحافظة والحديث عن انتصار النظام الدولي الجديد أو فشله أمور لا تغضب أحدا، وهي كالحديث عن المناخ والشمس والهواء. ولكن حاول أن تمحور أفكارك حول أسس علمية ومنطقية، وابتعد عن التعصب والشطط وتذكر أن الغربيين يحكمون على العرب بالتعصب والمغالاة والتطرف.

وإذا كنت مدعواً إلى اجتماع في منزل، فإن رب البيت عادة هو الذي ينظم النقاش ويختار موضوعاته. وقد تجد نفسك في مكان فيه أشخاص ثقلاً أو معادون للعرب، أو صهاينة، فتذكر أن كسب الآخرين والانتصار في النقاش يعتمد أولا على ثقافتك واطلاعك الكافي في الموضوع الذي يتحدثون فيه، وإلا فمن الأفضل الاستماع والمحافظة على الوقار وعدم الخوض في موضوع لا تعرفه. وبصورة عامه فإن فن النقاش وآدابه يمكن إجمالها فيما يلي:

- أن لا تقاطع المتحدثين.
- أن لا تكون ثرثارا وتعتقد أن الآخرين يستمتعون بكلامك كما تستمتع به أنت.
- أن لا تستأثر بأخذ الحديث ما لم يكن قد وجه إليك سؤالا للرد عليه أو طلب منك إبداء الرأي أو أمامك فرصة للمشاركة بفكرة حسنة.
- أن لا تتحدث عن نفسك.
- أن لا تغرق موضوعا تافها بالتفاصيل والأحداث التي لا تهم الآخرين.
- حاول أن تستمع وأن تصغي بانتباه إلى حديث الآخرين.
- قدم رأيك دون خجل، ولكن بمنطق ودون شطط، وأن لا تقتصر على إطلاق تعبير الموافقة.
- حاول أن تشارك في النقاش وأن تثريه. ويا حبذا لو اضفيت عليه ذرة خفيفة من

الفكاهة والدعابة، ولكن تجنب أن تحوله إلى نكات صاخبة على الطريقة العربية.

- راقب بانتباه معاني الكلمات والمصطلحات التي تستخدمها، وخاصة عند نقاش متعارض.
- تجنب استخدام الكلمات الفضفاضة أو الكلمات من لغات أجنبية عن لغة المناقشة فهي كالكلمات المبتذلة تفسد جو الحديث.
- وأهم من هذا كله، تجنب الحديث في موضوع تجهله وعليك أن تجمع كافة المعلومات والبيانات الحديثة إذا كنت ترغب في الاشتراك في نقاش عن موضوع هام لا تفهمه.
- إذا كان النقاش يدور في موضوع بعيد عن معارفك أو ثقافتك فمن دواعي الأدب أن تنصت، ومن الذكاء أن تحاول الاهتمام به وفهمه، ومن الخطأ الكبير أن تفرض موضوعا جديدا للنقاش، حتى ولو تم ذلك بطريق غير مباشر، لأنك ستحرم الآخرين من متعة الحديث وتثير فيهم الاستياء.

التوازن في الحديث معيار لتوازن الشخصية :

من النادر أن يتمكن المرء من التكهن بما سيقوله الطرف الآخر أثناء المحادثه، ولهذا فمن الواجب الانصات والاستماع الكامل لرأي الآخرين. وستلاحظ أنه مهما كانت مصلحة الشخص في الحديث فإن من قواعد الأدب الانتظار حتى يتم الآخرون حديثهم والامتناع عن مقاطعتهم.

وإذا كان بعض الناس في بلادنا العربية يسمحون لأنفسهم بالتحدث أثناء عرض فيلم في السينما فإن الناس في الدول الغربية والدول الأوروبية خاصة سيمنعونك من الحديث بصوت مسموع، بل ويستنكرون حتى مضغ العلكة إذا أحدث صوتا صغيرا أثناء العرض، والأمر ينطبق أيضا على المسرح. أما في عروض الباليه والأوبرا فحاذر أن تصل إليها أو تحاول الخروج منها أثناء العرض الموسيقى، لأن

أي حركة قد تربك العازفين الموسيقيين المنهمكين في العزف. وفي المطاعم والملاهي وحتى مراقص الشباب تجنب إحداث الضوضاء أو الصراخ أو الحدث بصوت عال. وحاول أن تمنح ضحكتك توازنها وهدوءها وبساطتها، لأنها ستعكس شخصيتك المتوازنة. وإذا كان من عاداتنا نحن العرب إطلاق النكات في مناسبات كثيره، فاعلم أولا أن ما يثير الضحك والسرور لدينا لا يترك نفس الأثر لدى الغربيين، كما أن ما قد يثير الضحك في فرنسا أو ألمانيا لا يحدث نفس النتيجة في سان فرانسيسكو.

حاذر أن تقع في خطأ الاعتقاد أن الثرثرة والكلام الكثير واحتكار الحديث يمكن أن يكون مؤشرا عن ثقافتك وتجاربك، فهذا وضع يثير استنكار الآخرين في مختلف الحضارات. ويخطىء من يعتقد أن السكوت والاستماع لحديث الآخرين هو تقليل من شخصيته، بل على العكس يمكن أن تجعل من استماعك وانتباهك لحديث الآخرين مصدرا لاهتمامهم بك واحترامهم لك.

وعلى أي حال فإن قدرتك على خلق التوازن بين مشاعرك ومقاصدك، وبين إشاراتك وأعمالك، وبين حديثك وتصرفك وسيلة لتعزيز شخصيتك وتأكيد ذاتيتك وإجبار الآخرين على الإصغاء لرأيك.

أما عند إلقاء كلمة خطابية، فينبغي أن لا يكون صوتك عاليا جدا منفرا للمستمع ولا منخفضا جدا لا يسمعه الحاضرون. ينبغي أن يكون الصوت مسموعا بشكل واضح، وأن يكون موضوع حديثك مركزا وأفكارك واضحة ومقتضبة وأهدافك واضحة قدر الإمكان. وعليك أن تتجنب الإطالة أو الإطناب، ويا حبذا لو جعلت كلمتك شاعرية في حدود الاختصار أو أن تتخللها نكتة طريفة لها علاقة مباشرة في الموضوع وإلا فلا داعي لها.

وللسؤال والجواب قواعده الدقيقة. وتدلني ملاحظاتي أن الناس في دول الغرب لا يحبون طرح الأسئلة عليهم، ولا يخفون امتعاضهم من طرح الأسئلة في شئونهم الخاصة. لكن الإنسان وخاصة الأجنبي والقادم من منطقة ثقافية وحضارية مختلفة كالإنسان العربي، سيجد نفسه في ظروف متعددة مضطرا لتوجيه الأسئلة للآخرين، وما دام أن الامر لا غنى عنه، فينبغي أن يكون السؤال مباشراً او بسيطاً

وبدون خشونة. وأثناء الحديث والنقاش الجاري حتى مع أشخاص عاديين، يحسن دائما الاقتصاد في طرح الأسئلة، والاقتصار على الجوانب الهامة أو الرئيسية في الموضوع. وإذا وجهت السؤال فلا بد أن تبدأه بكلمة «سيدي» أو «سيدتي» أو «آنستي»، أما إذا كنت تطرح السؤال على شخص مألوف لديك، أو أصبح في درجة صديق، فإن قواعد رفع الكلفة تقضي بمخاطبته باسمه الأول، وأن تستعمل كلمة «أنت» بدلا من «أنتم». ولحسن الحظ فإن هذه التفرقة قد ألغيت في اللغة الإنجليزية، وتحتل كلمة «من فضلك» أو «لو سمحت» أهمية كبيرة كما في حضارتنا وربما أكثر. ولا تنسى أبدا أن تنهي حديثك بالقول «حسنا ... شكرا سيدي».

أما إذا سئلت فإن الإجابة ينبغي أن تكون محددة ودقيقة، وإذا كنت غير قادرا على الإجابة فينبغي أن تعرب عن أسفك لذلك. وسيكون إعرابك عن أسفك أفضل بكثير من إجابة غير دقيقة أو التضامن مع السائل في البحث عن إجابة قد تعقد من مشكلته. إن قواعد التضامن المألوفة في شرقنا العربي وحب المبادرة لخدمة الغير ومساعدة الآخرين في الوصول إلى أهدافهم تعتبر من القواعد المنسية وخاصة في العواصم والمدن الأوروبية الكبرى، حيث يعتاد الناس على تسيير أمورهم وتأمين تنقلاتهم بناء على خرائط ووثائق دقيقة. وقد تبدو لنا للوهلة الأولى معقدة، لكنها بالنسبة للأوروبيين سهلة ويطبقونها من بلد إلى آخر ويفهمونها بالتدريب والممارسة منذ الطفولة. وبسبب آلية الحياة في الغرب فإن الإنسان الغربي في العواصم والمدن الكبرى قلما يحيط علما بتفاصيل منطقته، ولذا فإنه عندما يرد على سؤالك بسرعة «لا أعرف»، فإنه لا ينبغي أن تفسر هذا الموقف بأنه عدائي، لكنها الحقيقة العظيمة لأدابهم وواحدة من فضائل حضارتهم، لأن أي شخص لا يرشدك إلا إذا عرف، وتقتصر إجابته على حدود معرفته.

الحديث باللغات الأجنبية:

من المألوف جدا لأي عربي أن يتكلم اللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية أو الإسبانية أو الروسية أو اليابانية بلكنة واضحة. ولهذا فإن الحاجة ماسة عند الكلام أو

في المقابلات الهامة أن ترتب ثروتك اللغوية، وأن تفتش عما لديك من مصطلحات مفيدة ومرتبطة بموضوع الحديث الذي تريد أن تعالجه. وليس من قبيل التسرع أن اطمأنك بأن متحدثي اللغة العربية في الأصل، بما فيها من ثروة زاخرة في أحرفها وتركيبها وبنيتها هم من أكثر الشعوب قدرة على التكيف مع نبرات اللغات الأوروبية. ولكن هذا التكيف يحتاج إلى جهد ودراسة ولا علاقة له بالوراثة. ولكي تطمئن على وضعك، يكفي أن تسمع الفرنسي وهو يتكلم الإنجليزية والإنجليزي وهو يتكلم الفرنسية لتعرف أيضا أن العربي قد يكون محظوظاً في سيطرته على نبرات اللغات الأجنبية ونطقها أكثر من غيره.

لكن المهم هو تجنب الكلام المعيب، والبناء اللغوي الخاطىء، والكلمات الثقيلة قدر الإمكان. وفي الحضارة الغربية لا يحبون التظاهر بالزهد والصلاح والتقوى، والحديث عن الأديان له أوقاته وأماكنه المحددة التي لا تختلط بغيرها، وأي ادعاء أو خروج عليه يعتبر جرحاً للمعتقدات وخروجاً عن مقتضيات الذوق واللياقة..

يقول المثل العربي «إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب» وهذه القاعدة يعرفها الغربيون معرفة جيدة ويتقنون تطبيقها. لأن الكلام عندهم فن، والسكوت فن أيضا. وفي اعتقادي أنه لا توجد قاعدة لأدب الحديث وأدب السكوت أعظم من هذا المثال العربي، ولم أجد كتابا يعلم الناس متى وكيف يتكلمون ومتى وأين ينصتون، لأن القضية قضية لباقة وكياسة وإحساس يتحكم فيه القلب والعقل.

لقد شاهدت في حياتي كثيرا من الناس لا يستطيعون التوقف عن الكلام في كل موضوع وفن. وبقدر ما يتكلمون يخطئون، ويصبحون كالحنفية المكسورة التي لا يمكن إصلاحها، ويزعجك دائما خرير مياهها وتحرمك راحة الهدوء والتفكير والتأمل.

إدارة الحديث :

ما من شك أنك تستطيع أن تحكم على شخصية الإنسان ومستوى تعليمه وثقافته وأسلوب حياته والوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه من حديثه ومن نبرات صوته. وفي مجتمعنا العربي هناك من يتحدثون بلغة المثقفين وآخرون لا يتخلون عن لهجاتهم المحلية، وبين هذه وتلك عشرات اللهجات، وكذلك الحال في الحضارة الغربية. وعليه فمن الأفضل دائما تجنب استخدام الكلمات والمصطلحات الخاصة بفئات اجتماعية معينة، كالمصطلحات التي يستخدمها البحارة أو الجنود أو المتسكعون، لأنها غالبا ما تحمل مدلولات يقتصر استعمالها على تلك الفئات الاجتماعية، وفي حالات خاصة، ومن الأسلم استخدام اللغة الصحيحة والسهلة، إلا إذا كنت ضليعا وتعرف تاريخ وأسرار اللغة التي تتحدث بها، عندئذ لا شك أنك تعرف الكلمات الثقيلة التي يجب تجنبها، وتستطيع أن تختار الكلمات والمصطلحات التي تقبلها اللحظة والمكان الذي تتحدث فيه.

الحديث بسهولة وبشكل صحيح مع مجموعة من الناس بلغة أجنبية، ليس من الأمور السهلة، ولذا فمن المفيد جدا التدرب على قيادة المحادثة، والبدء بممارستها مع مجموعة من المتحدثين باللغة العربية وتسجيل الملاحظات. سيكتشف المرء أن هناك فروقاً كبيرة وأن إدارة النقاش فن يزداد تعقيدا بزيادة عدد المشتركين فيه، وأن الأكثر ثقافة واطلاعا هو الأكثر قدرة على إدارة النقاش.

وهناك حالات لا تستطيع فيها أن تطلق لحديثك العنان فتقول ما شئت، وخاصة عندما تكون في اجتماع يضم أفكارا متنوعة وأعمارا مختلفة، فاختيار موضوع الحديث في هذه الحالة ينبغي أن يناسب مختلف الأذواق، ولا داعي أبدا للحديث في موضوع متخصص لا يلم به الحاضرون. وحاذر دائما أن تجد مثل هذه المناسبة لاستعراض مزاياك وتلميع شخصيتك. ولا تقتصر هذه القاعدة على حضارة أو مجتمع بعينه، فهي من آداب كل المجتمعات. لكن الإنسان الشرقي قد يشاركك بعض آلامك إذا حدثته عن مشاكلك ومتاعبك الخاصة، أما الإنسان الغربي فسيطلب منك صراحة أن تعرض متاعبك على والديك أو على زوجتك أو أبنائك الكبار.

ويحافظ الإنسان الغربي في حديثه معك على قسط واضح من الدقة والمنطق، وسيصغي إلى حديثك بعناية إذا كان ينطوي على مضامين فكرية جديدة ومختلفة. وقد قرأت ذات مرة استبياناً دقيقاً نشرته إحدى الصحف الفرنسية ويتعلق باتجاهات المرأة فيما يخص موضوعات الحديث، ويبدو من نتائجه أن أغلبية النساء يفضلن الحديث المتجزء أي غير المتعمق، ويكرهن الدخول في التفاصيل الدقيقة. ولا يتحدثن عن أسرار حياتهن العاطفية، ولا يحببن الحديث عن الأمراض ولا الحديث الطويل عن الأطفال ولا المصاعب الوظيفية.

وأخيرا فإن الحديث مع امراة بالنسبة للشرقي العربي بصفة خاصة، هو المعضلة الكبرى، وكم قابلت من أشخاص يهتزون وينفعلون ويتكلفون وأحيانا يضعون الخطط من أجل الحديث مع امرأة. وهذا أمر طبيعي، وبخاصة أننا في معظم الأحيان قادمون من مناطق لم نتحدث فيها إلا مع أمهاتنا وأخواتنا وعماتنا وخالاتنا، ولم نشاهد فيها بنات الجيران إلا خلسة ومن بعيد. وإزاء وضع نفسي كهذا فلا محالة من الارتباك والتهيب عند الحديث مع عنصر نسائي. ومع هذا، فإن الأمر ليس بهذه الدرجة من التعقيد، لأن قاعدته المثلى هي البساطة. وستجد نفسك مضطرا للحديث مع المرأة في الغرب، لأنها تشارك الرجل جميع أعماله ومواقعه. فإذا أردت الحديث مع امرأة، أنسى أولا أنك تتحدث مع جنس آخر، عاملها وتصرف معها في الحديث كما تتصرف مع الرجل. وإذا استطعت أن تحقق هذا الأسلوب، تكون قد تخلصت من عقدة الإنسان الشرقي واقتربت كثيرا من نفسية الإنسان الغربي الذي لا يجد فرقاً كبيراً بين إنسان وإنسانة ورجل وامرأة إلا باختلافات عضوية محدودة. ومنذ القرن السادس عشر قال ملك أسبانيا فليب الثاني لأحد أصدقائه «يعتقد البعض بأنه لا يمكن الحديث مع امرأة إلا عن اللطف المتكلف، ومن أجل هذا فإنهم يترددون في التحدث معها» والحقيقة على العكس تماما إذ ينبغي الحديث مع المرآة كما تتحدث مع الرجل: كيف حالك؟ أريد أن أكمل أعمالي، أحب أن أسافر اليوم إلى لندن، سأبدأ امتحاناتي غدا... إن طقس اليوم يعجبني، فالشمس ساطعة.. هل تعجبك هذه الأكلة... هل كانت إجازتك في مصر ممتعة؟ وبأشياء مماثلة ترتبط بأهدافك في الحديث معها.

وكن متأكدا أنك قد تسيىء إلى نفسك إذا أعلنت لها حبك، أو استعجلت في

إعلان مشاعر الود نحوها. وتجنب دائما أن تحظى بمركز الفارس بالنسبة لها، فهذه مسألة لها قواعدها، ولا تتم إلا بالثقة والتدريج، وخلافا لأصولها ينبغي أن تنتظر الزجر والمواجهة. وتذكر دائما، أن الحديث مع امرأة في الشارع أو في أي مكان عام ودون هدف أو مبرر، وممارسة تلك العادة الرذيلة التي تعرفها بعض المدن العربية وهي (المعاكسة) ليست في آداب الغرب إلا صورة صارخة للاعتداء على حرية الإنسان وقد تكون عواقبها وخيمة.

آداب التدخين

إذا كنت من أولئك الذين لا يدخنون، فطوبى وألف طوبى لك، ويكفيك في هذه اللحظة أنك تستطيع أن تستغني عن قراءة هذا الفصل. ومع ذلك فستجد في قراءته شيئاً من المتعة أو المعرفة – آمل ذلك. أما إذا كنت من المدخنين، فعزائي الكبير أن تتقيد بآداب التدخين، ليس فقط في دول الغرب وبخاصة الدول الإسكندنافيه التي سنت قواعد تحد من التدخين في جميع الأماكن العامة بما في ذلك مطاعم الهمبرجر، بل وأن تتجنب قدر الإمكان أن يصل دخان سيجارتك إلى الآخرين. وبشكل عام ينبغي أن تراعي مجموعة الأحكام التي تخفف من آثار التدخين ليس فقط عند وجودك في الغرب بل وفي بلدك وقريتك وبيتك.

أحب أن أشير إلى أن دول الغرب كانت السباقة في محاربة التدخين، واتخذت عدة إجراءات فعالة لضمان المحافظة على صحة المواطن، فمنعت الإعلان والترويج لتجارة الدخان بكل صوره المباشرة وغير المباشرة، وتفرض السلطات العامة في الغرب ضرائب على الدخان تتضاعف عاما بعد عام. وشنت وسائل الإعلام المختلفة وبخاصة التليفزيون حملات مركزة لكشف مخاطر التدخين، وشرعت قواعد قانونية يتسم تطبيقها بالصرامة والشدة. فحاذر أولا أن تشعل سيجارتك أو غليونك في الأماكن العامة الأتية:–

– أماكن العبادة، كالمسجد والكنيسة وجميع المعابد الدينية على اختلافها.

– التدخين في صالات المسارح والسينما والأوبرا غير مسموح به إطلاقا. ويمكن أن تتصور أن بعض دور السينما والمسارح لم تشعر بالحاجة لتخصيص صالة خارجية للتدخين حتى لا تتيح فرصة للدخول والخروج أثناء العرض وإحداث الضوضاء والإزعاج للمشاهدين. ولكن هذه قاعدة إستثنائية لأنه غالبا ما تخصص صالة للتدخين وتناول المرطبات.

– التدخين غير متسامح فيه أبدا في وسائل النقل المدنية كالباصات والمترو

والتكسيات، ما عدا القطارات المخصصة للنقل للأماكن البعيدة. ومع ذلك ففي القطارات كما في الطائرات ينبغي أن تعلن عن رغبتك في البقاء في مقطورة في القطار مسموح فيها التدخين، أو في جانب من الطائرة المخصصة للمدخنين.

وسيكون من اللطف واللياقة أن تستأذن الآخرين وخاصة النساء قبل أن تشعل سيجارتك أو غليونك. ولا مانع أن يتم الاستئذان حتى بالإشارة أو التلميح أو باستخدام كلمة واحدة. وسيكسبك هذا الاستئذان احترام الآخرين. ومع ذلك ينبغي أن تتذكر أن الغليون والسيجارة غالبا ما تسبب المضايقات للآخرين وخاصة النساء إذا تم التدخين في مكان مقفول. ويمكن أن تخفف من رائحة السيجارة والغليون بالتدخين في الممرات خارج المقطورات أو حتى بالوقوف في مكان منزو وبعيد.

– في المستشفيات والعيادات التدخين غالبا ممنوع، أما في غرف المرضى فغير متسامح فيه أبداً.

– تجنب التدخين في كثير من الأماكن العامة وخاصة المتاجر والمحلات التجارية وجراشات السيارات وفي محطات البنزين، أما في غرف الأطفال الصغار أو الاقتراب منهم أثناء التدخين فهو من الأمور التي تدفع الآخرين إلى استهجان سلوكك وتصرفاتك.

– إذا كنت من أولئك الذين يرتادون المراقص فما من شك أنك تعرف أنه من الغريب جدا التدخين أثناء الرقص. وأن مثل هذا التصرف يعطي الحق للمشرفين على النظام في هذه المراقص بإخراجك من المرقص كلية.

القواعد الصارمة للسيجارة:

– هناك طريقة مألوفة ووقورة لتناول السيجارة وذلك بوضعها بين أصبعي السبابه والوسطى، وهناك بعض الشبان الذين يمسكون السيجارة بالإبهام والسبابة، ويبدوا أن هذه الطريقة فيها بعض التصنع. وكانت مقبولة في بعض أفلام الشباب الأمريكية في الخمسينات، لكنها لم تعد جذابة ولا مقبولة الآن وخاصة بين كبار

السن من المدخنين.

– يفضل الغربيون الذين يستخدمون مشارب السيجارة أن يختارو مشاربهم بما ينسجم وأذواقهم ومظهرهم وملابسهم، ولا شك أن هذا يمثل المقتضيات المتشددة، ويكفي أن يكون المشرب جميلا وأنيقا.

– لكن الأمر المهم هو أن تراقب اتجاه دخانك، وحاول قدر الإمكان أن لا يضايق الآخرين.

– وعندما تطفىء سيجارتك تأكد أنك قد أطفأتها تماما بحيث لم يعد يتصاعد منها أثر للدخان.

– لا يستحب أبدا توليع سيجارة بواسطة سيجارة شخص آخر، بل ينبغي البحث عن ولاعة أو كبريت لتوليع سيجارتك أو سيجارة الغير.

– الطفاية هي المكان الوحيد المخصص لإطفاء السيجارة، فلا تطفئها في طبق أو كأس أو على الموكيت أو في أواني الزهور أو أواني أشجار الزينة، كما أن الإصرار على طلب الطفاية أفضل من إطفاء السيجارة في أي أناء.

– عند استقبالك للآخرين ضع سيجارتك، أو سيجارك أو غليونك على الطفاية، وبادر لاستقبال الآخرين بأيد خالية من الدخان.

– لا تولع سيجارتك قبل البحث عن الطفاية، سواء أكنت في مطعم أو في بيتك، ولا تضطر للتخلص من الرماد في طبق أو أي إناء قريب منك وغير معد لذلك.

– كل الحركات والإيماءات والإشارات مكملة للغتك وثقافتك وبالتالي فإنها تحدد ملامح شخصيتك. وهناك أشخاص يدخنون عشرات السجائر أو بصفة متواصلة ولكن دون أن يدرك أحد وقوعهم تحت سيطرة هذه العادة الضارة. وهناك أشخاص يدخنون أربع أو خمس سجاير أو اكثر قليلا، لكنهم يؤذون الأشخاص المحيطون بهم بسبب عجزهم عن المحافظة على قواعد التدخين وإضفاء مظاهر الأناقة عليه.

– إذا قدمت لأحد سيجارة فاخرج جزءها الأعلى من العلبة، ويمكنك في

اسبانيا ودول أمريكا اللاتينية أن تأخذ سيجارة من علبتك وتقديمها بيدك بدلا من تقديمها وهي لا تزال في العلبة. وتشكل هذه الحركة تعبيراً أخوياً أصدق، لأنها تعني أنك قدمت ما لديك بصورة تعني التكريم والألفة. أما في الدول الأوروبية، فمن المستحسن أن تخرج الجزء الأعلى من السجاير وتمنح ضيفك مزية حرية الاختيار.

وإذا قدم لك شخص سيجارة وقبلتها، فمن الأصول أن تستخدمها في حينه، وأن لا تحفظها في جيبك أو في علبة سجائرك. وتوليع سيجارة الآخرين لها قواعد أدبية متعارف عليها لدى الغربيين، فإذا كانوا في وسط فيه رجال ونساء فإنهم يبدأون بتوليع السجاير للسيدات، وهذه الأولوية تكاد تكون تلقائية وأوتوماتيكية في جميع الأمور، والخروج عليها يثير استغراب الآخرين. وينبغي الحيطة الكاملة عند توليع سيجارة الآخرين بحيث لا تحرق النار فم الشخص الذي تولع سيجارته أو شعره أو أنفه.

وليس من الغريب في المجتمعات المتقدمة أن تصادف بعض الأشخاص يرفضون استخدام عود ثقاب واحد لتوليع أكثر من سيجارة واحدة، ويستند هذا السلوك إلى بعض الخرافات التي قد يطول تفسيرها هنا. ولذا فإنه من المستحسن أن تضحي بعدة أعواد إضافية من الثقاب أو إيقاد الولاعة وإطفاءها في كل مره تولع فيها سيجارة لشخص آخر، وستجنب نفسك الوقوع في الضيق.

والغربيون حساسون جدا لقواعد التدخين عندما يتحدثون إلى السيدات، فهم يمتنعون عن ذلك تماما، إلا اذا كانت السيدة أو السيدات الموجودات في نفس المكان قد بدأن هن التدخين فعلا أو قبلن عرضك لهن تدخين السجاير. وكثير من الناس يطفئون سيجاراتهم إذا اقتربت منهم إحدى السيدات أو على الأقل يحتفظ بها في يده وهو متحفظ ويمتنع عن التدخين إلا إذا سمحت له هي بذلك.

وبالطبع فإن هناك سيدات يدرن مقاهي ويعملن في المطاعم والحانات والمراقص وحفلات الكوكتيل والصالونات، وفي مثل هذه الأماكن العامة خذ راحتك ودخن سيجارتك وراعي فقط من هم حولك من رجال أو نساء طبقا للقواعد التي تحدثنا عنها. ومع ذلك فإن هذه القواعد متسامح فيها بين الشبان إلى حد

كبير.

وإذا دعيت إلى منزل سواء للزيارة أو لتناول الغداء أو العشاء، فمن الأصوب أن لا تستعجل البحث عن الطفاية أو الإستئذان في التدخين، بل من الأفضل انتظار رب المنزل أو سيدته لتقديم السجاير إليك. وسأكرر ملاحظة سابقة وهي أن الغربيين يعيشون عصرا من اليقظة الصحية، وتلعب جمعيات المحافظة على البيئة دورا كبيرا في توعية المواطنين بأضرار التلوث بصفة عامة، وبأخطار السجاير بصفة خاصة. وتحتل قضايا حماية البيئة موقعا هاما في برامج الأحزاب السياسية. وعلى أي حال، وفي حدود الحديث عن التدخين، إذا دعيت إلى مناسبة في أحد المنازل وقدم لك الدخان فراعي من هم بجوارك من غير المدخنين ولا تفسد جو الغرفة بالدخان.

– السيجارة والغليون :

ربما يستغرب بعض القراء مجموعة القواعد التي استعرضناها والتي تقيد حرية التدخين وتقننها الى هذه الدرجة. وقد يشاركهم هذا الاستغراب حتى بعض اولئك الذين زاروا أوروبا وامريكا أو عاشوا فيها فترات طويلة نسبيا، وأتيحت لهم الفرصة الكافية للمراقبة والملاحظة.

ومع ذلك فإن هناك أنظمة أكثر صرامة فيما يتعلق بتدخين السيجار والبايب. وفي فرنسا، بلاد البايب، يمارس الناس بالنسبة له حرية أقل من تلك التي يتمتع بها مدخنوا البايب في الدول الانجلوسكسونية. وللسيجار فن يتقنه العارفون به. ويعتبر الإسبانيون وأبناء أمريكا اللاتينيه من أكثر الشعوب استهلاكا له حتى عهد قريب. ولا تزال كوبا تتمتع بأحسن مركز عالمي لإنتاج السيجار. وهناك مصادر تفيد أن الغزاة الإسبانيين قد ورثوه عن الهنود الحمر أثناء فتح أمريكا.

والعارفون بفن تدخين السيجار يتبعون قواعد دقيقة لتدخينه. وستلاحظ أنهم يضغطونه بنعومة بين أصابعهم، ثم ينزعون الشريط الورقي الذي يحفظه. ثم يقطعون طرفه المستدير بمقص خاص أو بسكينة من الفضة يحملها الهاوي دائما في جيبه. ولا

ينبغي أبدا قطع هذا الطرف بالأسنان.

والسيجار لا يشتعل بسرعة، كما أن استهلاكه قليل أيضا. وعند إشعاله يستحسن استخدام الكبريت وليس الولاعات الغازية. ومن الطريف أن تقتضي العادة الاحتفاظ برماد السيجار مكوما على طرفه المشتعل أطول مدة ممكنة، وأن يتم التخلص من الرماد بهزه بلطفٌ على الطفاية عندما يوشك على السقوط. والسيجار بعكس البايب، عندما ينطفىء ليس من اللياقة إعادة إشعاله.

وعشاق السيجار يعتبرون كل خروج على آدابه ضربا من الهمجية. ويقدم سيجار هافانا بعلب جميلة من أجود الخشب المطرز ومفروش بأوراق التبغ الذي تفوح منه رائحة التبغ الخام. ومن الملاحظ أن الفرنسيين لا يدخنون السيجار إلا نادرا ويقتصر ذلك على الأماكن الخاصة وعلى نوع صغير جدا من السيجار. وعلى العكس من ذلك سكان اسكندنافيا وبخاصة الدنمارك، حيث يشاهد المرء حتى السيدات وهن يضعن السيجار الضخم في أفواههن.

من الأفضل الآن عدم الانسياق في الحديث عن الجوانب المتعلقة باستعمال السيجار، وينبغي التأكيد مجددا وبسرعة على الاقتصار على تدخينه في الأماكن الخاصة أو الأماكن العامة المفتوحة للهواء والامتناع عن تدخينه في وسائل الانتقال. وربما سمع البعض بقضية تأخر إقلاع طائرة خطوط النقل العالمية «ترانس ورلد إير لاينز» التي أقلعت في رحلتها من أثينا عاصمة اليونان متجهة إلى نيويورك في ١٩٨٥/١٢/١ وكان على متنها شخص رفض الامتناع عن تدخين السيجار، الأمر الذي أدى بقائد الطائرة إلى طلب الهبوط في مطار هيثرو بلندن وعدم مواصلة رحلته إلى نيويورك إلا بعد توقف دام ١٤ ساعة، حيث سلم هذا الشخص لشرطة المطار ونام في مخفرهم، وفي الصباح اقتيد إلى المحكمة لمحاكمته بتهمة الاضرار بالمصلحة العامة.

أما الغليون فله عشاقه وأنصاره الذين لا يستطيعون فراقه. وهناك بعض المغرمين الذين يجمعون منه العشرات ويرتبونه في دواليب جميلة وبعناية فائقة. والبايب في حد ذاته موضوع مزاج خاص. وبعض المولعين به يشترطون نوع الخشب المصنوع

منه ورائحته ويسألون حتى عن الأرض التي نمى فيها. ويجربونه بحذر وعنايه، وكل شخص له تبغه الخاص، فهناك الرمادي والبني والأشقر والمخلوط والفلندر والفرجينيا، وكل مولع يختار نوع التبغ الذي يعجبه ويعرف بدقه أنواعه وجنسه وألوانه.

قال لي أحد الأصدقاء: غليوني هذا هو أعز صديق لي لأني لا أفارقه أبدا وأعتني به ويأخذ كل اهتمامي، وأشعله عشرات المرات عندما ينطفىء. يصاحبني في فسحاتي ونزهاتي في المدينة والريف، أثناء القراءة أو العمل. أرجع إليه عند السكون أو عند سماعي الموسيقى ووقت الراحة.

على أي حال ستجد بعض المغرمين يصفونه شعرا ونثرا. ومع ذلك وفي كل مره تضعه في طرف فمك، تذكر دائماً أن رائحته القوية التي تعتبر متعة كبيرة بالنسبة لك قد تكون مصدرا لإفساد الجو على الآخرين الموجودين معك في نفس المكان. ومن مقتضيات الحضارة والثقافة الأوروبية التحفظ في تدخين الغليون في مكان مقفول. ولا مانع من استعماله في أي مكان مفتوح على الهواء الطلق أو في منزلك أو غرفتك أو مكتبك.

والغليون له مكانته الممتازة كالسيجار في الدول الإسكندنافية. وتصادف له أحيانا عشاق من بين الشباب، ومن المألوف أن ترى بعض الفتيات أو الفتيان يستعملون أنواعاً صغيرة منه وخاصة في آيسلندا. وله نفس المكانة في مناطق التيبت حيث يستخدمون أنواعا صغيرة من الغليونات المصنوعة من الفخار الأبيض أو من الفخار الصيني أو من الكهرمان، لكنه من النادر الآن باستثناء اسكندنافيا أن تشاهد النساء وهن يدخن الغليون في الأماكن العامة. وعلى أي حال فإن المغرمين بالسيجار وخاصة في إسكندنافيا يراعون القواعد المستقرة لاستعماله والتي تقتضي تجنب تدخينه في الحالات الاتيه:

– في كل الأماكن العامة غير المفتوحة للهواء بصورة عامة.

– كل وسائل المواصلات وخاصة التكسيات.

- في المطاعم حتى مطاعم الشباب ومطاعم الهمبرجر.

- في المصاعد «الأسنسير».

- في الأماكن المخصصة للعروض الفنية أو الترفيهية أو للموسيقى أو الباليه والأوبرا والمسرح والسينما.

- في السيارة الخاصة إذا كان أحد بصحبتك.

آداب المنزل

يقول المثل الإنجليزي « بيتي قلعتي ، بارك الله فيه» وقد غدا هذا الشعار عقيدة وحكمة ليس فقط في الدول الأنجلو سكسونية بل وفي الغرب واليابان وكل الدول الصناعية. ويبدوا أن الخطط الجارية لحضارة القرن الواحد والعشرين في الدول المتقدمة تميل إلى أن يصبح المسكن والبيت قلعة فعلا. ومزوداً بكل وسائل الراحة والتسلية، وسيمكنك الكمبيوتر المنزلي من توفير كل طلباتك ورغباتك المختلفة وسينظم أعمالك الخاصة وجزءاً من أعمالك ومواعيدك وكافة أفراد أسرتك.

ومع ذلك فإن الاستغراق في أسباب ودوافع هذا المشروع ليس ما يخصنا الآن. لكنه فقط يعكس الأهمية الخاصة للمنزل والمسكن في نظر الإنسان والذي يعتبر دون شك أحد مظاهر شخصيته ومرآة لذوقه ومزاجه الداخلي ومكان راحته واقامته ومخزن ممتلكاته وخصوصياته.

وكما هي الحال في المنزل العربي، هناك القصور والفيلات والشقق البسيطة ومنازل الفقراء والمنزل الريفي. وهناك الأسرة التي تعتني بمظهر مسكنها إلى أقصى حد، وهناك من يقدم عناية أقل. وإذا كان المنزل يعكس أيضاً الحالة المالية للشخص إلا أن التنظيم الداخلي يختلف من فئة إلى أخرى ومن منزل ومن شقة إلى أخرى بغض النظر عن الفقر والغنى. ومع ذلك فشتان بين المنزل العربي والمنزل الأوروبي، من حيث التنظيم ومن ناحية مجموعة الالتزامات الأدبية والخلقية التي تنظم حياة الجماعة أو الأسرة داخل المنزل وطريقة استقبال ضيف فيه. وسنركز بصورة خاصة حول تقاليد الضيافة والاستقبال، وسنحاول أن نجدول مجموعة القيم والمؤشرات الأدبية التي ينبغي مراعاتها.

وهناك ملاحظة سريعة وهي أننا لن نحاول أن نقارن بين المنزل العربي والمنزل الغربي فيما يتعلق بمفهوم الذاتية الثقافية والبعد التراثي لفن المعمار او تصاميم الديكور أو طريقة تنظيم المنزل داخليا، لأن كل منزل هو عبارة عن نتاج لحضارة قديمة وخلاصة لتجارب كل

أمة عبر مراحل تاريخية طويلة. لكن ينبغي الاعتراف بأن عصر التنمية التي دخلته الدول العربية وزيادة إيرادات الدولة من جهة ودخول الأفراد من جهة ثانية وخاصة في الدول البترولية قد عرّض المنزل العربي لغزو جارف للأدوات الاستهلاكية من الدول الصناعية، ابتداء بالأثاث وأجهزة التبريد وأدوات المطبخ حتى أجهزة التليفزيون وأجهزة الاستقبال المباشر من الأقمار الصناعية والفيديو ... الخ ولأنها قد وصلت إلينا كخلاصة لتطور علمي وتقني وتكنولوجي لحضارات أخرى، فإنها قد عكست تفوق تلك الحضارة وضاعفت من إحساسنا بعقدة التخلف التي تطاردنا يوميا. لأنها قد سيطرت على حياتنا وأصبحت جزءا منها، ولا نملك الضمانة العلمية والاقتصادية لإنتاجها وتعميمها والاستفادة من مزاياها جيلا بعد جيل. هذا بالإضافة إلى أن المنزل العربي في كثير من الحالات لم يثبت تكيفا اجتماعياً وأدبياً مع ذلك الركام من الآلات والأجهزة الاليكترونية، وأصبح الراديو والمسجلة والتليفزيون والفيديو مصدراً للإزعاج والفوضى، وسببا مباشرا لإحداث انفجار في نظام القيم الخلقية والثقافية ومضاعفة حد انشطار البنى الاجتماعية وتجسيم الفوارق الأدبية بين الناس.

حتى القصور والفيلات التي شيدها أغنياؤنا الجدد على أحدث طراز معماري غربي، وفرشت بأفخم الأثاث الأوروبي تصيبك بالدوار والاستغراب عند مشاهدتها، لأنها تخلو من اللمسة الشخصية لرب البيت وأسرته وتعتبر شيئاً مستقلاً عن الحياة الحقيقية للأسرة.

وآداب السلوك داخل المنزل تعني أولا القدرة على التنظيم وعلى استيعاب كل ما فيه والاستفادة منه إلى أقصى درجة. وفي الغرب منازلهم منظمة ولا يهملون شيئا، وكل شيء في المنزل مرتب بالطريقة التي تجنبك ضياع الوقت وتوفر الراحة، فلا يراكمون أدوات المنزل ولا يتأخرون في تنظيمها بصورة مستمرة.

وآداب السلوك في المنزل هي نصف آداب الحياة اليومية . فالبيت ليس مكانا للنوم والراحة فقط، إنك تقضي فيه أكثر من نصف حياتك، ولذا فمن داخله يتم تنظيم حياتك الداخلية والخارجية. وفيه تستقبل وترد على جميع مراسلاتك الخاصة وجزء من أعمالك وتستقبل التهاني والدعوات وفواتير دفع اشتراكاتك التليفونية والكهربائية وبيانات حساباتك مع الآخرين ونتائج الكشوفات الصحية لك ولأسرتك... الخ ويهتم الغربيون بصفة عامة بهذه الأوراق والوثائق فيحفظونها بشكل مرتب، ولا يؤخرون الرد عليها أو

تركها مبعثرة هنا وهناك .

وإذا كان لنا في الوطن العربي عادات مختلفة فيما يخص علاقة الأسرة بالخدم ومعاملاتهم، حيث تعتبر أكثر رقة وحنانا خاصة في الجزيرة العربية والعراق واليمن والتي قد تصل أحيانا حداً يعتبرون فيه كأفراد الأسرة، إلا أن الوضع في الغرب مختلف، ويتسم بخصائص ثابتة ومجردة، إلى حد كبيرٌ، من الاعتبارات والروابط الشخصية، ويتخذون صفة العمال والأجراء الذين تحميهم أحكام قانون العمل. ولذا فإن نطاق الاستخدام في المنازل قد تقلص بشكل كبير وأصبح مقصورا على كبار الأثرياء. ومن الواضح أن تطورهم التكنولوجي والاقتصادي والاجتماعي، هو الذي فرض تلك العلاقة المحددة والمجردة من الاعتبارات الخاصة. وتهتم تلك القواعد بتحديد وضع المستخدم وحصره في إطار واجباته والعناية بالأعمال المحددة التي تقتضيها قواعد الحياة الثابتة في المنزل، كتنظيم وترتيب غرف المنزل والصالون والأثاث وغسل الملابس وأدوات المائدة وإعداد الطعام والعناية بالاطفال، وبصفة عامة، تهيئة المنزل ليكون مكانا مثاليا للراحة والتخلص من العناء والتعب وتوفير الراحة الإنسانية.

وتجدر الإشارة إلى وجود عدة أنواع من المستخدمين في المنازل في الغرب، فهناك الخادمة بصفة عامة، وهناك من تقوم فقط بترتيب المنزل وتنظيفه، وهناك الطباخ أو الطباخة التي تقتصر مهمتها على إعداد الطعام، وهناك الحدائقي أو الجنايني والحارس، وقد يكون من الصعب جدا أن يقوم شخص بهذه المهام جميعها. ومن المفيد أيضا التذكير بأن أورابا لم تعد تعيش عهوداً الإقطاع، ولم بعد لها علاقة بقوانينه. وعليه فإن المستخدمين المنزليين يخضعون للقوانين الاجتماعية ويتسلمون مرتبات وعلاوات واستحقاقات عن ساعات العمل الإضافية، بل ويخضعون لنظام التأمين الاجباري. ورغم أن العلاقة باردة ومجردة بين رب المنزل والمستخدم، فإن قواعد الآداب والسلوك تجعل من المتعارف عليه خلقيا ومعنويا أن من حق الخادم، أو الخادمة، في مناسبة عيد ميلاده أو أي مناسبة عزيزة عليه أن يكرم بالقعود جنبا إلى جنب على مائدة الطعام مع رب العائلة وأفرادها، فيحيونه ويأكلون ويشربون معه، ويهنئونه بهذه المناسبة. وللعلم فإن الغربيين يهتمون جدا بالتعبير عن أحاسيسهم الإنسانية في هذه المناسبات ولا يهملونها أبدا.

ولأن قاعدة المستخدمين المنزليين محدودة ، ولأن النساء يعملن خارج المنزل بنسبة

كبيرة. فإن جميع أفراد الأسرة يسهمون بقدر ما لديهم من وقت وإرادة في تنظيم المنزل. ويمكن للمرء أن يلمس درجة التعاون العالية والتضامن والانضباط في تحقيق النظافة والنظام بل وحتى في إعداد الطعام وكل أعمال المطبخ إذا لم تكن ربة البيت منفرغة له تفرغا كاملا أو جزئيا.

الخصائص العملية والجمالية للمسكن

عندما تدخل منزلا في الغرب وله حديقة فستجدها تجذب انتباهك بجمالها وتنظيمها. وستلاحظ غالبا أن زهور الربيع خير من يستقبلك بجمالها وأريجها الممتع. وإذا لم يكن للمنزل حديقة فستشاهد الزهور والأشجار المنزلية تزين الزوايا وأركان الجدران.

وستجد أن الكثيرين يمنحون ممرات منازلهم تجميلا متميزا يعكس شخصياتهم وأذواقهم، وستشعر بأن جوا ممتعا قد استقر في المنزل. لكن الأهم من هذا تلك العناية التي يعطونها للجانب العملي، فستجد بعد دخولك المنزل علاقة للبالطو أو للغطاء الواقي من المطر. ومن اللازم إذا كنت ترتدي مثل هذا البالطو أن تخلعه وتضعه على العلاقة وتجنب الدخول في البيت إلى مسافات بعيدة إذا كنت ترتديه وهو مبلل بماء المطر أو الثلج. ومن المستحسن أن تخلعه فور دخولك المنزل والبحث عن العلاقة أو الشماعة لتعليقه. ولأن المناخ بحره وبرودته وبجفافه ورطوبته يعتبر واحدا من العناصر المؤثرة في ثقافة الأمم وحضارتها، فإن الغربيين يعتادون تخصيص سلة خاصة قريبة من باب الدخول لحفظ المظلات وتجنب سقوط المياه العالقة فيها على أرضية المنزل، ويخصصون علاقة أو رف أو طاولة صغيرة للقباعات وللحقائب أو أكياس حمل المشتريات والمستهلكات المنزلية. وستجد في الغالب مغسلا صغيراً لليد ومرآة وبعض الروائح وأدوات الزينة غير المستهلكة بجانبها، ويمكنك هنا أن تغسل يديك أو على الأخص تعيد تصفيف شعرك، وهو الأمر الذي ينبغي تجنب القيام به في الصالون وعلى الخصوص في صالة الطعام.

وغرفة الجلوس على النمط العربي الأصيل قد استبدلت الآن في معظم المدن العربية بالصالونات على الطريقة الغربية، وسيطرت على حياتنا كل أنماط الحياة الغربية في ملابسنا وأزيائنا ومعظم أساليب حياتنا. والسبب المباشر في هذا التأثير هو أنها تمتلك خصائص عملية لا تحتمل الجدل. لكن تكيفنا مع هذه المظاهر يعتبر هشا وضعيفاً. وكان الأجدر بنا إذا لم

يكن هناك مناص من هذا الاقتباس ، أن يكون اقتباسا دقيقا، وأن نحرص على أن نضفي عليه جماليات ثقافتنا، وأن نحافظ في نفس الوقت على حيوية الصالون الغربي. ومن أفضل الأمور إذا أردت أن تجمع بين صالة الطعام وصالون الاستقبال والمعروف باسم «دبل ليفنج» أن يكون هناك فاصل واضح بين صالة الطعام وغرفة الجلوس بالصورة التي تمكنك وأفراد اسرتك من استكمال ترتيبات الطعام بصورة منعزلة عن الركن الخاص بغرفة الاستقبال، وهو الأمر الذي يحرص عليه الغربيون إلى حد كبير.

ويأخذ المطبخ في المنزل الغربي عناية مؤكدة، وكم كانت دهشتي ذات مرة عندما دعاني صديق فرنسي لقضاء عطلة الأسبوع في منزل عائلته التي كانت تقضي إجازتها خارج المنزل، فقد وجدت أن مطبخهم يشبه معملا كيميائيا. كل شيء مرتب بعناية، والدواليب مقفلة بإحكام، وأدوات حفظ المواد الغذائية والبهارات مرتبة ومكتوب عليها اسماءها، وإذا تسللت ذبابة أو حشرة فلن تجد ما تسرقه لتطعم نفسها وستواجه الموت جوعا.

وسواء أكان الفصل صيفا أو شتاءً ثلجيا قارسا، فإن غرف النوم لابد أن تمتليء رئتها بالهواء النقي ولو لعدة دقائق، وتأخذ قسطها من الترتيب والتنظيف والعناية المبكرة كل يوم دون تأخير، ولن تشاهد بيجامة أو قميصا مرميا في أي جانب منها حتى مداخل الخدم الخلفية، إذا وجدت، لايستعملونها لحفظ الأمتعة أو الأدوات المنزلية، لأن كل بيت في العادة له مخزن أو كهف في الدور الواقع تحت الأرض لحفظ الأمتعة.

أما إذا كان المسكن على شكل شقة فإنه بالإضافة إلى الملاحظات السابقة، فإن هذا السكن المشترك سيقتضي الالتزام بعدد من الأصول والقواعد الثابتة في المجتمعات الغربية وتندرج كلها تحت عنوان «المسكن الجماعي ومقتضيات الجوار».

ولقد لفت انتباهي في بعض الحالات أن بعض العرب المقيمين في الغرب من دبلوماسيين وتجار وبعض الميسورين، يرتبطون بعلاقات خاصة أحيانا أو متينة أكثر من اللازم مع حراس العمارات، الأمر الذي يشكل نوعا من الاحتكار أو الامتياز لخدماتهم مدة أطول. وهذا الأسلوب يضايق بقية سكان الشقق الأخرى التي تدفع مرتبات ومكافآت واتعاب الحارس بالتساوي. ولذا فإنه ينبغي دقة تقدير هذه العلاقة والعمل قدر الإمكان على عقلنة

صفة الكرم العربي، لأن المغالاة في الهدايا والبقشيش يعتبر في نظر الغربيين عملا يؤدي الى تحطيم نظام القيم ويفسد المجتمع ويهز توازن العلاقات الاجتماعية. وبالنسبة للممرات المشتركة كالسلالم والمصعد والجراش والممرات الموصلة للمخازن في الدور تحت الأرضي، وحتى الممرات والسلالم الخلفية، إن وجدت، وكل شيء مشترك، ينبغي أن يبقى نظيفا، وأن لايستخدمه أحد استخداما خاصا أو شخصيا، كأن يترك عليه بعض الكراسي أو يحفظ فيه صناديق أو شنط مهملة أو يستخدمه لحفظ بعض الأثاثات القديمة. وفي جميع الأحوال فإن منزلك هو جزء من شخصيتك ويعكس قدرتك على فهم آداب المجتمعات الغربية.

استقبال مدعويك في المنزل

أول قاعدة علينا أن نفهمها هو أن الدعوة لزيارة المنزل لتناول الغداء أو العشاء أو لقضاء وقت ممتع أو للاستماع للموسيقى أو للاستمتاع بلعبة الشطرنج أو لحضور مناسبة سعيدة لا يمكن إلا أن تكون جدية. فالغربيون لا يعرفون أبدا تلك القاعدة التي يستخدمها البعض في البلاد العربية لمجرد المجاملة وجبر الخاطر بإطلاق كلمة «إتفضل» أو شرفنا على الغداء. فالدعوة بالنسبة لهم ليست أمراً عفويا، إذ غالبا ما ترتبط بمناسبة، كالاحتفاء أو للتعارف أو لمناقشة عمل. ولذا فإنها دائما جدية، ولا يقلل من جديتها أو يعرقل تنفيذها إلا مدى مناسبتها لمواعيد الداعي والمدعو وستجد أن الغربيين غالبا ما يعرضون دعواتهم ومواعيدها محددة، ولا يمكن أن يطلقوا كلمة «تفضل» تعوم في الهواء . ولذا ينبغي تجنب الوقوع في هذا الموقف، لأنه في نظرهم مدعاة للسخرية. كما أن الدعوة لتناول بعض المشروبات والمرطبات لا يمكن أن تستمد أو تتحول لحفلة غداء أو عشاء، فتذكر هذا دائما. وفي جميع الأحوال ، فإنك ستشعر بالنظام الداخلي للمنزل وستجد أن كل شيء قد تم ترتيبه قبل وصولك، وغالبا ما يهتمون بتوفير عدد من المشروبات التي تتلائم مع أذواق متعددة، ومعها بعض المكسرات كالجوز والفستق واللوز وأحيانا بعض السجاير. ويحاولون قدر الإمكان أن يجعلوا الزائر يشعر وكأنه في بيته.

أما إذا كانت الدعوة لمدة يوم أو أكثر، فستجد أن الأسرة الغربية تمنح المدعو الضيافة وحرية الإقامة في غرفة مرتبة وحمام ومغسل والصابون وحتى المنشفة « الفوطة». وسيحرصون على وضع أصيصة الورد والزهور على أحد الدواليب أو على طاولة في

غرفتك. وترغب أحياناً سيدة المنزل أن تثبت كرم عائلتها وعنايتهم بك، فيسألونك عما تحب من فطور، وستجد صباح اليوم التالي أن طبقا نظيفا وجميلا ومرتبا يحتوي علي طلباتك من القهوة أو الشاي وطبق من البيض المقلي والمربى أو أي شيء آخر تفضل تناوله، وكل هذا سيضفي على وقتك مزيدا من المتعة وستشعر أنك حقا في إجازة .

وفي الحفلات المنزلية، يحرص الغربيون على أن لا يزيد عدد المدعوين على إثني عشر شخصا وأحيانا ستة فقط، وإذا لم يكن المدعوون قد سبق لهم التعارف فإن الداعي سيقوم بالتعريف بينهم، وفي معظم الأحيان يمهد لهم طريقا للنقاش، فيذكر مثلا عند التقديم، هذا فلان الذي حدثتكم عنه، وهو يهتم بالفنون التشكيلية ، أو قام بزيارة لعدة دول في أمريكا الجنوبية، ويعد دراسة عن الفنون الموسيقية للمواطنين الأصليين فيها ... الخ وإذا اقتصرت الدعوة على تناول المشروبات، فإن هذا لا يقتضي أن تحمل معك هدية أو حزمة من الورد، لكنك إذا كنت قد شعرت أن الداعي قد هيأ لك مقابلة هامة في مجال عملك الفني أو المهني أو التجاري، أوأنه قد سهل لك اللقاء بأستاذ أو خبير كنت تبحث عنه، فليس هناك ما يمنع أن تقوم في اليوم التالي بإرسال باقة من الورود أو علبة من الشوكلاتة تعبيرا عن الشكر.

وفي الحضارات الغربية يراعي الناس في ضيافاتهم عدم الخلط بين المدعوين من مستويات اجتماعية مختلفة جدا، لأن هذا في طبائعهم لا يساهم في خلق جو من الراحة والألفة والمتعة، فإنهم يحاولون أن يكون المدعوين من مستويات اجتماعية أو مهنية متقاربة.

ومن أهم واجبات الضيف المحافظة على نظافة المنزل ومظهره والعناية بجميع محتوياته. وستكون السيجارة أكبر مصدر للأذى، سواءً تناولتها على السرير أو فوق مائدة الطعام أو بالقرب من الأطفال. حافظ ايضاً على نظافة ملايات السرير وغطاء مائدة الطعام وستائر الشبابيك، إذ لا يمكن استخدامها لتنظيف جزمتك أو مسح قلمك . وإذا استعملت الدوش أو البانيو للحمام فحاذر من سقوط الماء في كل أرجاء الحمام فينقلب إلى مستنقع. وتحرى بشدة عدم سقوط شعر رأسك عند تسريحه فوق الطاولة أو المرآة. وأحسن ما يمكن قوله، هو أن تحافظ على منزل مضيفك كما تحافظ على منزلك، وإذا كنت مع الأسف من الشرقيين المغالين في الاعتماد على شخص آخر لترتيب غرفتك وتنظيف كل صغيرة وكبيرة لك، فاترك هذا التقليد مؤقتا حتى تعود إلي بيتك، وتجنب بعثرة ما حولك، واحرص على أن تحظى بتقدير مضيفك واحترامه لك ولثقافتك وحضارتك . وتذكر أن الأسرة الواسعة

وتفرغ النساء لأعمال المنزل وترتيبه وتنظيفه هو أمر نادر في الحضارات الغربية، حتى إذا كانت ربة المنزل متفرغة للعمل المنزلي فلا تحولها بسلوكك إلى خادمة خاصة. أما إذا كنت مدعواً لدى صديق لوحده وبدون عائلة، فسيكون من اللطيف، بل ومن الواجب، أن تساعده في الأعمال المنزلية وفي إعداد الطعام، وأن تعرض عليه المشاركة حتى في تنظيف المنزل.

وهناك قاعدة عربية قديمة ومعروفة تقول «الضيف في حكم المضيف» وهي قاعدة تلائم مختلف الحضارات، فلا تطارد مضيفك بالأسئلة منذ الصباح عما ستعملونه خلال اليوم. أترك له الحق في المبادرة في العرض عليك بماذا ستعملون. وعلى الضيف طبقا لقاعدة «الضيف في حكم المضيف» أن يخضع لعادات ضيفه وأن يتكيف مع ذوقه وظروفه. ومن المهم جدا أن لا ينهض من نومه متأخرا فيربك نظام الأسرة ومواعيدها. وإذا كنت مدعواً لتناول طعام الغداء أو العشاء، فمن اللياقة الوصول قبل الموعد بعدة دقائق فقط، وأن لا يمتد النقاش والحديث حتى الساعة الرابعة عصرا بعد تناول وجبة الغداء، وأن لا تمط أمسيتك بعد تناول العشاء حتى ساعة متأخرة من الليل. وفي جميع الأحوال فإن الضيف هو الذي يقترح لحظة انصرافه، ويمكنه أن يكتشف مدى استعداد مضيفه لإطالة فترة الحديث، وعليه أن يقدر الساعة التي تم فيها تناول الغداء أو العشاء، ويستطيع أن يكتشف ملائمة الموضوع من جو الاجتماع ومحيطه. وإذا كنت أنت الداعي والمضيف لأصدقاء من الغربيين سواءً اكان ذلك في بلادك أو في بلادهم فلاحظ أنه عندما يخيم الصمت على المكان فإنك تستطيع هنا أن تعرض عليهم بعض الصور أو الأفلام أو كاست فيديو، ولكن حاذر أن تفرض عليهم لقطات مملة لرحلة إجازتك الطويلة، وأفضل من هذا كله، أن تسألهم عن الموسيقى التي يريدون الاستماع إليها، أو أن تفتح حديثا عن أجمل كتاب لديك أو عن أخر فيلم سينمائي أعجبك.

وأثناءِ إقامتك في منزل مضيفك، تجنب توجيه الأوامر مباشرة إلى خدم المنزل، وإذا لم يكن لديك ما تبدي إعجابك به، فإنه ليس من اللياقة تقديم النصح أو الإرشاد لرب البيت أو ربة البيت حول طريقة تأثيث منزلهم أو تدبيره. ومن المألوف جدا أن يقدم الضيف بعض البقشيش لخدم المنزل عند مغادرته تتناسب مع حجم خدمتهم ومع مدة الإقامة التي قضاها في ضيافتهم .

ويمكن الاقتصار على تقديم الشكر شفويا على الدعوة وعلى إتاحة الفرصة لمقابلة

أصدقاء جدد، وهي من الأهمية بمكان. لكن قد يستدعي الحال التأكيد على الجانب البروتوكولي أو ما قد تقتضيه قواعد الإتيكيت والأدب بارسال رسالة شكر بعد عودتك إلي بلادك خلال الأسبوع التالي لضيافتك على الأكثر، وأن تقول لهم أن إقامتك كانت ممتعة، وأنهم كانوا كرماء معك وتشكرهم عليها. ومن الأمور اللطيفة أن ترسل إليهم بعد ذلك بعض الهدايا الخفيفة المحلية التي تنتج في بلادك، أو بعض الصور التي التقطتها لهم أو معهم. ولحظة تقديم الشكر في الواقع تعتبر أنسب اللحظات لتقديم الدعوة لمضيفيك بتناول الغداء أو العشاء أو قضاء أجازتهم لديك.

ويمكن للضيف أيضا أيضاً أن يقدم لمضيفه بعد انتهاء إقامته باقة من الزهور أو بعض الهدايا التذكارية الرمزية كعلبة شوكلاتة أو إيشارب جميل من الحرير لزوجته، أو مجموعة من القصص التي تناسب ذوقه أو روائح تعجبه، أو كتاب عن التاريخ، أو قصة بوليسية إذا لاحظت أنه من قراء هذا النوع من القصص، أو إسطوانة أو أكثر من الموسيقى التي يفضلها، سواء أكانت موسيقى الجاز أو البوب أو الكلاسيك أو السمفونية بحسب رغباته، أو أن ترسل هدية لأطفاله كلعبة أو كتاب يتناسب مع أعمارهم.

ويراعي الغربيون في دعواتهم، كما سبق أن ذكرنا، جانب التأكيد والجدية، ولا يمكن تقديم دعوة لمجرد المجاملة، كما أنه لا يمكن تقديم دعوة إلى الريف أو على شاطئ البحر لتناول الغداء أو العشاء، إذ ينبغي أن تستغرق الدعوة عدة أيام، أو على الأقل عطلة الأسبوع. ومن الطبيعي والمألوف جدا أن يحدد لك المضيف تاريخ أو موعد المغادرة، وقد يرافقها بذكر سبب أو عدد من الأسباب العائلية أو الالتزامات التي عليه أن يقوم بها بعد انتهاء ضيافتك .

آداب المائدة

مقدمة

قواعد المائدة وآدابها جزء من آداب المنزل ويسميها البعض « فن الحياة». وكلها ترتبط بالذوق الرفيع للفرد، والذوق يظهر في أعمالنا وتصرفاتنا وسلوكنا. وليس عجيبا أن نجد لكل شخص قانوناً خاصاً لحياته وذوقه، وكل فرد يضفي على طريقته في الحياة وذوقه ما يريده من بساطة أو رقة أو تعقيد. طريقة اللبس وطريقة تأثيث المنزل وطريقة تهيئة المائدة واختيار أدواتها. والذوق هو عطاء ساحر يستطيع تحويل الأشياء الصغيرة إلى أشياء كبيرة والأمور التافهة إلى قضايا عظيمة، بل إنه فعلا حقيقة الحاسة السادسة. وإذا كان من المناسب القول أن الذوق الرفيه لا يمكن اكتسابه بالتعليم والشهادات، لكن كل فرد على الأقل يستطيع تجنب الذوق السيء، فالذوق في الملابس والذوق في المنزل ينبع من البساطة والذكاء. وستجد أن أثاث المنازل في الدول الغربية يتسم بالانسجام، وأن شراءه يتم منذ البداية بعد دراسة لمدى التناغم بين مختلف أجزاءه بما في ذلك الأشكال والألوان لمفروشات البيت. وستجد رغم غياب الشمس فترات طويلة أثناء العام في دول الغرب، أن المنازل مضاءة وتفيض بالبهجة، كما أن استخدامات الأنوار والنيونات تشكل فنا خاصا من فنون الذوق الرفيع، وأن أواني الزهور والأشجار الإستوائية الخضراء تزين زوايا المنزل. وأن الطفايات النظيفة موزعة على الطاولات وبالقرب من مقاعد الجلوس بشكل دقيق .

توجيه الدعوات

الدعوات لحفلات الغداء أو العشاء توجه عادة كتابة ، ويتم إرسالها قبل عشرة أيام على الأقل بصورة كارت أو بالتليفون، ويفضل البعض أن يرسل كارت بعد يومين يؤكد فيه الضيف الموعد والعنوان. وفي حفلات العشاء الرسمية جدا والتي تقتضي ملبساً خاصاً، قد يدرج في كارت الدعوة كلمة «سموكنج» أو «كرفتة سوداء» أو غير ذلك من الكلمات الدالة على ضرورة التقيد بزي معين .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن مثل هذا التحديد أصبح الآن نادرا ولا يشار إليه دائماً في الدعوات. وينبغي على الشخص أن يقدر المناسبة ويقدر نوعية الملبس التي تقتضيه.

وفي الحالات التي تكون فيها الدعوة على شرف شخص معين فإنهم عادة ما يشيرون إلى هذه المناسبة في أعلى الكارت بأن حفلة الغداء أو العشاء هي على شرف فلان أو بمناسبة كذا.

وصول واستقبال المدعوين

كانت العادة سابقاً تقتضي وصول الضيوف قبل عشر دقائق من الموعد المحدد، أما الآن فإن الوصول قبل الموعد غير مستحب إطلاقا، ومن الأفضل الوصول خلال الخمس دقائق التالية للموعد المحدد للوصول. وينبغي التأكيد هنا أن التأخير عن الموعد مدة ربع ساعة يعد بمثابة الحد الأعلى، لأن التأخير عن الموعد أكثر من ربع ساعة أمر يضايق الآخرين وربما يحدث إرباكا للمضيف ويستدعي تقديم الاعتذار، لكن التأخر نصف ساعة في حفلات الاستقبال أمر متسامح فيه وذلك بعكس حفلات العشاء والغداء التي تستدعي انضباطا ودقة في موعد الحضور، لأن المدعوين ينتقلون معا إلى المائدة ويبدأون معا تناول الطعام طبقا طبقا، وكل تأخير على موعد حضور حفلات الغداء أو العشاء مربك جدا.

وفي حالة حدوث ما يستوجب التأخير فإن دواعي الأدب واللياقة أن تخفف من قلق المضيف بإبلاغه تليفونيا بعذرك وحتى عدم قدرتك على الوصول.

وهناك آداب متبعة في إنجلترا وبخاصة في السويد تقتضي أن ينتظر الضيوف على مدخل باب المنزل فترة قصيرة قبل الموعد المحدد للحضور، وعندما تحين اللحظة المحددة يقرعون الجرس إيذانا بالحضور.

وعند وصول الضيوف فإن قواعد المجاملات المستقرة تدعو رب البيت إلى النهوض والتقدم نحو الباب لاستقبالهم. أما في الدعوات الرسمية والدبلوماسية أو بمناسبة الاحتفالات الوطنية مثلا فإن الأمر يقتضي أن يقف المضيف عند الباب سواء أكان سفيرا أو وزيرا وبجانبه حرمه لاستقبال الضيوف بعد أن يقوم منادي التشريفات بالإعلان عن وصول الضيف وحرمه بأعلى صوته.

وفي الاحتفالات الأوروبية الخالصة يفضل بعض أرباب البيوت المضيفين تقبيل يد السيدات المدعوات عند حضورهن. وعلى السيدات بدورهن أن يخلعن جوارب اليد «الجونتي» عند الدخول، إلا إذا كانت جوارب الأيدي طويلة جدا أو ملتصقة بالفستان، وهناك من الأوروبيين من يرفض تقبيل أيدي السيدات، لكنهم يؤدون التحية بانحناءة واضحة أمامهن تعبيرا عن التكريم الذي يظهره الغربيون نحو المرأة.

وفي كل مرة يصل فيها ضيف فإن رب البيت ينهض لاستقباله وليست السيدات ملزمات بهذا التقليد إلاّ إذا كان الضيف الواصل أكبر منهن سنا أو مقاما.

تقديم المدعوين

يفضل الأمريكان طريقة جذابة لتقديم ضيوفهم بعض لبعض ، فهم لا يكتفون بذكر الاسم والوظيفة باختصار كما يفعل الأوروبيون والفرنسيون بشكل خاص، بل يقدمون الشخص بأسلوب استعراضي خفيف، فيذكرون اسم الرجل أو المرأة مصحوباً بنبذة قصيرة ومحددة عن النجاح التجاري أو الصناعي أو العلمي الذي حققه ومثالا على ذلك يقولون:-

« البروفسور إدوارد روك الذي حقق نجاحا علميا في مجال بحوث سرطان الدم وأثارت نتائج بحوثه الصحافة الامريكية والعالمية خلال العام الماضي». أو «السيدة جاكلين روش الممثلة المسرحية الموهوبة التي تمثل الآن مسرحية هامة على مسرح كذا ... الخ» وإذا كنت أنت قد اضطررت لتقديم نفسك لمحدثك فاذكر اسمك العائلي أو اسمك الكامل وتجنب ذكر الدكتور أو البروفيسور، وخاصة في فرنسا ومعظم الدول الأوروبية، لكن الألمان والامريكان يقدمون أنفسهم مع درجاتهم العلمية.

ويعتبر تقديم الأشخاص جزءاً لا يتجزأ من ميكانيكية المجتمعات الصناعية الواسعة ونظامها المعقد، وليس مجرد قاعدة أدبية. وسيدرك المرء أن فائدته هامة، لأن المرء سيعرف الشخص الذي يتحدث معه ومكانته ويعرف أعماله وربما ميوله وانتماءاته السياسية والثقافية وحالته المهنية وخاصة إذا تم التقديم بالطريقة الامريكية « السيد فلان عضو مجلس الشيوخ أو عضو جمعية أصدقاء الشرق الأوسط أو عضو جمعية التضامن من أجل السلام العالمي .. الخ». والفائدة هنا أنك تستطيع أن تعرف الشخص الذي تتحدث إليه وتعرف ميوله وأفكاره السياسية، وتستطيع حينئذ أن تتحكم في اتجاهات حديثك وأن تتجنب كل ما قد يعكر

المزاج أو يثير حفيظة محدثك الذي حكم عليه تناول الطعام معك أو بالقرب منك. ومن الأفضل تجنب الدخول في نقاش قد يفسد الجو الذي أنت فيه، وخاصة أنك محتاج لأن تظهر فيه بمظهر الإنسان المتزن، وأن تتجنب كلما ما قد يقلل من فرص نجاحك لتحقيق الهدف الهام من وجودك في هذا الحفل، سواء كنت دبلوماسيا أو رجل أعمال أو طالب متدرب أو عالم. وهذا التقديم مفيد أيضاً، لأنه يرسم لك على الأقل البيئة الثقافية أو المناخ الفكري الذي ينتمي إليه محدثك وتتمكن حينئذ من اختيار موضوعات الحديث ومسار النقاش وستجد في بعض المناسبات أن التقديم يضعك أمام أشخاص يكنون العداء لك ولثقافتك وحضارتك. ويحاول بعضهم إفساد وقارك واتزانك وإثارة غضبك.

وبصورة عامة فإن التقديم لابد أن يتم بذكر اسم العائلة والاسم الأول إن أمكن أيضاً. وهناك بعض القواعد الهامة الخاصة بأولوية تقديم الأشخاص لبعضهم بحسب أهميتهم ومكانتهم وهي كالتالي :-

- تقديم الشخص غير المعروف أو الأقل شهرة للشخص المشهور لأن شهرته تفترض معرفة الناس له .
- تقديم الرجل للمرأة إلا إذا كان الرجل شيخا مسنا فإنه ينبغي تقديم السيدة للرجل المسن.
- تقديم شخص وحيد أو معزول لشخص مع حرمه، ويمكن في المناسبات البسيطة كحفلات الاستقبال «الرسيبشن» أو في اللقاءات العادية عندما يجد الإنسان الرغبة في التعرف على شخص أو مجموعة أو يضطر للحديث معهم أن يقدم اسمه ولقبه وعمله.

وفائدة هذا التعريف في تلك المجتمعات المعقدة أنها تقلل الهوة العازلة بين الأشخاص وتتيح لهم مجالات واسعة للتعارف المثمر.

أما إذا كنت لا تعرف اسم الشخص الذي تريد تقديمه لشخص ثالث أو نسيت اسمه فيمكنك الاعتذار عن نسيان اسمه وتطلب منه تقديم نفسه أو تذكيرك باسمه.

التقديم في الحفلات الرسمية

تقديم المدعوين في الحفلات الرسمية والبروتوكولية الضخمة يأخذ طابعا آخرا، وفي الواقع، فإن الغرض منه ليس مجرد تقديم الأشخاص ولكن تحديد أماكن المدعوين في الحفلات الكبيرة والرسمية، حيث ينبغي كتابة اسم الشخص ومركزه الوظيفي أو العلمي على كارت ثم يوضع على كأس أو في مكان بارز على المائدة في مواجهة الكرسي الذي سيقعد عليه المدعو. ويكتفي الأوروبيون الآن بكتابة «السيد رئيس الجمهورية.. أو السيد الوزير... أو السيد الكونت .. أو صاحب السمو الملكي ..» ولكن بالنسبة للوزراء الأجانب أو السفراء فإنهم يضيفون كلمة صاحب السعادة السيد فلان، ومن الملاحظ أنه بالنسبة للرتب العسكرية فإنهم يكتفون بكتابة «الجنرال فلان ... أو الادميرال فلان ... » . ولكن هناك مارشال واحد للجيش كله وأدميرال واحد للجيش كله في فرنسا وبعض الدول الأخرى، ولذا فإنهم يضيفون على اسمه كلمة السيد المارشال ... أو السيد الأدميرال، أو إذا كان الجنرال أو المارشال ينتمي إلى فئة النبلاء فإن العملية هنا تتعقد وتأخذ صورة الأشكال القديمة للألقاب في أوروبا، فيكتبون اسمه «الجنرال أو المارشال الكونت فلان ... أما زوجته فلا يكتب أمام اسمها إلا السيدة الكونتس... ولا يمكن أن يضاف إلى أسمها لقب زوجها العسكري .

ويأخذ ممثل البابا أقدم الأماكن في الترتيب في الدول الأوروبية، ويتلوه سفراء الدول الأجنبية ثم رئيس مجلس الشيوخ ثم الوزراء بحسب أقدميتهم. ومع ذلك فإن لكل دولة في الواقع قائمة أقدمية تختلف في بعض تفاصيلها عن الدول الأخرى بالنسبة لعدد من الرتب والدرجات العسكرية والدينية والمدنية.

دعوة الضيوف إلى المائدة

عندما ينتهي الخدم أو ربة البيت من إعداد المائدة فإن أحدهم ينادي على الضيوف بأن «المائدة جاهزة»، أو كما يقولون في فرنسا «سيدي أو سيدتي الكونتس أو سيدي الدوق .. «المائدة جاهزة أو مقدمة» فينتقل الجميع الى المائدة على أن تكون السيدة في المقدمة أو ضيف شرف كبير أو شيخ مسن.

ترتيب المدعوين على المائدة

أعتقد أن قواعد وآداب السلوك في المجتمعات الغربية لا تنطوي على قدر من الاختلافات الحادة مع قواعد الحضارة العربية مثل تلك القواعد المتعلقة بترتيب أماكن جلوس المدعوين حول المائدة بحسب أهمية كل مدعو في الحفلة. ففي فرنسا ومعظم الدول الغربية تحتل ربة المنزل إما رأس المائدة أو وسطها، بينما يجلس رب المنزل على الكرسي المواجه لحرمه، سواء على رأس المائدة أو وسطها.

ومن القواعد التي يتبعونها بدقة أن يجلس ضيف الشرف من الرجال على يمين سيدة المنزل، بينما تجلس ضيفة الشرف على يمين رب المنزل. أما في الدول الإسكندنافية : فنلندا وآيسلندا والسويد والدنمارك والنرويج فإنهم على عكس ذلك يجلسون ضيف أو ضيفة الشرف على يسار ربة المنزل وليس على يمينها .

أما في الدعوات الدبلوماسية التي تقيمها السفارات أو وزارات الخارجية، وفي كل حفلات الغداء والعشاء التي يقيمها الوزراء ومن في حكمهم، أو حتى في الحفلات التي يدعى إليها عدد كبير من الشخصيات، فإنه ينبغي إعداد خريطة للمائدة أو لمجموع الموائد اذا كانت متعددة، ويحدد فيها موقع ومكان كل مدعو على المائدة. ويقوم مدير المطعم أو مسئول البروتوكول بتوزيعها على جميع المدعوين قبل الدخول إلى صالة الطعام، أو تثبيتها في مكان واضح عند مدخل المطعم. ويقتضي هذا النظام أن يجد كل مدعو بطاقة بيضاء كرتونية مكتوب عليها اسمه، موضوعة في كأس أو بمكان بارز على المائدة في مواجهة الكرسي الذي سيجلس عليه. وفي الحفلات الرسمية يراعي منظموا الولائم والدعوات ترتيب مقاعد المدعويين بشدة لا تحتمل أي مرونة لأنه جزء من شخصية كل مدعو وتمس حقوقه، وكل تقصير أو اهمال يعتبر احتقارا للنظام وسخرية بالتقاليد. ومع ذلك، فإنه عند تساوي شخصيتين أو أكثر في أقدميتها أو مركزها الرسمي أو الأدبي أو الاجتماعي، فإن مقتضيات التسامح .تفرض نفسها دون أن ينزعج أحد أو يظهر احتجاجه أو يتظاهر بعدم قدرته على ايجاد مكانه في الخريطة. وفي الولائم الخالية من الرسميات فإن الغرض من ترتيب المدعوين هو السماح لكل مدعو أن يجد إلى جواره أنسب شخص يتعرف عليه ويتحدث معه.

ومن الجدير بالذكر أن هناك دعوات خالية من الكلفة بين أصدقاء حميمين أو بين الشباب، ويكتفي فيها رب المنزل أو قرينته بدعوة كل شخص للقعود في هذا الكرسي أو ذاك. أما في الحفلات التي ينظمها الشباب بمناسبة أعياد رأس السنة أو نهاية الأسبوع أو المناسبات الأخرى العديدة، فإن كل شخص يحتل الكرسي القريب منه ببساطة كاملة ودون تعقيد .

وفي المناسبات التي يتم فيها إعداد عدة طاولات أو موائد تستوعب كل واحدة سبعة أو ثمانية كراسي، فإن رب البيت أو الداعي يرأس إحدى هذه الموائد، وعقليته ترأس مائدة أخرى، بينما يرأس كل مائدة أخرى أحد أهم الأشخاص المدعوين.

وقد يكون ضيف الشرف شخصية أجنبية أو موظفاً كبيراً أو شخصاً حصل علي ترقية وظيفية أو شخصية علمية أو أكبر المدعوين سنا أو عمدة المدينة ... الخ. لكنه ينبغي في جميع الأحوال أن يجلس بجانب كل رجل امرأة إذا كان عدد الرجال والنساء متساويا تقريبا، وأن لا يبقى الزوجان بجانب بعضهما. وحكمتهم في ذلك ليس مجرد تحقيق مزيد من التعارف وتجنب الرتابة كما يعتقدون، بل أيضا إعطاء فرصة لمزيد من المعرفة الجديدة وتبادل وجهات النظر مع أشخاص جدد يحملون تجارب ثقافية مختلفة.

أدوات المائدة

في دعوة وجبة الغداء حتى ولو كانت عائلية أو بين أصدقاء حميمين فإن الغربيين يعتنون بجمال المائدة ويهتمون بانسجام ألوان الصحون والأطباق، ويقدمون طبقا نظيفا لكل مدعو ولكل لون من ألوان الطعام، والمائدة مغطاة بطراحة نظيفة وعليها دورق أو اكثر للمشروبات، وكبايتين أو أكثر لكل مدعو واحدة للماء وأخرى أصغر للعصير، وسلة صغيرة أو أكثر عليها قطعاً من الخبز ومزهرية عليها ورد أو زهور. وسواء كنت في الريف أو المدينة فإن هذه الأشياء تمثل الحد الأدنى من أدوات المائدة.

وإذا كانت سيدة المنزل لوحدها هي التي تقوم بإعداد الطعام والمائدة فإن رب المنزل أو أحد أبنائه الكبار سيساعدها . وفي كثير من الأحوال وخاصة إذا كان عدد أفراد الأسرة محدودا أو ليس لهم أبناء، وطالما أن الدعوة عائلية أو بين أصدقاء فإن بعض الأصدقاء أو الأقرباء يشعر بالمتعة والسعادة الخاصة في مساعدة ربة الأسرة في إعداد المائدة وتقديم

الطعام.

.أدوات المائدة في تاريخ أوروبا

ربما يستغرب البعض أن يعرف أن الشوكة قد انتشرت في فرنسا في بداية القرن الرابع عشر، ومن المعروف أن زوجة ملك فرنسا شارل الرابع الفاتنة كانت في ذلك الحين تتناول طعامها بالشوكة، أي في الفترة الواقعة بين أعوام ١٣٢٢ و ١٣٢٨، أما شارل الخامس الذي آتى بعد تلك الحقبة الزمنية مباشرة وحكم فرنسا حتى عام ١٣٦٤ فقد كان يحتفظ لنفسه بتسع شوك من الذهب وشوكتان من الفضة ، وقد اقتنع الملك شارل السادس الذي حكم فرنسا أطول فترة، أي من ١٣٦٨ الى ١٤٢٢ بثلاث شوك فقط.

أما الملعقة فقد تأخر ظهور استعمالها تاريخيا، وما من شك أن السويسريين كانوا أسبق الأوربيين في استخدامها، وقد كتب عنها المؤرخ والكاتب الفرنسي الشهير ميشيل اكيم مونتاني عام ١٥٨٠ باستغراب ويقول «إن استعمال الملاعق في فرنسا نادر وغير شائع» ويضيف أن «السويسريين يوزعونها على جميع من هم على المائدة». وذكر في إحدى مقالاته «أنه يأكل بدون ملعقة ولا شوكة، وأنه يعض أصابعه أحيانا من جراء الأكل بسرعة». وقد كتب سان سيمون الكاتب الفرنسي المعروف في القرن الثامن عشر يصف مائدة إحدى دوقات فرنسا «بأنها كانت نظيفة إلى أقصى حد وأن الملاعق الكبيرة والشوك الكبيرة أيضا كانت توزع لجميع الضيوف».

أما بالنسبة لاستخدام السكين في المائدة، فيبدوا أنها لم تظهر إلا في مرحلة لاحقة. لكن أحد الكتاب الفرنسيين في القرن الثامن عشر قد ذكر أن مائدة كاملة لاتستخدم إلا سكينتين أو ثلاث، وأن الإيطاليين يوزعون سكينة لكل شخص على المائدة، لكن بعضهم فقط يستعمل السكينة. وكان الألمان يكرهون أن يطلب أحدهم منهم سكينتهم لمشاركتهم استعمالها في المائدة.

وتستخدم الشوكة لوحدها عادة باليد اليمنى إلا إذا أراد الانسان أن يستخدم السكين أيضا لقطع اللحم أو أي شيء آخر فإنه لابد أن بنقل الشوكة إلى اليد اليسرى ويمسك السكينة باليد اليمنى . وعليه في هذه الحالة أن يضغط بأسنان الشوكة على المأكولات التي يريد قطعها وتثبيتها على الطبق ثم يقطع بالسكينة القطعة الصغيرة التي سيتناولها.

ومع ذلك، فإن بعض المتأنقات من النساء وبعض الرجال أيضاً يقومون بعد قطع المأكولات باستخدام الشوكة والسكينة بوضع السكينة ونقل الشوكة الى اليد اليمنى لتناول الطعام. وتقتضي العادة السائدة الآن أن يتم استخدام الشوكة باستمرار باليد اليسار والسكين في اليمين.

وتنتشر الآن بعض العادات الامريكية حول تناول الطعام، وتتم بتجميع الطعام من الطبق بواسطة السكين فوق الشوكة التيّ تمسكها اليد اليسرى دائما ثم القيام بنقلها محملة بالغذاء إلى الفم.

وفي كتاب عن آداب السلوك صدر عام ١٨٩٦ كتبه ماريان وبيال في فرنسا، جاء فيه: «أن الشخص الذي يمسك عظم اللحم بين أصبعيه السبابة والإبهام مهما كان صغيرا ذلك العظم سواء أكان عظم دجاج أو بط أو إوز فإنه سيصنف في إنجلترا بأنه من فئة لا تمتلك أدنى تعليم» ويضيف بأنه «لايجوز أبدا مسك عظام اللحم» ناهيك عن مسك اللحم ذاته باليد وتقديمه للآخرين حيث يعتبر سلوكا مستهجنا في كل الحضارات على الإطلاق باستثناء المجتمعات البدائية.

نظام المائدة وترتيبها

لمجموعة السكاكين والملاعق والشوك ترتيب واضح وبسيط على مائدة الطعام. ومن المتفق عليه أن جميع السكاكين توضع على يمين الطبق أمامك. أي باختصار أنك ستأخذ السكاكين بيدك اليمنى. وتتعدد السكاكين عادة في المطاعم الممتازة والدعوات الكبيرة التي تتجاوز حدود الشباب. فلابد من سكين عادية وسكين لطبق السلطة أو أي نوع من الأنواع العديدة للمقبلات، وسكين خاصة تتميز بأنها غير حادة لتناول طبق السمك. أو سكين عادية وحادة نوعا ما لتناول طبق اللحم.

أما الشوك فإنها توضع عادة على يسار الطبق الموضوع أمامك، ومن الطبيعي أن استخدام الشوكة لا يتم إلا باليد الشمال. وباستخدام اليد اليمين للسكين واليد الشمال للشوكة يمكن تقطيع وتجزئة كل أنواع اللحوم والمأكولات الصلبة بسهولة .

وفي الغالب فإن الملاعق توضع على اليمين بجانب السكين، وأحيانا خلف الطبق،

وخاصة الملاعق الصغيرة الخاصة بتناول الحلويات، أما قطع الخبز فإنها بدلا من وضعها مكومة في وعاء أو طبق على المائدة في الحفلات المتواضعة، فإنها في الحفلات الهامة قد توضع إما على أطباق صغيرة من الصيني أو ملفوفة تحت غطاء خاص.

وليست جميع الدعوات لتناول الغداء أو العشاء بنفس الدرجة من الفخامة، فهناك دعوات تتسم بالبساطة والتواضع، فبدلا من مناديل المائدة القطنية الجميلة والموشاة، فإنك قد تجد مناديل من الورق غالبا ما تنسجم الوانها مع الوان غطاء المائدة أو مع الوان أواني المائدة، وفي حفلات الشباب أو الحفلات المتواضعة، فإنهم يستخدمون المناديل الورقية. ومهما كانت الدعوة بسيطة وخالية من الفخامة والأبهة فإنك غالبا ما تجد المائدة مزينة بالزهور. وفي المساء ربما تجد أن ضوء الشمع قد أضفى على الاجتماع جوا ساحرا وناعما. وهكذا فإن مائدة الفقراء لا تخلوا أبدا من الجمال والجاذبية.

وفي وجبات العشاء فان الاضاءة تأخذ اهتماما مستقلا، فالضوء الباهر والكثيف غير مستحب أبدا، وينبغي أن لا تكون الاضاءة موجهة مباشرة نحو المدعوين. لهذا فإن الغربيين يحبون في هذه المناسبات استخدام الشمع الذي ينسجم لونه مع ألوان أطباق أو مع الوان زهور المائدة قدر الإمكان.

كيفية تقديم الأطباق

في الدعوات الفخمة يتم إعداد قائمة صغيرة بأنواع وأصناف الطعام، وتسمى «المنيو» أو كارت الطعام، وفي المطاعم لابد من تقديمها لجميع المدعوين، إذا كان كل واحد سيختار وجبته الرئيسية والسلطة أو المقبلات، أما الدعوات للمنازل فإن قائمة الطعام غالبا ما تأخذ شكل كارت أو بطاقة صغيرة تنصب أمام الضيف أو توضع على كأس، ونادرا ما تكتب المحتويات بخط اليد، لكنها في العادة تكتب بالألة الكاتبة وليس من اللائق أن يقلبها الضيف كثيرا ويعطي اهتماماً لكافة محتوياتها، ومن الأفضل الاطلاع عليها بسرعة، وربما يسمع من المدعو الذي يجلس إلى جواره تعليقاً خاطفاً حول طبق معين يفضله، وهو تعليق قصير لكنه ربما يمتد إلى الحديث عن علم وفن الطباخة في هذا البلد أو ذاك. وسنلاحظ أن الناس في الغرب يحترمون القيم الدينية فلا يقدمون الخنزير للمسلمين ولا لليهود، وإذا اختلط لحمه مع طبق آخر فإنهم ينبهونه لذلك.

وهناك بالطبع نظام ينبغي اتباعه عند تقديم أصناف الطعام، سواء تمت الدعوة في منزل أو في مطعم. وفي وجبات الغداء التي يكثر تنظيمها في إجازة رأس الأسبوع والاجازات الأخرى، أو بمناسبة لقاء عمل، فإنك ستلاحظ أن السلطات أو المقبلات يمكن وضعها على المائدة قبل وصول الضيوف، وبجانبها قطعاً صغيرة من الزبدة في طبق أو صينية أو في إناء خاص بها، أو في فناجين صغيرة خاصة بكل مدعو على حدة، وبالقرب منها سكيناً خاصة باستعمال الزبدة.

ويمكن ترك حلة الحساء على المائدة، ويتناول كل مدعو حاجته بالملعقة الكبيرة، ما لم يقم سيد المنزل أو سيدة المنزل أو الخادم بتقديمها للضيوف. وسيلاحظ القارئ أن المطاعم الفرنسية لا تقدم الأنواع المختلفة من الشربة إلا في وجبات المساء. وبعد تناول طبق الحساء أو الشربة، تأتي ربة المنزل أو الخادم في المطاعم لسحب الأطباق المستعملة، ثم يتم تقديم أطباق الصنف التالي من الطعام. وعلينا أن نلاحظ بدقة أن سحب الأطباق يتم من الجهة اليمين. أما وضع الأطباق الجديدة فيتم عكس ذلك، أي من اليسار. كما أنه يجب أولا خدمة السيدات، ثم الآنسات، ثم أقدم الضيوف، ولا يتم خدمة رب البيت إلا في الأخير.

والوجبات الساخنة لا تقدم إلا ساخنة جدا، وقد يتطلب الأمر في الحفلات الفخمة تقديم الاطباق الساخنة جداً أولاً، ثم تقديم المأكولات الأخرى. ومع ذلك فإن قواقع البحر أو المحار والكفيار والزبدة وعصيدة الكبد وبعض المأكولات الأخرى لا تقدم إلا باردة، وأحياناً فوق قاعدة من الثلج. ولا يؤكل السمك إلا بسكينة خاصة تسحب بعد الانتهاء من تناول طبق السمك. ويحرص الخدم عند تقديم المأكولات من الجانب اليسار أن ينجحوا عند وضع المأكولات على طبق الضيف قدر الإمكان لما في ذلك من أدب ولطف ولأنه يتيح للمدعو أن يعبر عن رغبته في الكمية التي يريد أن يقدمها له الخادم.

وفي الدعوات الحميمة أو غير المتكلفة أو لدى صديق أو عائلة ليس لديها الأطباق الكافية، فإنه من المحرج جدا أن يتهيأ الضيف أو يطلب تغيير الأطباق، وينبغي عليه أن يراعي ظروف الداعي وأن يتصرف مثله فيما يتعلق بتغيير الملاعق والشوك وخلاف ذلك.

ويقدم طبق اللحم كطبق رئيسي وبجانبه بعض الخضار في طبق كبير ودائري أو مستطيل. ولا يزال الفرنسيون وغيرهم حتى الآن يمارسون تقليدا قديما في الحفلات الكبيرة

وذلك بعرض الذبيحة أو السمك المشوي أو الخروف أمام الضيوف، ثم يقوم الخدم بتقطيعه وتوزيعه عليهم. أما الصلصة الخاصة باللحم أو بطبق السمك فإنها تقدم في إناء خاص.

وما لم يقم الخادم أو سيد المنزل أو سيدة المنزل بتوزيع السلطة على أطباق المدعوين، فإنها تقدم في قدر كبير من الصيني عادة وعليه شوكة وملعقة من العاج أو البلاستيك الجيد أو الخشب أو الحديد. وإذا قدمت السلطة بواسطة رب البيت أو الخدم، فإنها توضع في طبق على يسار الطبق الرئيسي، بحيث يتمكن الضيف من تناولها ووضع الخل عليها دون أن يسقط شيء من ذلك على الطبق الرئيسي. ولا تقدم أطباق الحلويات إلا بعد أن يتم رفع جميع الأطباق والسكاكين والملاعق والشوك والملاحات من فوق المائدة، وتنظيف المائدة بواسطة منديل نظيف أو منشفة أو بواسطة مكنسة شفاطة صغيرة خاصة بالمائدة . وفي الدعوات الممتازة، يحرص المضيف على أن يقدم الحلويات ومعها الملاعق والشوك الخاصة وإناء خاصاً فيه ماء معطر بعصير الليمون لتنظيف أطراف الأصابع تنظيفا رمزيا فقط. وإذا قدم الخوخ أو التمر، فإنهم يضعون على المائدة قدرا من الماء البارد أو المثلج لتنظيفها إن لم تكن قد نظفت من قبل. وإذا قدمت سلة أو إناء الفواكه فإن مجموعة من الشوك والملاعق والسكاكين ستوزع معها، وينبغي حينئذ أن يتم تناولها بوقار مع مراعاة تجنب إحداث ضجة أو أصوات. وفي فرنسا من النادر أن تنتهي وجبة الغداء أو العشاء دون تقديم ثلاثة أو أربعة أنواع من مئات الأنواع من الجبن التي تنتجها فرنسا، وتقدم على طبق خاص أو لوح من الخشب الجميل والمفروش ببعض أوراق الأشجار.

وبقدر ما يحرص الغربيون على وحدة مجموعة الأطباق وعدم تنوعها في الحفلات الفخمة، فإن اختيار الكؤوس له قواعده الخاصة. وقد تجد أحيانا أن أمام كل ضيف ثلاثة كؤوس مختلفة الأحجام، لكنها متحدة الألوان، ويستخدم أكبر كأس للماء، وكأس متوسط وآخر صغير للأنواع الاخرى من المشروبات، ويمكنك باعتبارك عربيا أن تكتفي باستخدام أكبر الكؤوس أمامك لشرب الماء أو العصير.

نوعية الطعام

نهتم نحن العرب وربما الشرقيون بصفة عامة بأصناف الطعام وتعدده وبكثرته

وبنوعيته ولذته، وهذه الأمور أيضا تجد بعض الاهتمام لدى الغربيين ولكن بصوره مختلفة تماما وبشكل غير محسوس اطلاقا. وقد يندهش المرء عندما يجد في حفلة تقام على شرف وزير خارجية أو على مستوى رئيس وزراء أو حتى رئيس جمهورية أنه لا يجد فرقا محسوسا في أصناف الطعام ونوعيته. وباختصار، فإن الفرق في الحفلات الرسمية الفخمة سيتركز حوله مجموعة من المظاهر الشكلية كالمنادين بأسماء الضيوف عند دخولهم وأن رئيس الخدم وفريقه منتبهون وواعون للاحتياجات ولدقائق الأمور اللازمة لراحة المدعوين، ويظل نوع الطعام وجودته متقاربة في حفلة كبرى ومتوسطة والصورة التي تتغير هي الأناقة ومظاهر الخدمة الممتعة.

وفي حفلات متواضعة تتم بين الأصدقاء الحميمين والخالية من الكلفة وتسودها الألفة، ربما يكون طعام الغداء أو العشاء عبارة عن قطعة من الجامبو أو اللحم البارد والبطاط المقلي وسلطة منوعة أو سلطة من الأوراق الخضراء ولكنها مقدمة بطريقة جذابة وراقية وتبعث على الإحساس ببيئة ثقافية منظمة ومرتبة، ربما تكون في نظر المدعوين أفضل من حفلات الكفيار وأشهى المأكولات في أعظم المطاعم .

خدمة المائدة

سبق أن قلنا أن ترتيب المدعوين حول المائدة أو الموائد يتم بجلوس المدعوين على يمين ويسار سيدة المنزل ورب المنزل، وأن السيدات يقعدن على المائدة قبل الرجال. وبنفس القاعدة فإن خدم المائدة يبدأون بتقديم أطباق المأكولات للسيدات، ويبدأون بأهم المدعوات، وينتهون بسيدة المنزل، ثم يقدمون نفس الأطباق للرجال مبتدئين بأهم المدعوين وينتهون بخدمة رب البيت أو المضيف.

أما في الدعوات التي تتم بين الأصدقاء أو بين عائلات تربطها روابط قرابة، فان تطبيق القاعدة السابقة يصبح صعبا، ولذا فإنه يتم البدء بخدمة أكبر السيدات سنا سواء أكانت الجدة أو الحماة أو سيدة المنزل ثم البنات ثم أكبر الرجال سنا وبعدهم الشباب والأطفال طبقا لسنهم .

هذا وتقدم الأطباق على شمال المدعوين، بحيث توضع على يمينه المشروبات، ويتم سحب الأطباق المستخدمة من الشمال أيضا، بينما تُقدّم الأطباق النظيفة من اليمين.

ومن المفيد أيضا الأشارة إلى ذلك النوع من الدعوات الخفيفة بين الأصدقاء أو الأقارب، أو بين أولئك الناس الذين لا يملكون خدما في منازلهم، وهم الغالبية الساحقة من الناس، باستثناء نسبة بسيطة من الأغنياء ورجال الأعمال. ولذا فإن أحد أفراد الأسرة هو الذي سيأخذ على عاتقه خدمة المائدة وراحة الضيوف ويمكن أن يكون أكبر الأبناء وأحيانا يمكن استئجار شخص أو أكثر من أحد المطاعم بحسب الأحوال. وفي مثل هذه الدعوات الصغيرة ، فإن كثيرا من ربات البيوت يحرصن على تخصيص نوتة صغيرة يسجلن فيها جميع أنواع الطعام الذي ينبغي تقديمه طبقا بعد طبق، وذلك من أجل تحقيق النجاح وضمان جودة المأكولات. وتقوم سيدة المنزل بمراجعتها من وقت إلى آخر أو يقوم بذلك الخادم أو الابن الأكبر المكلف بخدمة المائدة.

مظاهر البهجة على المائدة

الدعوات لتناول وجبة طعام في منزل صديق أو في مطعم ما تختلف باختلاف المناسبات ودرجة الصداقة ونوعية الروابط العائلية والاجتماعية. ولذا فإنها لا تخضع جميعها لقواعد وأعراف محددة والزامية إلا فيما يتعلق بآداب المائدة وطريقة تقديم الأطباق والمأكولات. وهي في جميع الأحوال تختلف عن تقاليد بعض الدول العربية التي تتسم بالبساطة وبعدم التدقيق في كثير من الأمور. وعلى سبيل المثال فإن طراحة المائدة تأخذ أهمية خاصة، ويفضل الأوروبيون أن تكون أطرافها موشاة ومزينة بالدانتيل. واهتمام الفقراء بطراحة المائدة يبدوا واضحا، حيث تقوم النساء نفسها بتطريزها باليد وإضافة الدانتيل على أطرافها وإضفاء أكبر قدر من الجمال على المائدة. أما عند الأمريكان فإن غطاء الموائد التي تسود في منازلهم تتسم بالبساطة وتتم بمكينة التطريز، وهذا النوع العملي من غطاء مائدة الطعام الامريكي بدأ ينتشر بشكل كبير في أوروبا. وتحتل المرأة في سوريا وبعض الدول العربية الأخرى مكانة جيدة من حيث انتاج اغطية المائدة وتطريزها.

وذوق المائدة لا يتعارض كثيرا مع تعدد ألوان الأطباق، ويصادف المرء في دعوات كبيرة استخدام أطباق تختلف في ألوانها وأشكالها، بل وأن بعضها من النوع القديم وأخرى من النوع الحديث. ويبدوا أن هذا أمرا مألوفا وخاصة في الدعوات المنزلية، لأن كل أسرة تحرص على استخدام ما لديها من أطباق، ولن تكلف نفسها شراء كميات من الأطباق

الموحدة من أجل الدعوة للغداء أو العشاء. لكنهم يحرصون على خلق جو مفعم بالنظام. وستجد أن هناك وعاء لحمل السكاكين وأن الطفايات مرئية، وأن باقة من الورد الجميل تزين الصالون، وأن سلة الفواكه موضوعة فوق طاولة خاصة. وهكذا فإن الدعوة لتناول الغداء أو العشاء تصبح فرصة مناسبة للتسلية وللحديث الممتع أو حتى للاتفاق على أسس مشروع أو عمل مشترك.

السلوك الشخصي على المائدة

هناك بعض الآداب التي ينبغي مراعاتها على المائدة، وهي لا تختلف اختلافا جوهريا بين مختلف الثقافات، ومن هذه القواعد التي ينبغي مراعاتها وأنت على المائدة ما يلي :-

- لا تعلق منديل المائدة حول عنقك أو فوق ربطة العنق أو متدليا فوق صدرك، لأنها عادات مقصورة على الأطفال العاجزين عن التحكم في تناول الطعام، وأفضل طريقة هي وضعه على الحجر ونشره حول حزام البنطلون بحيث لا يتعدى مفاصل الركب.
- في العادة، يقدم الخبز مقطعا أو يقدم على شكل قطع صغيرة ملفوفة في المند يل، فلا تقطع الخبز من جديد بالسكين، والأفضل أن تضع قطعة صغيرة منه على يسارك وتقطع منها جزءاً بسيطا أو لقيمة بأصابعك.
- عند تناول الزيتون أو فواكه الكرز أو العنب أو أي شيء له نواة، لا ترمي النواة مباشرة من فمك إلى المائدة أو إلى الإناء المخصص لها، بل ينبغي أن تطردها الى يدك بوقار وهي مقفولة، ثم ضعها في الوعاء المخصص للنواة. ويفضل البعض أن يتم قذفها بصورة متكلفة جدا من الفم مباشرة الى الشوكة أو الملعقة ثم يضعها على الإناء أو الطبق المخصص للنواة والبقايا.
- عند تناول الزبدة أو المعجونات المشهية قبل تناول الطعام، كالترتين الفرنسي، فإن الطريقة المثلى هي وضع قطعة صغيرة منها على قطعة صغيرة من الخبز، ثم أكلها دون حاجة إلي نشرها أو بسطها على قطعة الخبز.
- لاحظ بانتباه أن سكينة السمك هي سكينة خاصة، فلا تستخدم السكينة الحادة

لتناول السمك. حتى إذا كانت سكينة السمك لا تقطع بكفاءة، لأنها عادة سكينة غير حادة، فيمكنك استخدام الشوكة مع سكينة السمك للقيام بهذا الغرض.

- سيدة البيت أو الخادم هو المسئول عن تقطيع كمية اللحم وغيره وتوزيعه على مختلف الضيوف، فلا تباشر بالقيام بمثل هذه المهمة إلا إذا طلب رب البيت أو ربة البيت بأن يخدم كل شخص نفسه.

- لا تبدأ في تناول الطعام قبل أن تدعوك إليه ربة المنزل، ولا تفعل ذلك أبدا إلا بعد أن تكون هي قد بدأت بتناول الطعام على الأقل.

- تناول الشربة من أكثر الأمور التي تستحق المراعاة، فلا ينبغي أبدا نفخها لتبريدها، ولا إحداث صوت عند شربها، ولا إدخال الملعقة كلها إلي الفم، كما أنه من غير اللائق رفع طبق الشربة وإمالته إلى الجنب من أجل تصفية كل محتوياته.

- يقوم البعض بتمضية وقت انتظار خدمة المائدة باللعب بالسكين والشوكة والملعقة، وهي عادة توحي بالاضطراب النفسي، أو على الأقل بعدم الراحة وتقلل من انتباهك لحديث الآخرين.

- من غير المناسب تقريش التفاح أو الخوخ أو البرتقال، والأفضل تقطيعها أرباعا على الطبق، ثم التخلص من قشرتها بعد ذلك بالسكين، أما المشمش والبرقوق فيمكن تناولها بالأصابع مباشرة. وبالنسبة للفواكه الكبيرة كالشمام والبطيخ، فإن التخلص من قشرتها ينبغي أن يتم على الطبق وباستخدام السكينة والشوكة معا، وهو الأمر الذي يقوم به الكثيرون حتى بالنسبة للبرتقال. أما الليمون الحلو «الجريب فروت» فيقطع أنصافا ثم يؤكل بملعقة صغيرة وهو على الطبق. وخذ من العنب عنقوداً صغيراً أو أكثر . ويكره الإنجليز عادة تناول العنب من رأس العنقود حبه حبة، لأن هذه الطريقة تتلف بقية العنب في العنقود، وتجعل من غير الممكن حفظه أو أكله بعد ذلك.

- هناك بعض المأكولات التي يصعب تناولها أحيانا بالشوكة والسكين وتحتاج إلى حذر شديد عند تناولها، خشية أن تنط وتلوث المائدة أو ملابسك، كالبطاط المحمر أو المطبوخ كاملا دون تقطيع، وكذا معظم أنواع المحار والقواقع البحرية

والجمبري.

- في الدعوات الكبيرة أو الرسمية، من غير المقبول أبدا غمس قطعة الخبز في الصلصة أو الخضار وتناولها باليد أو حتى بالشوكة، ويمكن التسامح في استخدام الشوكة فقط في الحفلات العادية أو الدعوات الصغيرة، أما عادة تغميس قطعة الخبز بالأصابع المنتشرة في الوطن العربي، فهي عادة مستنكرة لدى الغربيين ، فحاذر القيام بها .
- صب الماء أو العصير لكوب جارك في المائدة دون حاجة إلى أخذه إلى أمامك، وعندما تشرب لا تحدث صوتا نتيجة للشرب، وحاذر جدا بل وراقب نفسك من إحداث أصوات نتيجة لمضغ الطعام في الفم.
- اذا انقلبت كباية العصير أو الماء أو الشاي بسبب حركة منك، فلا تهرع للبحث عن أشياء لتجفيف المائدة، بل اترك هذا الأمر لسيدة المنزل أو للخادم الذي يمتلك الحل السريع لتنظيفها .
- للإيطاليين عاداتهم الخاصة في تناول المكرونة، وجبتهم الشعبية، فهم يطوونها بخفة حول الشوكة وينقلونها إلى الفم على شكل كرة متماسكة. لكن هذه الطريقة لايحبها الفرنسيون وليست شائعة لدى غيرهم من الغربيين. وهم يفضلون تقطيعها بالشوكة أو بالسكين ويتم تناولها بالشوكة أو الملعقة .
- من حيث المبدأ جميع أنواع الجبن يقطع بالسكين ثم تؤخذ قطعة صغيرة لتأكل مع قطعة خبز، وهناك بعض أنواع من الجبن الجاف أو الصلب الذي يمكن تناوله بالشوكة.
- لا تترك اقدامك تتعلق تحت المائدة كبندول الساعة ذهابا وايابا فتعطي انطباعا عن اضطرابك النفسي دون داع.
- ليس من اللطيف أن تخلع احذيتك وأنت على كرسي المائدة، واذا اضطررت إلى ذلك، فينبغي أن تتأكد أن شراباتك نظيفة، وأن أحدا ممن هم بجوارك لا يحس بأنك قد خلعت أحذيتك.

- وهناك قاعدة مستقرة في جميع الحضارات مضمونها أنه لا ينبغي تناول الطعام بشراهة ونهم.
- لا يحب الغربيون أثناء طعام الغداء والعشاء أن يطلبوا الشربة أو الجبنة أو الحلويات مرتين، ولكنهم يطلبون الطبق الرئيس أو الخضار مرتين مقرونا بإشارة ثناء مختصرة للطباخة الجيدة والشهية، أو بالثناء غير المباشر لسيدة المنزل التي أعدت الطعام.
- من العادة أن يوضع الملح في الملاحة، حينئذ ليس هناك إشكال في استعمال الملاحة. لكن إذا كان الملح في إناء مفتوح، فإن العادة تقتضي استعمال رأس السكين لأخذ قليل من الملح.
- إذا وجدت على طعامك أي شيء كالشعرة أو القشة أو دودة على أوراق السلطة، فإن الواجب يقتضي التخلص منها وازاحتها جانبا بوقار ودون أن يلاحظ ذلك أحد من جيرانك.
- بعض الناس يسمحون لأنفسهم بمسح أصابعهم بغطاء المائدة، بل وأحيانا بقطعة من الخبز، ويقال أن الانجليز كانو يتسامحون في هذه العادة الأخيرة، لكنها الآن أصبحت عادة مستهجنة وغير مقبولة إطلاقا، وخاصة في تقاليدنا العربية الإسلامية التي تعتبر الخبز جزءاً من نعمة الله فلا يجوز تنظيف اليد به.
- في حالة العطس أو التثاؤب أو السعال، من الأدب أن تعطس على منديل أو تضع يدك على فمك في حالة السعال والتثاؤب، هناك أشخاص يفضلون الامتناع عن التثاؤب تماما.
- هناك طريقتين لتناول الموز، الأولى سهلة، وهي بمسك الموزة باليد اليسرى وتقشيرها من الرأس بواسطة السكينة ثم تناولها ببساطة، أما الطريقة الثانية وهي دقيقة وبروتوكولية جدا، ولا تستخدم إلاّ في المناسبات الفخمة، ومضمونها أن يتم أولا قشر الموزة بالطول وهي على الطبق بواسطة السكين والشوكة، ثم تزاح القشرة جانبا ثم تقطع الموزة قطعاً صغيرة وتؤكل.
- يقدم الكفيار على المائدة في علبته الأصلية، ويوضع في طبق مملوء بالثلج وعليه

ملعقة صغيرة لتذوقه على الطبيعة أو لتناوله، والطريقة المثلى لذلك هي بوضع كمية منه على الخبز المحمر «التوست» المفروش بطبقة خفيفة من الزبدة.

- بغية التأكيد لا التكرار، فإن الشوكة توضع على يسار الطبق وتستخدمها اليد اليسار بالطبع، أما السكين والملعقة فتوضعان على يمين الطبق، ولا يمكن استخدام السكين والملعقة إلا باليد اليمين. أما ملعقة الحلويات وسكينة الحلويات فتوضع ما بين الطبق وكأس الماء.
- في عام ١٦٤٢ أعلن البلاط الملكي النمساوي قانون المائدة، وبقدر ما هو قاعدة قديمة، فانه يعكس جانبا هاما من تطور آداب المائدة، فقد جاء فيه « لا ينبغي أن يرتسم الإنسان أو يتجمد على الكرسي، وأن لا يحك نفسه عليه، وأن لا يشرب وفمه ملآن، وأن لا يدخل أصابعه في الطعام، وأن لا يقذف بالعظام تحت المائدة، وأن لا يلحس أو يمتص أصابعه، وأن لا يسقط الطعام على طبقه، وأن لا ينظف أنفه بمنديل المائدة أو بطراحتها ، وأن لا يشرب بأسلوب حيواني» وهكذا فإن قواعد السلوك وآدابه قد تمت وتطورت منذ ذلك التاريخ فقيدت تصرفات الفرد وحرياته.

بعد تناول الطعام

من المؤكد أن نجاح حفلة الغداء والعشاء يشكل جوهر الهدف من الدعوة لدى الغربيين، ولذا فإنهم يحضرون كثيرا لهذه الحفلات، وتراعي سيدة المنزل مختلف القضايا وتفاصيل الأمور.

وعند نهاية المائدة فإن سيدة المنزل أو سيد المنزل، بحسب الظروف، هو الذي سينهض أولا، وهذه العادة تختلف عادة عن العادات العربية، حيث ينبغي أن يبقى رب البيت حتى ينتهي آخر المدعويين من تناول وجبته. ومع ذلك فإن رب أو ربة البيت في المجتمعات الغربية لابد أن تراعي أن الجميع قد انتهوا تماما من تناول الطعام، وهذا أمر سهل لأن أصناف الطعام تقدم واحداً تلو الآخر. وحتى عند انتهاء الضيوف من تناول الطعام ولا يزال يربطهم على المائدة حديث شيق فإن سيد المنزل أو سيدة المنزل لن تنهض من المائدة ولن تقطع الحديث حتى تجد فرصة مواتية تعرض فيها على الآخرين فكرة مغادرة المائدة والانتقال

إلى مكان آخر.

وهنا ينبغي على الضيوف الانتباه إلى عدم جر الحديث مدة طويلة على المائدة بعد الانتهاء من الطعام، كما وينبغي إعطاء رب البيت أو ربة البيت الفرصة للنهوض والانتقال إلى الصالون.

وعندما يكون المدعوون كثر، فمن الطبيعي أن ينقسموا إلى عدة مجموعات في الصالون، ومن دواعي اللطف والآدب أن يمر سيد المنزل وحرمه على المجموعات ويسألوا ضيوفهم عن صحتهم وأخبارهم العامة، وطبعا دون الدخول في أسئلة خاصة أو شخصية.

وبعد تناول الطعام فإن من الكرم تقديم السيجار حتى لأولئك الناس الذين يكرهون رائحته في منازلهم وينسون تماما عداءهم المطلق لهذه العادة. وإذا كانت الدعوة لطعام العشاء فإنها قد تمتد عادة إلى منتصف الليل. وعند الساعة الحادية عشرة، فإن بعض المرطبات والعصير والمشروبات المختلفة تعرض على الضيوف.

مواعيد طعام الغداء

الموعد الأكثر مناسبة لتناول طعام الغداء هو بين الساعة الثانية عشرة والنصف والساعة الواحدة. أما عن مواعيد الطعام في إسبانيا فهي في الساعة الثانية والعشاء في الساعة العاشرة مساء، كما أن الضيوف قد يستمرون حوالي ساعتين فوق مائدة الطعام في إسبانيا وفرنسا وإيطاليا ومعظم الدول الأوروبية باستثناء ألمانيا والدول الإسكندنافية وأمريكا وبريطانيا.

دعوة غداء للعمل

سن الأمريكيون من رجال الأعمال عادة الاجتماع حول مائدة الطعام في المطاعم وليس في المنازل الخاصة. وقد يتم تحديد موعد اللقاء في مطعم معين حيث يقوم الداعي بحجز طاولة طعام بعدد المدعوين، وعليه أن يصل إلى المطعم قبل ضيوفه ويرتب كل شيء، وربما يدفع الحساب سلفا لأنه يكون قد حدد جميع أنواع المأكولات بما في ذلك قيمة الفاكهة والقهوة وحتى البقشيش المتفق عليه في حدود ١٠-١٥٪ من قيمة الطعام في معظم الدول الغربية.

وفي دعوة غداء العمل قد ينحصر الحديث حول الأعمال نفسها، ولكن بالطبع، بعد كلمات الترحيب والاستفسار عن الأحوال. ورغم أن الحديث يتركز حول الأعمال كما ذكرنا، إلا أن البعض يفضل الاقتصار على العموميات والعناصر الرئيسية في الموضوع وعدم الدخول في التفاصيل التي قد تخل بجو المائدة. ومن أجل مراعاة مواعيد الآخرين وارتباطاتهم فإن من المستحسن التركيز على النقاط الجوهرية التي يمكن الاتفاق عليها وعدم سحب الجلسة إلى ما لا نهاية أو إضاعة الوقت في أحاديث لا علاقة لها بعالم الأعمال الذي يعرف قيمة الوقت وأهميته. ومن هذا المنطلق، وفي غداء العمل، من غيرالمستحب أن يستصحب الإنسان معه حرمه لأنها ستمل الحديث البعيد عن عالمها أو قد يجبر الآخرين على مجاملتها وتخفيف عزلتها بالخروج عن الموضوع الأساسي.

أما في دعوة عشاء العمل فإن مقتضياته أقل صرامة، فهو يأتي بعد الانتهاء من يوم عمل كامل ومضني، ولابد من توفير جو من الاسترخاء والراحة، ولهذا فإنه يمكن أن يتم في المنزل، والدعوة فيه مفتوحة لاستصحاب الزوجات. ويتم فيه تقضية وقت أطول من غداء العمل حيث تقل فيه احتمالات ارتباطات المدعوين بمواعيد أخرى، وعليه فإن دعوات عشاء العمل يمكن أن تمتد حتي الواحدة بعد منتصف الليل. ويجد الأمريكيون بشكل خاص أن حفلات عشاء العمل المسائية تقدم فرصة للقيام بعد العشاء بالخروج لمشاهدة استعراض غنائي أو مسرحي أو للفسحة، ولكن من الأفضل الاتفاق على ذلك من قبل. وهذا الجو الذي يحيط بعشاء العمل هو الذي يجعل وجود الزوجات مقبولا، حيث تقل فيها احتمالات الملل بسبب اتساع الوقت وتنوع الحديث وتوقع انتهاء دعوة العشاء بفسحة أو بخروج ممتع.

الحفلة المفاجئة

يعرف الغربيون وخاصة الشباب منهم نوع غريب من الحفلات التي تتم مفاجئة، وتسمى كذلك، لأن فكرة الاجتماع حول المائدة تظهر فجأة بين الأصدقاء ويتم تنظيمها بشكل عفوي وتلقائي. ولهذه الخصائص فإنها تكون بعيدة عن مقتضيات الدقة ولا تتوفر فيها شروط الأناقة المطلوبة. وتكمن صعوبة التنظيم في أنها مفاجئة وينظم إليها عادة عشرات الشباب وقد يصلون إلى الثلاثين في منزل واحد أو حديقة. ويكون الوقت الملائم

لحفلات الشباب هذه إما أثناء عطلات الصيف أو منتصف العام الدراسي أو خلال عطلات نهاية الاسبوع.

ومع ذلك، فإن الحفلة المفاجئة أو كما يسميها الأنجلو سكسونيون « سيربرايز بارتي» يمكن أن تحظى بدرجة جيدة من النظام وخاصة إذا تم الإعداد والتحضير لها. وتبقى العناصر الأساسية فيها هو أن الشباب هم الذين ينظمونها وأن كل واحد يساهم في احضار شيء معه من السوق أو حتى من بيته كالمأكولات الجافة والفواكه والحلويات والمشروبات. وأحيانا يُوكِلون لبعضهم وضع ميزانية تقريبية لمتطلبات الحفلة ويقوم كل واحد بدفع قسطه، وفي هذه الحالة الأخيرة تكتسب الحفلة كثيرا من عناصر الذوق والنظام لأنه يتم فيها تحقيق عناصر التوازن للمأكولات والمشروبات بوعي.

وأهم سمة لحفلات الشباب هذه أو «حفلات المفاجئة» هو انعدام القيود والشكليات. ويكون من السهل على أحد المشاركين أن يدعو صديقاً أو أكثر للحضور والمساهمة، وتسود روح الشباب البسيطة كل شيء وتتلاشى الحواجز ويتحقق التعارف والفهم المتبادل ويطبقون امثلتهم الشعبية القائلة «أصدقاء أصدقائي هم أصدقائي».

ومن الناحية الواقعية، فإن الغربيين متحفظون كثيرا بالنسبة للشرقيين، ولا يقبلون على الأجنبي بسهولة، ويبالغ البعض في تحفظه بالنسبة للعرب والأفارقة والآسيوين ليصبح نوعا من العنصرية، ولكن هذه الظاهرة تختلف من شخص إلى أخر ومن دولة إلى أخرى بل ومن مدينة إلى أخرى بسبب عدد من العوامل التي لا مجال لذكرها هنا . ولكن ما يهمنا هنا هو أن الآباء قد يمنحون أبناءهم نطاقا كبيرا من الحرية ويسمحون لهم بإقامة الحفلات في المنازل، ولكنهم يزيلون الأشياء والتحف القابلة للكسر، ويرفعون السجاجيد الأصيلة من الأرض وأحيانا يغلقون معظم الأبواب ولا يسمحون إلا بباب واحد. ويراعون تقارب السن بالنسبة للمحتفلين، فهناك أبناء الثامنة عشرة من العمر وهناك حفلات لمن هم فوق هذا السن. وإذا وجد الإنسان نفسه في مجتمع سن أغلبية الحاضرين فيه تنقص عن سنة عشر سنة فعليه أن يحتفظ بنوع من الوقار والرزانة، وأن يكتفي من هذه الحفلة بالاستماع إلى الموسيقى والاستغراق في تأمل بديع حول جيله والجيل الذي يراه أو الاقتصار على الحديث مع البعض دون المشاركة الكاملة في رقصاتهم وجوهم. أما إذا كانت فئات السن مرنة وغير مقتصرة على الشباب أو ليست في مرقص للشيوخ فعليه أن يقدر الموقف ويضع نفسه في

المكان اللائق به.

العادات والتقاليد في المطاعم

للمطاعم الممتازة في دول الغرب بعض القواعد والآداب الخاصة التي يصعب إدراكها لدى البعض بسهولة. ومن هذه الآداب على سبيل المثال أن يسمح المضيف لضيوفه بدخول المطعم أولا. وعلى الزوجين أن يدخلا معا، ولكن الزوجة أولا ثم الزوج ويتلوهما زوجين آخرين، وفي النهاية يدخل المضيف تسبقه طبعا حرمه.

ومن الأصول المتبعة أن المضيف وحده هو الذي يقوم بمخاطبة رئيس الخدم في المطعم، أو كما يسمونه «متر» أو «متردوتيل» ويخبره بأنه حاجز مائدة لعدد من المدعويين، ثم يتقدم هو هذه المرة نحوه ويتبعه ضيوفه.

وستجد تقريبا في جميع المطاعم ركن لإيداع البالطوهات والقبعات والمظلات وغيرها، ترعاها وترتبها سيدة أو صبي. وإذا كان المطعم ضخما فإنها ستعطيك وصلا عليه رقم يسهل على هذه السيدة معرفة أدواتك عند عودتك لاستلامها قبل مغادرة المطعم. وإذا كان جانب من كراسي المائدة مجهز بشكل مصطبة وثيرة « بانكيت» على الجدار وحولها كراسي عادية فإن المصطبة تحجز للمدعويين من السيدات، حتى إذا كانت السيدة هي المضيفة نفسها.

وبعد أن يقوم رئيس الخدم «متر دوتيل» بتوزيع قوائم الطعام « المنيو» على المدعوين فإن من مقتضيات اللياقة أن يحدد الشخص طلباته دون تردد وأن يتجنب إضاعة وقت رئيس الخدم في انتظار اختياره. ومع ذلك، فإن الضيف يستطيع أن يطلب من رئيس الخدم بعض التوضيحات حول صنف الطعام الرئيسي، كأن يختاره من اللحم أو السمك فيستوضح حول الخضار الذي يقدم معه. ومن الذكاء والأدب أن يترك الإنسان تحديد الإختيار للمضيف نفسه إذا كان من رواد المطعم ويعرف خصائص وجباته.

ومن الواضح أنه في الحفلات الكبرى والتي تضم عددا كبيرا من الأشخاص، فإن قائمة الطعام « المنيو» تحدد بصفة موحدة للجميع وتوزع على الجميع بشكل كروت صغيرة توضع على المائدة بجانب الطبق. ومع ذلك، وفي الحالات التي يكون فيها اختيار الطعام متروكا للضيف، فإن من اللائق أن يقدم المدعو اختياراته لمضيفه وهو يقوم بترتيبها جميعا

وتقديمها لرئيس الخدم «المتر». وأحيانا، فإن المضيف هو الذي يقدم استشارته لضيوفه حول أصناف الطعام ليسهل وصولهم جميعا لتحديد اختياراتهم الخاصة إذ أنه يكون قد استفسر أو حدد بعض الاختيارات التي يود تقديمها لضيوفه.

وعندما يتفق أصدقاء على تناول طعامهم معا في مطعم ما، فإنهم يتركون لأحدهم مسألة تنسيق الطلبات وتوضيح الاختيارات لرئيس الخدم. وعند إحضار قائمة الحساب، فإن كل واحد سيدفع حصته ويشارك بدفع قسط نسبي من البغشيش، ويتم ذلك بأسلوب تلقائي ومنظم، ولن يتسابقوا على اختطاف ورقة الحساب وإظهار كرم غير متوقع، وفي نفس الوقت، فإن كل شخص سيحرص على دفع حسابه كاملا ولن يتنازل لغيره بالدفع عنه.

وإذا كان هناك صنف من الطعام محضر في إناء واحد لجميع المدعوين، فإن المضيف يقدمه أولا للسيدات المدعوات ثم لزوجته ثم للضيوف من الرجال وأخيرا يخدم نفسه. وإذا لاحظ المضيف أن أحد المدعوين لم يأخذ كفايته فإنه يستطيع بأدب ووقار أن يطلب كمية أخرى. لكن الأمر المحرج والنادر أيضا أن يلاحظ المضيف أن هناك عيب في صنف من أصناف الطعام أو في الشراب، فإنه ينقل ملاحظته لرئيس الخدم بأدب من ناحية وبثبات ووقار من ناحية أخرى، ويطلب منه تغيير الطعام أو الشراب المعيب. ويقتصر هذا الحق على المضيف وحده دون الضيوف الذين لا يليق بهم التعبير عن شكواهم.

وبعد تناول الطعام ودفع الحساب وعند الخروج فإن الغربيين يتقدمون النساء حتى باب المطعم ثم يتيحون المجال للنساء في الخروج من البوابة أولا ويخرج المضيف آخر الجميع.

وهناك ملاحظة هامة عند دخول المطاعم في الدول الغربية، إذ يجب على المرء ورفاقه أن ينتظروا قليلا عند مؤخرة صالة المطعم حتى يصل «المترودتيل» لتحديد الطاولة المحجوزة لهم وإبلاغهم بالمائدة التي يستطيعون شغلها إذا لم يكونوا حاجزين أو الاعتذار لهم بعدم وجود أماكن. ومن الطبيعي، فإن هذه الملاحظات لا تنطبق على المطاعم الجديدة التي انتشرت في الدول الصناعية كلها في العقدين الأخيرين على الطريقة الامريكية والمسماة «السلف سرفيس» لأن كل شخص يخدم نفسه والطعام فيها يختار مباشرة وهو في العادة نوعية متواضعة جدا من الطعام.

وهناك بعض العادات المتسامح فيها في بلادنا العربية ولكنها من الأمور التي لا يتسامح فيها الغربيون إطلاقا، وأهم هذه العادات «الرديئة» التصفيق باليدين أو حتى بالأصبعين للجرسون أو لرئيس الخدم بغية دعوته أو مناداته أو إحداث أصوات بضرب الكأس على إناء آخر أو بضرب السكينة أو الشوكة على طبق، وباختصار فإنهم يكتفون بإيماءه أو إشارة بسيطة وصامتة وفيها الكفاية لجذب انتباه الجرسون. فهو يعرف تماما واجبه ومصلحته، وسيلاحظ إيماءتك وسيصل بخجل إذا كان قد تأخر فعلا عن خدمتك ، فلا تحاول شد الانتباه وتجنب الظهور قدر الإمكان. وتأكد أن إحداث أي ضجيج أو صوت أو حديث بصوت عال لابد أن يجر إلى نتائج سيئة، أولها أن جيرانك والمحيطين بك سيصمونك بالهمجية والبربرية والتخلف وستشارك في تعميق الشعور بالعداء ضد العرب، وتؤكد دعايات أعداءك بأنك إنسان لا زلت غريبا عن آداب وثقافات الحضارة الحديثة. تذكر دائما أن عليك أن تنتظر أحيانا ساعة أو أكثر في بعض المطاعم حتى يتمكن الخدم من تقديم وجبتك.

ومن مظاهر التعبير عن الكرم في تقاليدنا العربية الإصرار على أن يتناول الضيف المزيد من الطعام، وما من شك أن ارتفاع المستوى التعليمي والصحي والثقافي في الحضارات الغربية قد خلق وعيا كبيراً لدى الناس بأضرار الأكل الكثير على الصحة وعزز الذوق بجمال الجسم الرشيق وبضرورة المحافظة على حد أعلى لوزن الجسم وتجنب السمنة، ولذا، فإن الإصرار على دعوة الضيف لتناول مزيد من الطعام يعتبر أمرا ثقيلاً ومستهجنا. ومع ذلك، فلا مانع من إشارة صغيرة وكلمة مقتضبة مثل : هل تريد مزيدا من هذا الطعام؟ أو مثلا، لقد أعجبني هذا النوع من الطعام فهل ازيدك قليلا منه. وفي جميع الأحوال فإن الغربي لا يجد ما يمنعه من تناول مزيد من الطعام إذا أراد وبمجرد دعوته بالإشارة أو حتى بكلمة واحدة. وفي نفس الوقت، إذا لم يكن له رغبة في تناول مزيد من الطعام فإن الإصرار عليه سيدفعه إلى الضيق والحرج.

وإذا ذهبت مع أصدقاء لتناول كوب من الشاي أو عصير فواكه أو لتناول طعام الغداء أو غير ذلك، فلا شك أن عرضك عليهم بدفع الحساب واعتبارهم ضيوفك هي مؤثر للتقدير والكرم، ولكن ينبغي أن تتجاوز تلك الحدود القوية التي تفصل بن عالمنا العربي وعالم الغرب، ولا داعي للصراخ والاشتباك بالأيدي ومحاولة اختطاف ورقة الحساب، فإن تلك

تصرفات لا علاقة لها بالأدب ولا بالذوق في نظر إنسان الحضارة الصناعية. وإذا وجدت نفسك في حالة مثل هذه، فما عليك إلا أن تلتفت يمينا وشمالا أو الى الخلف لترى نظرات الاستغراب على وجوه الناس من حولك في المطعم ثم استدر للخادم أو «الجرسون أو الميتر» وشاهد نظرات الاحتجاج على وجهه وعبر له عن الاعتذار لضياع وقته الثمين.

المناسبات والأحداث السعيدة

عرف الإنسان المناسبات السعيدة والأحداث الاجتماعية منذ فترة مبكرة من التطور. ولا يمكن أن يكون صحيحا ذلك الاعتقاد أن إنسان ما قبل التاريخ لم تحكم سلوكه وتصرفاته بعض القيود الاجتماعية. فقد كان الإنسان البدائي يمارس أنشطة اجتماعية تحتاج الى قواعد وتقاليد لتنظيمها كممارسة الصيد البري والصيد في البحر وتأمين الغذاء والملبس وحماية كهفه أو مكان نومه واقناع الجنس الآخر على قبول معاشرته أو العيش بالقرب منه ولو لفترة قصيرة. كل هذه المقتصيات الإنسانية لم يكن بالإمكان أن تتم دون حد أدنى من القواعد والتقاليد المتعارف عليها للمحافظة على البقاء.

وقد تمكن الإنسان بما حباه الله من قدرة عجيبة على التكيف المستمر مع بيئته من التطوير الدائم لحياته، وكانت ملكاته الذهنية والعقلية تشكل الفارق الجوهري بينه وبين المخلوقات الأخرى كالحيوانات وغيرها. وإذا كان الأسد ملك الغابة لا يمتلك إلا مخالبه وأنيابه القوية للهجوم والدفاع وإرهاب عالم الحيوان وإخضاعه، فإن الله قد ميز الإنسان بقدرة عظيمة وموهبة لا تملكها المخلوقات الأخرى وهي العقل. وبفضل هذه القدرة الذهنية الخارقة تمكن الإنسان خلال آلاف السنين من بناء حضارته المادية والمعنوية. وما من شك أن المنجل والسكينة والحربة لم تبدأ بالشكل الذي نعرفه اليوم، فقد أخذت اشكالاً بدائية، وإن الرموز والرسوم والزخارف قد عبرت خلال قرون طويلة عن معان وتقاليد دينية وسحرية لم يكن بالإمكان القضاء عليها أو التخلي عنها بسهولة.

وقد تطورت الآيديولوجيات الاجتماعية للإنسان بعوامل عديدة أهمها الأديان. فقد جاءت للقضاء على الفوارق الصارخة بين الناس، والغت العبودية ونظمت العلاقات بين البشر وجعلت الزواج المبني على الرضا والإقناع أساساً لنظام الأسرة كما جعلت من الأسرة أهم خلية في المجتمع. وفي الوقت الذي عدلت فيه الأديان بعض القواعد الاجتماعية أو

حرّمتها فإنها قد أضفت على العديد من التقاليد والقيم الاجتماعية شرعية الثبات والاستقرار، واقترنت أحداث الولادة والزواج والوفاة بعدد من المراسم ذات الطابع الديني الملزم. لكن أشكالا أخرى من المراسم والتقاليد والعادات قد تطورت خلال القرون وحظيت في نهاية القرن العشرين بمزيد من الاحترام. ولم يحدث التطور التكنولوجي العجيب الذي حققه الإنسان خلال هذا القرن إلا تجديدات وتعديلات طفيفة على أشكال التقاليد دون أن يمس جوهرها ومضامينها.

وبصورة عامة فإن المناسبات السعيدة والأحداث المحزنة ما زالت تستأثر بالجانب الهام من الآيديولوجيات الاجتماعية، ليس في دول الغرب فقط، بل في كل المجتمعات البشرية بلا استثناء.

وهكذا تعتبر الولادة والخطبة والزواج مناسبات اجتماعية بهيجة وسارة يحتفل بها الإنسان في كل زمان ومكان، وكذلك الحال بالنسبة للأحداث غير السارة كالمرض والوفاة والحداد فإنها أمور تدفعنا إلى القيام بعدد من التصرفات بقصد المواساة ورفع المعنويات والتعبير عن شعور التضامن تجاه أولئك الناس الذين أصابهم الحدث هم أو اقرباءهم.

لكن من المفيد أن نلفت الانتباه إلى أن هناك فوارق أساسية بين ردود فعل الناس في المجتمعات الغربية وردود فعلهم في المجتمع العربي، ومنها ما يعود إلى أسباب دينية وثقافية وتاريخية واجتماعية وبيئية مختلفة. هذا بالإضافة إلى أن الالتزامات والقواعد الأدبية في الغرب بقدر ما هي متعددة ومتنوعة فإن الفرد يمارسها بحكمة وبتعقل. وعلى العكس من ذلك نجد أغلبية أبناء المجتمع الشرقي يغالون في مناسبات كثيرة في التعبير عن أحاسيسهم ويطلقون العنان لمشاعرهم ووجدانهم، الأمر الذي قد يغير الهدف من المشاركة أو على الأقل يقلل منها . ومع ذلك، فإننا هنا لا نريد أن نوصي باتباع الأصول والقواعد الغربية أو ندعو الآخرين إلى اقتباسها، لأنها ليست حتما أفضل من القواعد الخلقية والاجتماعية العربية الغنية بالتضامن والزاخرة بالألفة والحنان، لكننا راعينا فقط الإشارة إلى أن المبالغة والإسفاف فيها قد تنعكس نتائجه على الوسط الاجتماعي الأقل ثقافة فتسبب بعض المتاعب لأولئك الذين أردنا مواساتهم أو مشاركتهم أفراحهم.

وسوف نعالج أهم المناسبات والأحداث الهامة واحدة واحدة لنعرف آداب السلوك الخاصة بكل منها على حد.

الولادة

الحمل في حد ذاته ليس حدثا له مراسيم أو يستحق أي نوع من أنواع الاحتفال، ولكن قد تقوم المرأه الحامل بنقل الخبر إلى الأقرباء والأعزاء من الأهل والأصدقاء الحميمين. وما يهمنا في الأساس هو أن نقدم للقارىء العربي التقاليد والنظم المتبعة وخاصة بالنسبة لأولئك الذين تضطرهم أعمالهم إلى البقاء في الغرب مع عائلاتهم. وأول ما ينبغي أن نلفت انتباه القارىء اليه هو أنه عندما يجد زوجته في حالة حمل فإنه لا بد من حجز غرفة في المستوصف أو مستشفى الولادة القريب منه قبل مدة كافية. ومن الأفضل أن يتم ذلك عن طريق طبيبة الزوجة أو القابلة التي ستقوم بتوليدها. وتفرض حالة الولادة في الشرق والغرب تأمين سيدة تقوم بالعناية بالطفل وأمه بعد الولادة خلال فترة تقل أو تكثر، وقد تتجاوز في معظم الدول العربية الثلاثين يوما وأحيانا الأربعين يوما وتقتصر هذه المدة في الغرب على فترة تتراوح بين ثمانية أيام وخمسة عشر يوما.

وقبل الولادة تقوم الأسره بإعداد محتاجات الطفل القادم، وفي الغالب ستجد في المدن دكاكين خاصة يمكنك أن تجمع منها كل محتاجات مولودك. وإذا كان لديك أطفال كبار، فإن عليك أن تدبر شخصاً يرعاهم أثناء غياب أمهم في المستوصف.

وأهم من ذلك أن يكون هناك وسيلة مأمونة للاتصال بك تليفونيا في الأيام الأخيرة السابقة للولادة وتوفير وسيلة المواصلات السريعة التي تنقلها إلى مستشفى الولادة التي حجزت لها سريرا فيه.

ومن الغريب في الدول الغربية أن يسمح للزوج، وأحيانا يدعى للحضور إلى غرفة التوليد أثناء الولادة، ولكن الأشداء فقط من الرجال هم الذين يقبلون هذا

التكريم على الطريقة الغربية. وما من شك في أن هذه الدعوة مقصود بها مساعدة الأطباء أو القابلة، بل وبالدرجة الأولى مساعدة الأم على الولادة السهلة وليس هناك أي مصلحة أخرى لهذا الحضور.

وإذا كان من المسلم به أن الأوروبيين لا يبالغون في التعبير عن مشاعر الفرح في كثير من الأحوال، إلا أنه في حالة الولادة يقوم الأب أو والديه أو أقرباءه بابلاغ الأقرباء والأصدقاء تليفونيا بحادث الولادة. وأول من ينبغي إبلاغهم الأبوين أي جدي المولود والأبناء، ولا ينسون أبدا إبلاغ بعض الأشخاص من رجال الدين وخاصة من نسميه باللغة العربية «الإشبين» وسنجد أن هذا الإشبين سيقوم بدور ديني هام في تعميد الطفل وتهيئته للحياة الدينية.

- هدايا الطفل:

يعتاد الأوروبيون على تقديم هداياهم حتى قبل الولادة بأسبوعين. ومن المبادرات المؤثرة أن يكون الأب هو أول شخص يقدم هديته لمولوده أو للأم، وقد يكون عقد من الحلي أو مجموعة من الروائح أو باقة من الورد. ومع ذلك، فإن الأم هي التي تستقبل الهدايا من الأبوين والأقرباء والأصدقاء فتقدم لهم الشكر في الحال أو كارت بوستال على عنوانهم، لكنهم لا يحبون تقديم الشكر بالتليفون. واختيار الهدية يعتبر عملا ينم عن الذوق، فقد يكون في الغالب شيئا جميلا للطفل، وممكن أن يكون لأمه، وهناك من يعبر عن رغبته لوالدته في تقديم هدية ويطلب منها مساعدته في تحديد الاختيار المناسب، لكنه ليس من المستحب تقديم هدايا أطفال بهذه الطريقة التشاورية.

- لوازم الطفل :

بالنسبة للمهد، يحرص الناس في الغرب أن ينسجم شكله مع أطقم المنزل العائليه، سواءاً كانت حديثة أو تقليدية، ويصبغونه بلونها، وإذا سألت أحد تجار

أدوات الأطفال وعرباتهم عن أكثر المبيعات رواجا لأفادك بسهولة أنها تلك الأشياء الأكثر عملية والتي تضمن أحسن شروط صحة الطفل ونموه.

ومع قدوم المولود، فإن استعدادات جديه تمس كل ما يحبط بالطفل، حيث يتم توفير الملايات والملابس والمناشف ويفضلون الألوان البيضاء أو الفاتحة أو الخضراء أو الصفراء، ولا مانع من الزرقاء، والمهم هو تحقيق التوازن العصبي والابتعاد عن اللون الأحمر، بحيث تنفتح عيون الطفل على خطوط منسجمه تطور ذهنه وتنمي ذوقه منذ نعومة أظفاره. ويتخذ مكانه بعيدا عن الضوء المباشر أو تيار الهواء أو الأشعة المباشره للمدفئات.

- في مستشفى الولادة :

قبل حلول موعد الانتقال إلى المستشفى، فإن على الأم أن تكون قد أعدت حقيبة من الملابس الداخلية وملابس النوم ومجموعة من الروائح ومواد الزينة الضرورية فقط للمحافظة على مظهرها العام، وخاصة بالنسبه للأم التي تبقى مدة طويلة في المستشفى بسبب صعوبة الولادة.

وفي هذه الحالة، فإنه قد يسمح للزائرين بزيارة الأم وأجمل هدية لها في المستشفى هي باقة من الورد أو كتيب، ولا مانع من هديه صغيرة للطفل أثناء بقاءها في المستشفى. وينبغي أن لا تمتد الزيارة عن نصف ساعة وذلك لحاجة الأم وطفلها للراحة. أما الأب فباستطاعته بل ومن واجبه أن يبقى بجانب زوجته وطفله أطول مدة ممكنة. وبقدر ما تكون تعبيرات الإعجاب من الزائرين بالطفل وبجماله وبصحته وهو يرقد في مهده من الأمور السارة واللطيفة بالنسبة لوالديه، فإن تقبيله خلال الأشهر الأولى من ولادته خطير على صحته وينبغي الامتناع عنه تماماً.

وأثناء البقاء في المستشفى، فإن من الواجب مراعاة تنظيف ملابس الأم والطفل وعدم إهمالها وجمعها لموعد العودة الى البيت، ومن واجب أقرباء الأسرة من النساء كالأم أو الأخت المبادرة بغسل الملابس كل يوم حتى لا يحتاج الأب لشراء كميات ضخمة من ملابس الأم والطفل. وفي الأيام الأولى تكون مساعدة الأهل والأقارب

مفيدة جدا، لان الأم تعاني من التعب من جهة وتقضي جزءا كبير من وقتها في استقبال الزائرين، ولذا فإن الميسورين يلجأون إلى استئجار خادمة خلال فترة الولادة الأولى وخاصة إذا كان هناك أطفال سابقون ينبغي العناية بهم.

ويراعي الأوروبيون أول فرصة تستطيع فيها الأم الخروج للفسحة وذلك بأن ينعم الأبوين بتناول وجبة غداء حسنة على انفراد تجمعهما معا. وقد يقوم الأبوان لعدة اطفال بتنظيم حفلة تجمع كل أبناءهم في منزلهم لتناول وجبه غداء شهيه ثم ينفردا في اليوم التالي بحفلة غداء خاصة بهما في إحدى المطاعم الممتازة في مدينتهم.

- الإجراءات الإدارية والولادة:

لا يدخل في إطار اهتمامنا هنا الحديث عن علاقة الدولة والإدارة بالمواطن في الحضارات الغربية، خاصة وأننا نكرس دراستنا هنا للأخلاق العامة والتقاليد وآداب الحياة بصفة عامة. ومع ذلك، فإن معالجتنا لهذا الموضوع تقتضي الإشارة باختصار إلى أن على الأب أو الجد أو أي قريب القيام بإبلاغ الجهات الإدارية المختصة في منطقته الإدارية بالولادة خلال الثلاثة أيام التالية للولادة حتى وإن كان المولود ميتا. ويتوقف على هذا الإبلاغ الوضع القانوني للطفل سواء بالنسبة للبلد المولود فيه أو بالنسبة للسلطات القنصلية لبلاده. وفترة الثلاثة أيام هي الفترة المقررة للإبلاغ المتفق عليها في معظم الدول الأوروبية. وفوات المدة المقررة للإبلاغ يعني أنه لا يمكن تسجيل تصريح الولادة بعد ذلك إلا بحكم من المحكمة المختصة.

وفي العادة، فإن موظف السجل المدني سيطلب من الأب أو من يقوم مقامه وثائق الحالة المدنية كجواز السفر أو البطاقة الشخصية، وتسجيل اسم العائلة والاسم الأول ومكان وساعة الولادة وتاريخها. وسيطلب أيضا شهادة المستشفى أو الطبيب أو القابلة التي قامت بالتوليد. والقيام بهذه الإجراءات ستجنبك الوقوع في تعقيدات لك ولابنك في المستقبل أنت في غنى عنها بخاصة أنه سيتوقف عليها جنسيته وانتماؤه الوطني والديني ليس فقط في البلد الأجنبي الذي ولد فيه بل وفي بلده أيضا.

الولادة والقواعد الدينية في دول الغرب

قد لا يكون استعراض القواعد والتقاليد الدينية في دول الغرب ذا أهمية مباشرة بالنسبة للعربي المسلم، لكنها تحتل أهمية خاصة لمن يريد تحقيق معرفة شاملة لمختلف جوانب الأيديولوجية الاجتماعية بالنسبة لأولئك الذين ستجبرهم ظروفهم على العيش لمدة طويلة للدراسة أو العمل الدبلوماسي أو التردد على هذه المجتمعات من وقت لآخر لغرض الأعمال القصيرة وليس لمجرد القيام بالسياحة القصيرة. وتعتبر معرفة هذه القواعد والقيم الاجتماعية ضرورية أيضا بالنسبة للباحثين والدارسين لقواعد السلوك والعلوم الاجتماعية.

وقد اهتمت المسيحية بالقواعد الشكلية للولادة والزواج ورسمت لها قواعد صارمة، وذلك بعكس الدين الإسلامي الذي أهتم بمضمون الحياة وجوهرها أكثر من اهتمامه بالأوضاع والأشكال.

وأول القواعد الدينية المتعلقة بالولادة في الديانة المسيحية هي قواعد «التعميد». وقد ذكرنا أن الوالدين عندما يقومان بتبشير الأقارب بالمولود فإنهما يحرصان أن يبلغا العراب والعرابة، وهو ما يسمى بالإشبين أو الإشبينة أيضا، ويعتبران بمثابة الأب والأم الروحيين للطفل في الديانة المسيحية. وسنوجز هنا القواعد الأساسية للتعميد.

- التعميد :

في التعميد يقوم القسيس بتلاوة بعض الطقوس الدينية والنصوص الإنجيلية على الطفل المولود حيث يقترب منه ويقول «أعمدك باسم الأب والابن والروح القدس...» بعد أن يمسح بقليل من الماء على رأسه. وتتم إجراءات التعميد إما يوم

السبت أو الأحد في الكنيسة بعد الصلاة قبل الظهر أو بعد الظهر، وهي تشبه القيام بالأذان كاملا بواسطة الأب أو أحد الأقارب وحمل الطفل على الذراعين بالنسبة للمولود في الدين الاسلامي.

وكانت العادة سابقا أن يتم التعميد في أسرع وقت بعد الولادة، وأصبحت الآن فترة شهر وهي مهلة مناسبة يقوم فيها الأبوان باختيار العرّابين من بين الناس العاديين المتمسكين بأهداب الدين المسيحي وتقاليده، وينتظر ردهما بالموافقة. وكانت العرابة هي التي تقوم بحمل الطفل عند دخول الكنيسة والأب وحده هو الذي يحضر دون الأم. أما الآن فإن الأم هي التي تقوم بحمل طفلها وحولها العرابين والعرابات. وقد تطورت التقاليد كثيرا فأصبحت الكنائس تخصص يوما منتظما ولو مرة في الشهر مثلا تنظم فيه حفلات التعميد لجميع الأطفال المولودين خلال ذلك الشهر. وفي حفلات تعميد المواليد يحاولون التأكيد على المغزى الديني للتعميد ويربطون بينه وبين مفهوم البركة المستمدة من النار والماء الموجودة في الاحتفال.

وفي الواقع، فإن كل عربي غير مسيحي ليس لديه ثقافة ومعرفة جيدة بالدين المسيحي سيجد صعوبة كبيرة في فهم الإجراءات الشكلية التي تتبعها الكنيسة الكاثوليكية في اختيار الكنيسة التي يجرى احتفال التعميد فيها وقواعد التسجيل في السجل الكاثوليكي ودور الأبوين والعرابين أو الآشابين «جمع إشبين» وملابس المناسبة وغير ذلك من الشكليات التي تفرضها حفلة التعميد. لكنها بصورة عامة تقتصر على تلك المظاهر الرئيسية التي تحدثنا عنها، ونورد مزيدا من التفاصيل وتقديم تحديد أفضل لهذا الموضوع.

– الاحتفال بالتعميد :

في احتفالات التعميد للأسر الكاثوليكيه من طبقة الأغنياء والميسورين مقتضيات ومتطلبات صارمة إلى حد ما، لكنها تتبع بشكل أخف في الفئات الشعبية وهي الأغلبية. وأول عمل في هذا المضمار، هو اجتماع الأبوين والجدين والأقرباء في الكنيسة. وترتدي السيدات الفساتين الأنيقة والمحتشمة في نفس الوقت، لأنها ينبغي

أن تنسجم مع الموقف الديني ومكان الاحتفال. والأغنياء يفضلون ارتداء نساءهم شرابات اليد «الجونتي» البيضاء والطويلة.

أما الطفل الذي سيعمد فيمسكه الإشبين أو العراب أو القسيس ويلبسونه ثوبا أبيض وطويلا. وفي الغالب ما يكون هذا الثوب متوارثا للأسرة جيلا بعد جيل ويضعون على رأسه قبعة بيضاء أيضا.

وتتجلى مراسم الاحتفال بالتعميد، منذ اللحظة التي يقومون فيها بفتح ياقة الروب الأبيض الذي يرتديه الطفل أو الطفلة، ثم ترفع القبعة من على رأسه أو رأسها، وبعد ذلك يقوم القسيس المختص بوضع يده على رأس الطفل ويضع قليلا من الماء على رقبته وجبهته ورأسه.

ثم يقوم الإشبين والإشبينة بترديد بعض الطقوس ويتلوان نصوصا من الإنجيل باللغة اللاتينية، ثم يتلوان نصوصا أخرى باللغة الإنجليزية أو الألمانية أو الفرنسية أو الإيطالية، بحسب لغة البلد. ثم يمدان ذراعيهما اليمنى المكشوفة ويضعانها على كتف الطفل أثناء صب ماء التعميد عليه.

أما المسيحيون البروتستانت فإن القسيس «ويسمى عندهم بالراعي» يعلن أثناء المراسم الدينية أن يلتزم بالبقاء مخلصا للعقيدة المسيحية باسم الطفل.

وبعد أداء الصلاة يقوم الأبوين بالتوقيع على السجل المخصص لذلك. وبعد ذلك يجد الأب أو الإشبين المناسبة لتقديم هدية رمزية متواضعة للكنيسة تكون في اغلب الأحيان علبة من البسكت الخاص الذي يقدمه القساوسة للمصلين أو كتابا دينيا وأحيانا هدية عادية.

وللأشبين أيضا هدية متواضعة هي صندوق أو أكثر من البسكت أو الشوكلاته، لكنها أحيانا قد تصل إلى عشرين علبة، لأن العراب أو الاشبين عليه بدوره أن يقوم بتوزيع قطع من البسكت والشكولاته على فريق الكورس من الأطفال الذين يقوموا بترتيل الأغاني الدينية. كما يقوم بتقديم هدية رمزيه للعرابة كعلبة من البسكت أو الشكولاته. ويقوم أيضا بإرسال باقة من الورد الأبيض صباح اليوم التالي لأم الطفل، كما ينبغي أن يقوم العراب أو العرابة بشراء هدية من الذهب أو الفضة أو

العاج للطفل الذي قاموا بتعميده. وتطول التزامات العراب والعرابة تجاه الطفل بإعطاءه هدية كل عام بمناسبة تعميده حتى يصل سن الثامنة عشرة وأحيانا حتى الزواج.

- حفلة غداء التعميد :

الاحتفالات والمراسم الدينية التي لخصناها، لا تقتصر على التعميد فقط، فلا بد في الغالب من تنظيم حفلة غداء يدعى إليها أبوي الزوجين وأمهاتهم والأصدقاء الحميمين وبعض الأقارب، وفي المقدمة هؤلاء العرابين.

ولكن إذا دُعي القسيس لحضور طعام الغداء فإنه يحتل المكانة الهامة على المائدة حيث يجلس على يمين سيدة المنزل بينما تجلس العرابة على شمالها.

وتستحق هذه المناسبة عادة تزيين المنزل بالديكور وبالأشياء البيضاء ويضعون على مائدة الطعام باقة كبيرة من الورد الأبيض وينثرون على جوانبها البسكويت والشكولاتة.

- القوة الاجتماعية للتعميد :

إن تلك الإجراءات الدينية والمدنية ليست دون مغزى اجتماعي. لكن، لا يمكننا ضمن إمكانيات هذه الدراسة أن نتتبع بُعدها الاجتماعي منذ ظهور المسيحية. ومع ذلك، فإننا نستطيع أن نؤكد الأهمية الحيوية لدور العرابين في إضفاء صورة دينيه لمفهوم التضامن الاجتماعي في المجتمعات الغربية والصناعية وخاصة في هذا العصر الذي تقطعت فيه كل صلات التضامن والتكافل الاجتماعي، وأصبحت الفردية وعبادة المصالح المادية هي القاعدة التي تحرك الأفراد وتحكم علاقاتهم وتحدد الروابط بينهم.

فالعراب والعرابة - وهما غريبان عن الطفل - يمثلان صورة للأبوة الروحية له. ويرتبطان بصلات منتظمة مع الطفل ويمارسان سلطة في التوجيه والإشراف عليه ويساعدانه بسخاء وبقدر استطاعتهما حتى يصل عادة سن الرشد.

وأثناء زواج الطفل أو الطفلة يقوم العرابان بطلب دعم مالي لهما من السلطات الدينية. ولهذا فإن الطفل يعتبر العرابين بمثابة أسرة ثانية له تمتاز بسلطة روحية خاصة. وعليه أن يزورهما في مناسبات أعياد ميلاد السيد المسيح، أو على الأقل يكتب إليهما. وفي حالات معينة، يناديهما باسم والدي أو عمي أو عمتي. وقد تطور الآن نظام العراب أو الإشبين حيث تمتد هذه العلاقة الروحية إلى أحسن شخص من اقرباء الطفل وقد يكون أحيانا سفيراً أو وزيراً أو نائبا برلمانيا، وقد يكون أحيانا رئيس الجمهورية. وفي جميع الأحوال، فإن هناك مجموعة من الوسائل التقليدية لتوثيق العلاقة بين الطفل وأشبينه، ولا يمكن أن تمر مناسبة هامة دون تقديم الهدايا المعبرة عن معاني العرفان والتضامن.

ويعرف العالم المسيحي نوعا آخراً من الاحتفالات الدينية المرتبطة بنمو الطفل وتقدمه الذهني ويسمونه «الكمونيون العلني» أو «العشاء الرباني».

- العشاء الديني :

هو مجموعة من المراسم والتقاليد الدينية التي تنتهي بحفلة غداء أو عشاء أحيانا، ومن مقتضاها أنه عند وصول الطفل سن التمييز، دون أن تحدد بعمر معين، يُدعى لأداء شعائر الصلاة في الكنيسة. وفي الواقع، فإنها تأتي بعد تدريبه وتعليمه أسس الديانة المسيحية لمدة عام أو عامين في إحدى الكنائس طبقا للأعراف المتبعة في إيطاليا وإسبانيا وفرنسا. وهذا التقليد ليس إلا تقديم الطفل بصورة رسمية للحياة الدينية. وبشكل عام، فإن هذه الممارسة الدينية الأولى تتم في إطار كبير من الوقار، ويتجنبون فيها إظهار كثير من الصفات الاحتفالية. ويأخذ الإحتفال طابعاً عائلياً بحيث يعتبر عملا مألوفا لدى الطفل، لأنه يكون قد تعود على شعائر الصلاة قبل ذلك عدة مرات ولم تعد حدثا روحيا جديدا وغريبا عليه، بل مجرد تأكيد ودليل على أن الطفل قد امتلك وعيا عاما بصفته وبديانته، وأنه أصبح قادرا على الالتزام الشخصي بقواعد الإيمان التي التزم بها عنه العرابين أثناء تعميده وهو صغير. وعلى هذا الأساس، يتخذ الاحتفال طابعا جديا ويمتاز بالوقار والخشوع ولا يحضره مصورون أو غير ذلك من المظاهر الاحتفالية إلاّ الشيء اليسير.

- **المظاهر الإحتفالية :**

ليس معنى بساطة الاحتفال الديني أن لا يأتي الطفل إلى الكنيسة وهو لابس بدلة جميلة. لكنهم فقط يشترطون فيها أن تكون إما بدلة مدرسته الجميلة أو بدلة رجل بلونها الأزرق الغامق. وأحيانا يصل بقميص طويل أبيض، كما في احتفال التعميد. أما الفتاة فلا تأتي إلا بروب جميل وأنيق مع رداء كبير يغطي شعرها ويصل أحيانا إلى أردافها وظهرها، وفي الغالب لا يحمل على الاعتقاد بالفخامة أو الأبهة.

والأمر المهم، أن يبقى الطفل في الكنيسة هادئا ورزينا وأن لا يقوم بكثير من الحركات المضطربة. وتحتل العائلة وعدد قليل جدا من أصدقائها وأقربائها بعض المقاعد المحجوزة والمحددة لهم داخل الكنيسة، وربما يكون العرّابون على رأس هؤلاء المدعويين.

ووجبة الغداء عادية ليس فيها أي تكلف، لكنها مناسبة ملائمة يقوم فيها العراب بتقديم هدية للطفل، قد تكون ميدالية من الفضة، ويوضع الطفل في أبرز مكان على المائدة يرأسها بتواضع جم. وبعد الغداء قد يقدم له والديه هدية خاصة، وإذا أراد المدعوون تقديم هدية له فلا بد من إيصالها إليه قبل خمسة عشر يوما تقريبا من قيام حفلة الغداء، ومن المحتمل أن يكون ذلك تعبيرا عن رغبته حضور العشاء الرباني.

- **الصور التذكارية :**

المناسبات الدينية في دول الغرب وفي العالم المسيحي، وأهمها التعميد، تقترن بالتقاط صور للاحتفال الديني داخل الكنيسة، ويتم التقاط الصور بأسلوب وقور ودون إحداث ضجيج أو كلام. أما في الكومينيون أو العشاء الرباني، فإنهم لا يلتقطون صورا تذكارية داخل الكنيسة، ولكن بعد أداء الشعائر أو أثناء الطعام. ويقوم أبو الطفل بطبع نسخ كثيرة من أحسن لقطة ويرسلونها بالبريد، أو يقوم الطفل نفسه بتوزيعها على الأقرباء والأصدقاء والقسس الذين حضروا الحفل، ويكتبون عليها في الخلف ما يلي:

« ذكرى العشاء الرباني الذي أقيم بكنيسة كذا بتاريخ كذا ». وبالنسبة للصور التذكارية أثناء احتفال التعميد فإنهم يكتبون عادة ما يلي خلف الصورة:

إسم الطفل أو الطفلة.

المولود يوم كذا.

والذي تم تعميده بتاريخ كذا في كنيسة كذا.

وتعبر هذه الصور عن واحدة من أهم المناسبات التي يعتز بها الناس، لكننا رغم ذلك ينبغي أن نشير إلى أن هناك انصرافاً متزايداً عن احتفالات التعميد، ولا يرجع السبب في ذلك إلى ضعف الدوافع الدينية في المجتمعات الصناعية بل ربما يعود السبب الرئيسي إلى انشغال الناس والشباب بهموم الحياة اليومية المتزايدة وبسبب التكاليف والنفقات التي تفترضها هذه الاحتفالات.

الخطوبـــة

فترة الخطوبة في دول الغرب، هي أجمل فترة في حياة الخطيبين، وهي في نفس الوقت فترة الاعداد الصعبة للفترة اللاحقة لها، أي فترة الزواج، كالبحث عن حاجات المنزل وروب العروسة. ومستقبل الزوج وتذليل مصاعب السكن، وبصورة عامه العمل على تأمين العناصر الأساسية للسعادة والاستقرار المادي أو الحد الأدنى منها بالنسبة لكل فئة اجتماعية.

ويعرف الأوروبيون أكثر منا نحن العرب، أن الخطوبة أمر ليس بالسهل، وأن الاستعجال فيها يأتي على حساب الزواج السعيد. ومع ذلك فإن حياتهم العامة وسهولة العلاقات الاجتماعية بين الجنسين، إبتداء من مرحلة الطفولة وأيام الدراسة وحياة الجامعة أو المعهد أو عالم العمل، يتيح فرصا أوسع أمام الخطيبين للتعرف على أخلاق وطباع وتعليم وديانة كل منهما، بل وحالته الصحية ومشاكله النفسية والاجتماعية. وبالطبع، فإن ذلك الإجراء الخطير، أي الخطوبة، يعني اتخاذ أهم قرار قبل الزواج، ولا يتم بمجرد التسليم الأعمى بالبخت والنصيب أو بقراءة الكف والتنجيم، بل إنها عملية حساب وفحص ودراسة واستشارة. ورغم هذا، فإن المجتمعات الغربية تعرف أيضا ما نسميه بالحب الخاطف أو الحب لأول نظرة، لكنه لا يمكن أن يكون أساسا لفرصة أكبر من أجل تحقيق السعادة الزوجية والاستقرار العائلي. ولهذا فإن الأمر الذي يعززه ويقويه في تقاليدهم هو اللقاء والتعارف وتحقيق اختيار حر واقتناع متبادل ومسؤولية مشتركة.

ويعرف الناس في الغرب، وخاصة أولئك المنتمين للعائلات أو الفئات الميسورة، قاعدة الاستفسار الدقيق عن الخطيب والخطيبة. ويدركون أيضا أكثر منا أن الخطوبة قرار خطير، ولذا فإنهم يلجأون إلى الاستفسار وجمع المعلومات عن طريق أصدقاء الشخص أو عائلته أو زملائه أو أبناء حيه أو أساتذته. ولكن، ينبغي أن يتم الاستفسار بطريقة وقورة ومهذبة ورصينة. وفي الغالب، وطبقا لعادات الناس العاديين

في المجتمعات الغربية بصفة عامة فإنهم يحرصون على أن لا يقدموا أية بيانات أو معلومات إلا إذا كانو يعرفونها بصورة جيدة، وإذا عرفوا أية معلومات فإنهم يقدمونها بشكل أمين ومخلص إلى حد ما ويبدوا التجرد واضحا في كثير من أحكامهم. وإذا لم يكونوا قادرين على تقديم إجابات صائبة وحقيقية فإنهم يمتنعون عن قول أي شيء. ولا يشعرون أبدا بالحرج أو الحاجة لقول أي كلام أو تقديم تعليق عام مبهم وغامض.

- قواعد التقدم للخطوبة :

ورثنا في العالم العربي بعض التقاليد الغربية، ومن ضمنها بعض التقاليد الخاصة بالخطوبة. وبصفة عامة، فإن أبو الخطيب يذهب إلى منزل والد الخطيبة لطلب يدها. ولكن هذه القاعدة قد خضعت لمقتضيات التطور في الغرب فأصبح على الأبوين أن يلتقيا للتفاهم مباشرة.

ولكن القاعدة الثانية هي دعوة الغداء العائلية البسيطة التي ينظمها والد الفتاة في منزله، وفي مقابلها يقدم الخطيب باقة من الورد الأبيض. أما إذا كانت الخطيبة أرملة أو سبق لها الزواج فإنه يختار باقة من الورود المخلوطة أو الطبيعية، أي ذات اللون الوردي. ويحضر معه أيضا إلى جانب الورود دبلة الخطوبة. لكن الخطيب لا يضعها على أصبع خطيبته إلا في حفل الاستقبال الذي ينظمونه فيما بعد.

ودبلة الخطوبة تختلف من فئه آجتماعية إلى أخرى، فالبعض يختارها دبلة عادية من الذهب وبعضهم يختار دبلة الخطوبة مرصعة بحبة من اللؤلؤ أو الياقوت أو الزمرد طبقا للمستوى الاجتماعي الذي ينتمي إليه الخطيبان. أما بعضهم فإنهم يتوارثون دبلة الخطوبة من جيل لآخر. وفي هذه الحالة، فإنها لا بد أن تكون هامة، وفي معظم الأحوال، فإنهم يفضلون الدبلة التي تنسجم مع ذوق الخطيبه نفسها. وإذا كانت موروثة وقديمة قد يدخل الخطيب عليها بعض التعديلات التي تنسجم مع ذوق الخطيبة ومزاجها الخاص.

ويقوم الوالدان بإعلان خطوبة أبناءهم بإرسال كروت الخطوبة المكتوبة باليد أو

بالاتصال الهاتفي للأصدقاء الحميمن. وبعد أيام يقوم البعض بإعلان ذلك في واحدة أو أكثر من الجرائد طبقا لحالته المالية ورغبته في الإعلان عن ذلك الحدث.

وبعد ذلك تأتي حفلة الخطوبة المسائية وأحيانا يقيمون حفله غداء حيث تلبس فيها الفتاة المخطوبة ثوبا جديدا في العادة بلون ناصع كلما أمكن ذلك، ويهتمون بمائدة حفلة غداء الخطوبة، فيعدون أدوات المائدة بعناية ويضعون عليها الملاعق والشوك والأطباق بأناقة بالغة ويضعون عليها باقة من الورد الأبيض.

واذا كان هناك قريب متوفي لأحدى العائلتين فإن حفلة الخطوبة تتأخر مدة معينة فلا يعلنون عنها لا بواسطة البطاقات ولا بإحدى المجلات إلا بعد مضي فترة كافية.

وبعد ذلك بعدة ايام ينظمون حفلة بسيطة للأصدقاء لتناول المرطبات والحلويات. وبعض الأسر الغنية تنظم حفل استقبال في منزل والد الفتاة تتلوها بعد فترة حفلة مماثلة في منزل الشاب، وأحيانا يستأجرون صالة في أحد الفنادق أو المطاعم، وتدفع التكاليف إحدى العائلتين أو يشتركون معا في دفع التكاليف وذلك بحسب الحالة الاقتصادية للخطيبين.

وفي إطار الأسر الارستقراطية والميسورة في إسبانيا وفرنسا وايطاليا، كانت العادة سابقا تقتضي أن يرسل الخطيب صندوقاً مملوءاً بالهدايا وبعض الأدوات المنزلية الخفيفة والغالية وبعض الملابس الموشاة والحلي والفرو وبعض الشيلان الهندية الأصيلة. أما الآن فإن الشبان قد غيروا أذواقهم وملابسهم وبالتالي تغيرت الهدايا التي يمكن أن تحتويها الشنطة الصغيرة، وعند أولئك الذين ينتمون للفئات الشعبية قد تقتصر الهديه على فستان جميل ومتواضع، أما في أوساط الشباب فليست الهدية الإلزامية أكثر من دبلة الخطوبة.

- المغزى الاجتماعي للخطبة :

الخطوبة في عرف الثقافة العربية والحضارة الغربية أيضا هي عقد تمهيدي هام للزواج ويترتب عليه نتائج هامّه. وقد عرف الناس في الحضارات الغربية وخاصة في

السنوات التي تلت الحرب العالمية الثانية درجة كبيرة من الاستقلالية للخطيبين. حيث يمكنهم الخروج معا والقيام بالزيارات وممارسة الرياضة وقضاء وقتهم في المشاهد الثقافية التي تعجبهم كالسينما أو المسرح أو التنزه في الحدائق أو ممارسة هوايات خاصة. ويتم ذلك في هدوء تام، ولا يمارس الأباء في دول الغرب في هذا العصر رقابة قريبة على حرية الخطيبين. ولهذا يستطيعون أن يفهموا بعضهم ويعجبوا بخصائص وطباع كل منهم ويدرسون عيوبهم ويحاولون التعود على تجاوزها والتكيف معها أو تعديلها. وبصفة عامة، فإن الخطوبة فترة للإختبار النفسي وللدراسة المشتركة لذوق كل خطيب للخطيب الآخر. ولهذا يفضل الكثيرون في الغرب أن لا تكون هذه الفترة قصيرة أو غير كافية للتعرف على طبائع كل خطيب للخطيب الآخر، وأن لا تكون طويلة مملة يبدأ خلالها الخطيبين بالشعور بالسأم والملل إلا إذا كان هناك ظروفا تقتضي إطالة هذه المدة.

ومن مقتضى هذا الاختيار، ومن أهم الحكم المترتبة عليه بصورة عامة في الحضارة الغربية هو أن يكون اختيارا شخصيا لا دخل لوالدي الخطيبين أو اقرباءهم فيه. لأن تدخل الوالدين وأذواقهم وتجربتهم واعتبارات عصرهم قد تعرض الخطوبة للخطر. حتى إذا حدث خلاف بين الخطيبين قد يفسد تدخل الأمهات وإصدار أحكامهن طبقا لمعايير وضوابط عصرهن الخطوبة ويسهم في فسخها ويضعف روح المسؤولية لدى الخطيبين.

- قواعد فسخ الخطوبة :

قد يكون فسخ الخطوبة أحيانا أمرا ضروريا وخاصة إذا اكتشف الخطيبان أسباب عميقه تهدد ديمومة العلاقة الزوجية. ولذا فإن الخطيبين قد يكتشفا العيوب الحقيقية التي لا يمكن التغلب عليها والتي ستهدد مستقبل الزواج بالدمار.

ومن المفيد العلم أن الأسباب العميقة المبررة لفسخ الخطوبة قد تأتي من تنافر الطباع أو الاختلاف الكبير في المستوى الفكري أو الاجتماعي أو في مستوى الذوق، دون حاجه إلى الإشارة بأن الحالة الخلقية وميول أحد الخطيبين إلى التهتك

يعتبر من أهم الأسباب لفسخ الخطوبة. ولكن ضمن مفاهيم ومعايير الزمان والمكان في الدول الصناعية والغربية.

ويقتضي فسخ الخطوبة أن يقوم كل من الشابين بإحراق الخطابات التي تبادلوها. فليس لديهم وقت للعودة إليها بعد خطوبة مفسوخة. ولا مجال في أذهانهم للاحتفاظ بها أو استخدامها فيما بعد للتعريض أو للمساس بسمعة الآخر. إن فسخ الخطوبة يعني الاقتناع التام بعدم سلامة التقدم إلى الأمام نحو الزواج، ولذا فإن من المصلحه التخلص من كل آثارها والبحث عن شريك ملائم من بين ملايين الفرص السانحة.

وفسخ الخطوبة يستتبع أن يقوم الخطيبان أو والديهما بإعادة الهدايا مصحوبة بخطاب رقيق يعبر عن الأسف وعن الشكر وأن الخطوبة قد فسخت «لأسباب شخصية وجيهة».

ومن أهم القواعد التي تستحق الإعجاب في تقاليد المجتمعات الغربية في مثل هذه الحالة أن يمتنع الخطيبان بشكل عام عن الحديث بشيء يمس سمعة الآخر أو حتى بمجرد الحديث عن الأسباب التي أدت إلى فسخ الخطوبة. وفي الغالب أيضا أن لا يصل هذا الفسخ إلى القطيعة أو العداء، وإذا تقابل خطيبان سابقان فإنهما يرحبان ببعضهما ويتبادلان التحية اللائقة بتلك العلاقة التي ربما قوضها حب صاعق بينهما لا يعرف التأني أو المنطق.

الـــــزواج

الزواج أو كما يسمى في بعض الاقطار العربيه «الفرح» هو فعلا أهم الافراح وأغلى المناسبات في حياتنا نحن الشرقيين. وبشكل الزواج بالنسبه لنا جزءاً من مصير الإنسان وحظه وسعادته. وله كذلك نفس الأهمية لدى الغربين. إلاّ أنه لم يعد في هذا العصر بالنسبة للغربيين النهاية الحتمية لما يمكن أن نسميه حالة العزوبة. فقد عرفت المجتمعات الغربية حالة جديدة وغريبة من الحلول، وهو انسجام شخصين واختيارهما للحياة معا دون أي عقد زواج ودون اشتراطات ولا يعتبر زواجا ويمكن الاتفاق بينهما أن يترتب عليه نتائج قانونيه وخاصة في حالة إنجاب أطفال.

وفي الواقع، تشكل هذه الحاله الغريبة على مجتمعنا العربي عندهم نسبة عالية قد تصل إلى ٥٠٪ في بعض الدول الاسكندنافيه، لكن الزواج ما يزال هو الأساس لانطلاق شخصين نحو حياة من الاستقرار والسعادة والحب الهادىء. ومن أجل تعميم الفائده فإننا سنعالج أهم التقاليد والقواعد الاجتماعية والدينية للزواج التي تتعايش الآن جنبا إلى جنب في المجتمعات الغربية، وأقصد بها الأعراف الجديدة للزواج بين الشباب، والزواج التقليدي والقواعد التمهيدية للزواج وأنظمة عقد الزواج ومراسم حفل الزواج وغير ذلك.

- **الحب والزواج بين الشباب :**

عرفت أوروبا بعد الحرب العالمية الثانية انطلاقة عارمة لمبادىء الليبرالية وللحريات العامة والخاصة. فقامت مدارس الشباب المختلطة بين البنين والبنات، وتغير سلوك الناس وآدابهم وأخلاقهم، وعرفت الفتيات الوسائل المانعة للحمل دون رقيب أو حسيب، ووصل الاختلاط بين الجنسين من الشباب حدا يندهش له كثير من المفكرين القدامى الذين عاشوا في أوائل هذا القرن حيث كان للوالدين سلطة كبيرة في تقدير مناسبة الزواج من عدمه.

أما الآن فقد أصبح من الغريب والمضحك عند الشباب أن يقوم شخص ثالث حتى الأبوين بالاشتراك في تحديد الشخص الذي يختار للزواج أو حتى ترشيحه.

وأصبح من المألوف أن يقرر شاب في سن الثامنة عشره من عمره وبمحض إرادته الزواج من فتاة في سن السادسة عشرة من عمرها.

وفي أوساط الشباب في الغرب تتعدد مناسبات اللقاء بين الجنسيين وتتنوع، ومن حيث المبدأ، لم يعد هناك فواصل من أي نوع كان بين الشباب من الجنسين بسبب فرص اللقاء المتنوعة على مستوى الجوار والحي والمدرسة والقرابات «البعيدة» وصداقات الأباء ونوادي الرياضة والمراقص ومشارب القهوة والاستراحات وفي الرحلات وفي مجال العمل... الخ.

وقد يكون التعارف والحب سريعا أو بطيئا، ولا تقتصر المبادرة لديهم في طلب التعارف على الرجل، بل قد تأتي من الفتاة نفسها، ولم يعد هناك شيء حكر على الرجل أو من اختصاص الرجل وحده، فقد عرفت السنوات الأخيرة ظاهرة نسوية كانت مقصورة على الفتيان مثل وصف الفتاة بأنها «دون جوان» أو فارس «كافالييه». ولم يعد التعبير عندهم عن الحب يأخذ تلك الأشكال التقليدية، كوضع اليد على القلب أو إرسال خطابات الغرام أو إطلاق التأوهات أو تركيز النظرات على الشخص الآخر. بل أصبح التعبير عنه بالكلمة البسيطة التي لا تزيد أهمية عن طلب استعارة كتاب من شخص آخر. لكن المهم أن على الطرف الآخر أن يعبر بنفس السهولة عن استجابته من عدمها.

– **مخاطر الإسراف في تركيز النظرات :**

تعود بعض الشباب في بعض البلاد العربية تركيز نظراتهم على الفتيات في الأماكن العامة. وتثير عادة تركيز النظر والعينين على الجنس الآخر عدة معاني كلها أسوء من بعض، فهي تعبير عن المراهقة والوحشية الجنسية وقلة الذوق. وتعتبر في الغرب أسلوباً مثيراً للسخرية والازدراء وتفسد الجو الذي يتواجد فيه هذا الإنسان المتوحش. إن مشاركة المرأة للرجل في كل مظاهر الحياة والإنتاج في الحضارة الغربية

قد فرض على الناس قواعد تتحكم في سلوك أعينهم ونظراتهم لدرجة يخال المرء فيها أن كل رجل أو إمرأة يعتز بنفسه أكثر من الجميع. فلا يترك الإنسان الغربي نظراته تتعلق بأي إمرأة أو شخص مهما كان جماله أو أناقته. ودون مبالغة، فإن وقار العينين وآدابها ونظرات الإنسان تذكرّ أحيانا كثيرة بتلك النظرات الزائغة أو المركزة على وجوه الآخرين التي يسلطها بعض القادمين إلى الغرب من منطقتنا العربية. ولا شك أن بعضهم يعتقد أن أحداً لا يلحظ نظراته المركزة على شخص ما بينما الأمر على عكس ذلك تماما، لأن العينين هي الأجزاء الأكثر قدرة على التعبير والإفصاح عما يجيش في النفس، وهي الأقدر على تقديم المؤشرات عن سلامة شخصيتك أو عن نوازع العدوان والشر في نفسك. وعليك أن تتذاكر دائما أن من السهل على عيون الآخرين أن تراقب عيونك، وأن من الطبيعي أن تتابع نظراتهم نظراتك. ولذلك فإني سأسمح لنفسي أن أوكد على نصيحة أرجو أن تكون دائما في مكانها ومحلها: «جاذر من تركيز نظراتك على الآخرين، ولا تعتمد عليها في توصيل إعجابك أو سهام حبك، إقتصد في نظراتك إلى الجنس الآخر إلى أقصى حد، وأعتمد على الكلمة البسيطة والعادية في نقل مشاعرك إذا كان لا بد من ذلك».

- مشروعية الحب وموانعه :

الحب الحقيقي في المجتمعات الغربية هو الحب الذي لا يجب أن يختفي خلف الأقنعة أو الجدران، لأنه طبقا لنظام القيم الإجتماعية أمر مألوف. فالغربيون يشجعون أبناءهم على أن يبوحوا بحبهم إليهم، وفي مثل هذا الوضع فإن الأم تستطيع أن تعلم ابنتها مفهوم الحب الحقيقي وغير الخطير ويستطيع الأب أن يوجه انفعالات ابنه ويضعه في الخط السليم.

ونحن أبناء الشرق وأنجال العرب اجتماعيون إلى حد كبير، ونتعلم منذ نعومة أطفالنا على إقامة العلاقات مع الآخرين بصورة طبيعية وغريزية، لكننا لا نعرف ولا نتعلم كيف نكون كرماء دمثي الخلق مع المرأة. ولذا فإننا نخاف الأنثى ولا نستطيع الحديث معها بصورة طبيعية. وتقتل كل هذه الخصائص الحب في مهده وتقضي على

كل احتمال لقيامه. وفي الواقع، نحن في أمس الحاجه الى إجراء مراجعة لتقاليدنا وعاداتنا، وعلينا أن نقوم بالبحوث والدراسات والإصغاء بانتباه لأفكار المصلحين وعلماء الاجتماع، والتقدم بصورة حذرة ومرنة وشجاعة في نفس الوقت لتعديل التقاليد البالية وتحقيق توازن لأيدلوجيتنا الاجتماعية بشكل يسمح بتحقيق التقدم والتطور الاجتماعي والاقتصادي ضمن أسس تخفف الصراع بين الأجيال وتؤكد السلام الاجتماعي.

من الواضح أننا أباء نود النوم بهدوء ونخشى أن نجد سلطتنا على أبناءنا قد ضاعت كما ضاعت في الغرب، ونكتفي بمقاومة التطور، وهذا مكْمنَ الخطر، ذلك أن التطورات والتغيرات الاقتصادية والاجتماعية التي واجهتها الدول الغربية بعد الحرب العالمية الثانية قد حطمت كلية مقاومة الآباء للتقاليد وأنماط العلاقات الاجتماعية لأبناءهم. وأصبحت القاعدة المستقره الآن في الغرب أن على الآباء أن يكونوا أصدقاء ومحامين ومستشارين لأبناءهم، ومع ذلك فإن هناك استثناء على هذه القاعدة، حيث يوجد بعض الآباء الذين لم يقبلوا أو لم يستطيعوا التكيّف مع مقتضيات عصرهم الأوروبي، لكنهم في الواقع لم يبق لهم من سلطة إلا طرد أبناءهم وبناتهم وإجبارهم على الحياة المرة خارج منزل والديهم واختيار القطيعة مع فلذات أكبادهم لفترات قد تستمر عشرات السنيين.

ومن القواعد الهامة في دول الغرب قيام الآباء بتوجيه أبناءهم في وقت مبكر فيما يتعلق بلقاء الجنس الآخر، ويحثونهم على الاختلاط ويعالجون مشاكل الانكفاء على الذات والعزلة الاجتماعية والانطواء عن الجنس الآخر. كما يساعدونهم على التفكير بأهمية القدرة على اتخاذ القرارات الناضجة بخصوص علاقتهم مع أبناء جيلهم.

ويمتد توجيه الآباء بصورة عامة إلى الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه الأصدقاء من الشباب، ويدركون تماما أن الثورة الصناعية والتطور التكنولوجي وتعاليم الليبرالية لم تتمكن من القضاء على آثار الاختلافات الاجتماعية والاقتصادية بين الناس حتى الآن. ويدركون أن الفوارق الاقتصادية قد تسبب التعاسة للزوجين في

المستقبل. وهناك قاعدة يتبعها بعض الآباء الأذكياء وتتلخص بتنظيم حفلة أو اجتماع لعدد من أصدقاء ابناءهم ومن بينهم أولئك الذين ينتمون لوسط اجتماعي مختلف، وتظهر في مثل هذا الحفل أو الاجتماع التصرفات الحقيقيه للشخص الآخر، ويمكنهم أن يحكموا حينئذ على قدرته على التكيف مع الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه الابن أو الوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه صديق الابن.

ومعظم الآباء في الواقع لا يحاولون فرض زوج معين لأبناءهم، ولذلك فإنهم يستطيعون أن يناقشونهم ويساعدونهم على اختيار شريك مناسب لحياتهم. إنهم يبدأون أولا بتحليل مشاعر أبنائهم نحوهم ويحاولون فهمها والتغلب على أحاسيسهم التي يسيطر عليها شعور باطني بالخوف منهم. ويقنعون أنفسهم باستقبال أصدقاء أبنائهم. وفي الحالات الخطيرة أو غير المقبولة يتفاهمون مع أبنائهم ويتناقشون معهم خاصة إذا كانوا قد وصلوا مرحلة معينة من النضوج. وغالبا ما يؤدي هذا السلوك إلى مساعدة الأبناء على اكتشاف زلاتهم وإدراك العقبات الحقيقية التي تعترض طريق الحب والعشرة المشتركة والدائمة في المستقبل.

إن الأب المثالي هو الذي يعرف كيف يتحدث مع ابنه ويعرف كيف يحيط حديثه بالمنطق والحكمة والأسباب المقنعة، لأنه يعرفه جيدا، وهو الذي كيف سلوكه منذ نعومة أظفاره ولأنه يريد أن يساعده على الحصول على شريك حياته بصورة ناجحة وموفقة.

وكان الغربيون قبل نصف قرن تقريبا يقومون بسلسلة من الاستفسارات عن صفات وطبائع المرشح الآخر للزواج، كما هي الحال في حضارتنا العربية الآن تقريبا. وكانوا يبحثون عن المعلومات التي يريدونها في.الحي وفي محيط العمل ولدى بعض الأقرباء أو الأصدقاء أو زملاء الدراسة... الخ. أما الآن فلم يعد ممكننا القيام بجمع تلك المعلومات، لكنه لا يوجد في مجتمعهم ما يمنع الإنسان من معرفة شريك حياة إبنه وفلذة كبده ومعرفة عائلته ومحيطه المنزلي. ومثل هذه الأمور لم تعد محكومة بعدد من المظاهر المفتعلة والمتكلفة لكنها تتم بلقاء سهل ولطيف بحضور بعض الأصدقاء أو بتنظيم حفلة أو رحلة تسمح للوالدين بمراقبة تصرفات شريك الحياة المنتظر لولدهم ونصحه.

- الإجراءات التمهيدية لعقد القران :

بعد الاتفاق على تحديد موعد الزواج يبدأ العروسان في دول الغرب بتنفيذ عدد من الالتزامات والمراسم والأعراف الموزعة بينهما والمشتركة والتي ينبغي أن تتم قبل حفلة الزواج ومنها ما يلي:

- الفحوص الطبية :

توجد قاعدة لها قوة الالزام القانوني في كثير من الدول الغربية، ومقتضاها أن يقوم العروسان بإجراء فحوص طبية خاصة سواء في مستشفى عام أو عيادة أو لدى طبيب خاص، وتتم بإجراء فحص مخبري للدم والكشف بأشعة الراديو. والغرض من هذا الكشف التأكد من خلو العروسين من الأمراض المعدية أو تلك التي قد تثير بعض المشاكل وتعقد الحياة الزوجيه أو تقلل من سعادتها أو تشكل خطرا على الأبناء وتنقل الأمراض المتوارثة إليهم. وقد فرض خطر مرض الايدز «فقد المناعة» موجه من المخاوف وجعل بعض الآباء يشترطون تقديم شهادة خلو الطرف الآخر من هذا المرض المخيف.

- إعلان عقد القران :

الغرض من هذا الإعلان هو إشهار الزواج والإعلان عنه. وتوجد في الواقع طريقتان لهذا الإعلان تتعلقان بطبيعة الزواج، أي من حيث كونه زواجا مدنيا أو دينيا.

فالزواج المدني يتم الإشهار عنه مثلا بلصق إعلان في مكتب السجل المدني أو في بلدية القرية أو المدينة، وبشكل عام في الجهة الرسمية المكلفة بتحرير عقود الزواج. وتوجد في العادة لوحات خاصة لوضع هذه الإعلانات. وينبغي أن يتم الإعلان خلال فترة محددة متعارف عليها تتراوح بين ثلاثة أسابيع وأربعة أشهر من تاريخ الزواج.

أما في الزواج الديني فيتم الإعلان أثناء مراسم الاحتفال الديني نفسه. وهي . المراسم التي تتم بعد ثلاثة أسابيع من الاتفاق على الزواج.

وتعتبر هاتان القاعدتان الأساس العام لإعلانات الزواج، لكن هناك بعض الفوارق والاختلافات الطفيفة من حيث المواعيد بين دولة أوروبية وأخرى. كما أن هناك صوراً أخرى من الإعلانات والإشعارات تتم في مرحلة لاحقة، أي أثناء الاحتفالات بعقد القران.

– اختيار نظام عقد القران :

يتسم عقد الزواج بين المسلمين في العالم العربي ببساطة إجراءاته، حيث يستطيع أن يقوم به شرعا أي مواطن أمام شاهدين يثبتان رضى الطرفين أو رضاء أولياء أمريهما. ويبدوا أن تبسيط قواعد الزواج بالنسبة للمسلمين قد ساعد إلى حد كبير على تلافي المصاعب الخاصة باختيارات شريك الحياة والتي تسببها الفواصل بين الجنسين وندرة فرص التعارف الحقيقي.

أما عقد القران في المجتمعات الغربية فتحكمه مراسم وقواعد متعددة من حيث الذمة المالية والاقتصادية، وبصورة عامة توجد ثلاثة أنواع من عقد الزواج:

أولها وأكثرها رواجا هو «نظام انفصال الذمة المالية» أي أحتفاظ كل من الزوجين بممتلكاته الخاصة بصفة مستقلة، ولا يكون للزوج على الآخر أي حق من حقوق التصرف. وتلبي هذه الحالة مصالح الطرف الغني في العقد أو صاحب الإيراد الأكبر والمحافظة على ملكيته بعيدا عن تدخل الزوج الآخر.

وهناك نظام وسط وهو اشتراك الزوجين في ما يكسبه كل منهما من عملهما المهني. ومن الواضح أن الاشتراك هنا يقتصر كما هو واضح على الإيراد الدوري الشهري أو الأسبوعي أو اليومي الناتج عن ممارسة العمل اليومي المهني أو الإداري وغير ذلك. ولا يدخل فيه، من حيث المبدأ، الإيرادات العقارية أو أرباح الأسهم التجارية... الخ إلا إذا كانت هي المصدر الوحيد لإيرادات أحد الزوجين.

أما النظام الثالث فهو نظام «الملكية المشتركة لأموال الزوجين»، وهو النظام الذي يترتب عليه الحق المتساوي لكل منهما على أموالهما المشتركة.

واختيار أي من هذه الأنظمة يتم مناقشته أمام شخصين اثنين من موثقي العقود أو كاتبي العدل. ويقوم كل من الزوجين بتحديد عناصر العقد وشروطه بالصوره التي تمكن موثقي العقود من تحرير مشروع عقد واحد مشترك يرسلونه للطرفين. وعندئذ يقوم كل طرف بوضع ملاحظاته النهائية على مشروع العقد ويسلم إلى كاتبي العقد لتحريره بصورته النهائية. ومن أجل تحقيق هذه الغاية قد يضطر موثقو العقو إلى القيام بعملية جرد وفحص للمتلكات التي أثبتها كل زوج في مشروع العقد قبل دعوتهما لتوقيعه، وهو الإجراء النهائي.

ومن الملاحظ أن الاجراءات الخاصة بنظام الذمة المالية المستقلة أو النسبية أو المشتركة تتم في إطار كامل من الحصافة والذوق، خاصة عندما يكون هناك فوارق جسيمة في الثروة بين الزوجين. وذلك من أجل تجنب إثارة مخاوف الطرف الآخر وبذر الأشواك في طريق السعادة الزوجية. ولذا كانت العادة تقضي سابقا بترتيب حفلة غداء تتبع توقيع عقد الزواج. لكن هذه القاعدة قد تلاشت في معظم دول الغرب وأصبحت نادره.

– المغزى الاجتماعي لخاتم الزواج :

من المتفق عليه أن يحمل الزوج في جيبه قبل الذهاب إلى الكنيسة خاتمي الزواج اللذين تم اختيارهما بالاشتراك مع زوجة المستقبل. وكانت العادة عند الرومانيين القدامى تقضي بتقديم خاتم الزواج عند الخطوبة، فتضعه الخطيبة على الأصبع البنصر ليدها اليسرى. وكان الاعتقاد أن هناك عصب يربط هذا الأصبع بالقلب، وكان المصريون القدامى يشاركون الرومانيين هذا الاعتقاد.

ومنذ القرن الأول الميلادي كان خاتم الزواج يقدم من الذهب أو الحديد المرصع باللؤلؤ. وكان الاهتمام بالخاتم يعكس متانة عقد الزواج وعمق الرابطه بين الزوجين.

وفي التقاليد الأنجلوسكسونية كان خاتم الزواج يختار من الذهب الخالص ويوضع أولا على أصبع تمثال السيد المسيح عيسى بن مريم ثم يتم وضعه بعد ذلك على يد العروس ويجري أثناء ذلك تلاوة بعض الشعائر الدينية.

وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر كان خاتم الزواج في روسيا وانجلترا من الفضة وفي ايطاليا كانو يوشونه باللؤلؤ. ومنذ فترة طويلة سن الأوروبين قاعدة مضمونها كتابة اسم الزوجين وتاريخ الزواج داخل الخاتمين. أما في أسبانيا فلا يعطون لخاتم الزواج الأهمية المعروفة في دول أوروبا الشمالية.

- المراسم الابتدائية لحفلة الزواج :

مراسم الاحتفال بالزواج كثيرة ومتنوعة سواءً أكانت في الوطن العربي أو في الدول الغربية. وما من شك أن الديانات السماوية الموحدة قد أسهمت في وضع الأساس العام لأهم علاقة إنسانية تربط بين بني البشر، وتركت لهم هامشا يستطيعون من خلاله وضع التفاصيل المختلفة واختيار القواعد الجزئية المكملة. فالخطبة وعقد القران والزواج قواعد عامة للزواج في الحضارتين الإسلامية والمسيحية. وقد كملت الحضارة العربية القواعد التفصيلية المنظمة له، كما طورت الحضارة الغربية قيمها المتممة للزواج أيضا. ومن المناسب الآن أن نستعرض تلك المراسم المرتبطة بعقد الزواج في الثقافة الغربية.

- الإعلان والإبلاغ عن الزواج :

من الواضح أن هناك مرحلتين لإشهار الزواج وهما: الإعلان والإبلاغ. والإعلان هو عملية يقوم بمقتضاها الزوجان أو والداهما بإرسال بطاقات للأقرباء والأصدقاء. وطبقا لحالة الأسرة يمكن لتلك الدعوات أن تطبع على شكل كارت مزدوج ومثني يحمل في صفحتيه الإعلان عن الزواج وموعد الحفل ومكان إقامته. وقد تكتب تلك الدعوة على كارت عادي أو على ورق القضيم الممتاز أوعلى ورق من الجلد الناعم أو الورق المقوى المصقول المعروف باسم «برستول». ويكتب على

جهاته مثلا أن أجداد وآباء الفتاة فلانة يعلنون زواجها على السيد فلان. ويكتب أجداد العريس ووالديه على الواجهة الثانية من البطاقة نفس الإعلان. وإذا كان العروسان ينتميان إلى المجتمع العائلي المتميز فإن والديهما يضيفان بطاقة صغيرة للإعلان يذكران فيهما أسماء عدد من هيئات الشرف والمؤسسات التقليدية في البلاد والبعثات الأجنبية المشاركة. وإذا اقترن الاحتفال بالعروسين بوجبة غداء فإنه لا بد من إضافة كارت دعوة بجانب الإعلان لتناول وجبة الغداء على نفس الظرف. وكارت دعوة الغداء يكتب بصيغة تكاد تكون موحدة لدى الجميع.

أما الإبلاغ فهو عملية لاحقة لمرحلة الإعلان المقترنة أحيانا بدعوة لتناول الغداء ويتم عادة بعد شهر تقريبا من تاريخ حفل الزواج. وتميل الحضارات الغربيه أكثر فأكثر إلى الاختصار وتحديد عدد المدعوين لحفل الزواج، ويقصروه أحيانا على الأقرباء والأصدقاء الحميمين. ومن المألوف جدا أن يستلم الشخص الموجه إليه كارت الإبلاغ ويجده مذيلاً بعبارة تقول «لقد تم الاحتفال بالزواج في تاريخ كذا في الكنيسة الفلانية وانحصر على الأصدقاء الحميمين». ويشترك الزوجان أو عائلتاهما في دفع أجر كروت الإبلاغ بالتساوي.

وإذا كان هناك حالة وفاة لأحد أقرباء الزوجين يقصرون الفرح على الأقرباء والأصدقاء الحميمين، ويؤجلون الإبلاغ عنه أسبوعين أو أكثر.

وكما عرفنا سابقا، لم يعد من الواجب الآن حفلة مسائية عشية لتوقيع عقد القران. لأن حفلة الغداء أو حفل الاستقبال التي ستقام يوم الزواج تعتبر كافية. وبهذا الاختصار وفرت التقاليد الغربية مصاريف ضخمة كانت تنفق في احتفالات الزواج.

أما الإعلان فيتم في الصحف المحلية أو الجرائد الأكثر انتشارا والتي تخصص في العادة خانة في صفحة مستقلة للقضايا الاجتماعية، أو في الصحف المهنية والنقابية التي ينتمي إليها أحد العروسين أو كليهما. وكانت العادة تقتضي سابقا أن يقوم والدا العروسين بالسعي لنشر هذا الإعلان، لكن الاتجاه العام الآن هو قيام الزوجين نفسيهما بهذا الإعلان أو أم الزوجه إذا كانت هي التي ستوجه الدعوات لحفل الاستقبال أو لحفلة غدا الزواج.

- **حفل الزواج :**

ربما لاحظ القارىء أن مراسيم الزواج وقواعده وأعرافه كثيرة، وأعتقد أن عرضها بهذه الصورة من التفصيل هو الذي يوحي بذلك. ولدي اقتناع قوي بأن تنفيذ مراسم الزواج وتطبيقها في الغرب هو في الواقع أكثر سهولة من مراسم الزواج ونفقاته الباهظة في شرقنا العربي. فعادات وتقاليد الزواج في دول الغرب تتسم فقط بالتنوع لكنها في النهاية لا يمكن مقارنتها بالتكلفة المادية ولا بالكلفة المعنوية التي يتجشمها العروسان وأهلهما أثناء الزواج في بلادنا.

وسنجد الآن أيضا، أن حفلة الزواج في بلادنا العربية، وهي الحفلة الرئيسية والمعروفة لدى البعض «بليلة الدخلة»، تأخذ في الغرب طابعا من المراسم والتقاليد الدقيقة والمتنوعة، رغم أن البعض يخالها أكثر تعقيدا وكلفة. وهي فعلا قد تكون كذلك لأنها ليست جزءاً من حضارتنا وتقاليدنا فقد اقتبسنا الكثير منها من تقاليد الغرب، لكنها فقدت بساطتها وهدوءها وأصبحت بالصورة التي نراها اليوم. وعلى أي حال، نود الآن استعراض بعض المراسم الهامة لحفل الزواج في الحضارة الغربية.

- **ملابس العروسين :**

فستان الفرح للعروسة في دول الغرب ينبغي أن يكون مناسبا من حيث جماله وبساطته. ويجب أن يكون لونه أبيض حيث يرمز هذا اللون إلى النقاء والصفاء والطهارة والعذرية. ومن المعروف أن تقاليد أوروبا في القرون الوسطى، وربما بعد ذلك أيضا كانت تقتضي أن ترتدي العروسة ليلة زفافها فستانا أحمر اللون. وتذكر بعض المصادر أن ماري ستيوارت ملكة آسكتلندا التي أعدمتها الملكة إليزابيث الأولى عام ١٥٨٧ بعد مضي مدة من تنازلها عن العرش، كانت أول إمرأة في التاريخ ترتدي فستانا أبيض اللون ليلة عرسها. ومع ذلك نود أن نلفت الانتباه إلى أن الفئات الاجتماعية ذات الدخل المحدود تفضل الآن شراء فستان أنيق من قطعتين، العليا على شكل جاكت وهو المعروف باسم (تيور) بدلا من فستان الفرح ذو اللون الأبيض الذي لن يلبس إلا نادرا بعد ذلك. وعلى أي حال يمكن اختيار فستان الفرح ذي اللون الأبيض من عدة أنواع من الأقمشة. لكن أهم شروط الجمال فيه الآن هي

وعدم تجميله بالأشكال الجمالية والزينات المتعددة التي تتلف جماله وأناقته. لكننا لا ينبغي أن نفهم من هذا أن فستان الفرح ذو اللون الأبيض في طريقه إلى الزوال فهناك شرائح اجتماعية في المجتمعات الغربية، ما زالت تعتبره من ضرورات حفل الزواج، بل إن بعض الفئات تبالغ كثيرا في شكل فستان الفرح وطريقة تطريزه وطول رفله لدرجة تثير الاندهاش.

وبالرغم من ذلك أود أن ألفت انتباه القارىء إلى أنه بالرغم من أننا قد استوردنا كثيرا من تقاليد الزواج من دول الغرب إلا إننا لم نراع مزاياها ولم نتخلص من مساوئها. فمن المتعارف عليه في دول الغرب امتناع العروسه عن لبس المجوهرات أو الحلي الذهبية باستثناء خاتم الخطوبة. وفي فرنسا غالبا ما تحمل العروسة باقه من الورد الجميل في إبطها أو في يدها الشمال. والأمر المؤسف أن بعض التقاليد في بلادنا العربية تسمح للعروسة بحمل تشكيلة كبيرة من الحلي الذهبية بقصد التفاخر والتباهي، وأحيانا تقوم امرأه موثوقة أو من أسرتها بحمل شنطة خاصة بالحلي والجوهرات وأحيانا تعرض مفتوحة على الحاضرين بصورة منفرة.

ومن المفارقات العجيبة أن العروسة في حفل زواجها في بعض دول الجزيرة العربية تكشف عن وجهها، بينما هي في الأصل تخضع لتقاليد الحجاب الصارمة في كل مكان يتواجد فيه رجل أجنبي عن العائلة. أما في الغرب فقد كانت التقاليد الجمالية تقتضي أن تضع العروسة حجابا على وجهها ونقاباً يغطي رأسها ويتدلى ليخفي رقبتها وكتفيها.

وفي جميع الأحوال تراعي العروسه أن تنسجم شنطة اليد والحذاء وغطاء الرأس وجوارب الكفّين مع فستان الفرح فتشكل كلها بلونها الأبيض مجموعة منسجمة ومتناغمة تعكس الذوق الرفيع.

أما ملابس العريس فقد تكون عبارة عن بدلة غامقة وأحيانا بدلة لها شكل رسمي تقليدي خاص. وفي بعض الأعراس الممتازة يفضل العريس ارتداء جاكت وقميص أبيض وكرفتة رماديّة وجوانتي رمادي أيضا وحذاء وشرابات سوداء. وعادة فإن البدلة «الاسموكنج» غير مناسبه لحفل الزواج.

- **موكب الزفاف :**

يأخذ موكب الزفاف تنظيما دقيقا وترتيبا يدخل في الاعتبار السيدات اللاتي سيرافقن العروسة ودور الأطفال الذين سيصحبونها واحتفالات الفرح في الكنيسة والشهود وغير ذلك. ويمكن أن نجمل تفاصيل ذلك كما يلي:

تختار العروسة عادة بعض النساء من أصدقائها أو أقربائها ومن نفس جيلها، سواء ست أو اثنتي عشرة فتاة ليقمن بدور «سيدات الشرف». ويحرص الأوروبيون وخاصة الفرنسيون أن تكون «سيدات الشرف» أنيقات وجميلات وأحيانا يقمن بارتداء ملابس منسجمة ولكن متنوعة ويضعن القبعات على رؤوسهن. ولما كانت ملابس «سيدات الشرف» مكلفة فإن والدي العروسين هما اللذان يقومان بشراء هذه الملابس. ولذا فقد استبدلت طريقة سيدات الشرف بمجموعة من الفتيات الصغيرات أو من عدد متساو من الأطفال الذكور والإناث. وترتدي الفتيات عادة فساتين موحدة إما قصيرة أو طويلة. وكذلك الأطفال الذكور يرتدون زيا إن لم يكن موحداً فينبغي أن يكون منسجما. وسيقوم هؤلاء الأطفال في طابور مكون من طفل وطفلة بالسير أمام العروسة في موكبها الضخم بينما يرفع البعض رفل ثوبها الطويل المتدلي خلفها.

أما بالنسبة لترتيب الموكب فإن أبوي العروسين وأقربائهما يكونون في مقدمته، وسيضم هذا الموكب أكبر عدد ممكن من أصدقاء العروسين وعائلتيهما. ويحرص الأوروبيون أن يرتدوا البدلات الكاملة أو جاكتات وقمصان مع الكرفتات الأنيقة، بينما ترتدي السيدات فساتين طويلة أو قصيرة أنيقة ويتجنبن ارتداء الفساتين البيضاء لأنها من حق العروسة فقط، وكذا الفساتين السوداء لأنها ترمز للحزن ولا تناسب حفلات الأعراس والأفراح.

والزواج في الغرب كالزواج في الشرق لا بد له من شهود، ولا بد فيه من إشهار وهو حفل الزواج. وإذا كان دور الشهود في الحضارة الإسلامية يتم أثناء انقعاد العقد، فإن الحضارة الأوروبية تقتضي أن يحتل شاهدا الزواج مكانة هامة أثناء الاحتفال. وفي العادة يتم اختيارهما عند الإعداد للزواج، وقد يكون الشاهدان من

الأقرباء أو الاصدقاء الحميمين للزوجين أو لأحدهما. وسواء أكان الزواج دينيا أو مدنيا فإن الشاهدين يحتلان المقاعد الأمامية في الكنيسة ويضعان توقيعهما على السجل الخاص بالزواج.

- القواعد الاحتفالية في الكنيسة :

تصل العروسة إلى الكنيسة وهي بصحبة والدها الذي يمسكها بحنان، وإذا كان متوفيا فإن أخيها أو عمها هو الذي يقوم بهذا الدور. ثم يدخل خلفها الزوج الذي تمسكه والدته بذراعها أو إحدى عماته المقربات إليه ثم الأجداد والشهود ثم بقية العائلة. ومن المتعارف عليه أن وصول العروسة إلى الكنيسة متأخراً بعض الوقت هو أمر متسامح فيه بل يعتبر مبررا وكان في السابق ضروريا. وعلى أي حال هناك بعض الاختلافات فيما يتعلق بالاحتفال الديني بين المذهبين الكاثوليكي والبروتستانتي.

في الكنيسة الكاثوليكية مثلا يختار الزوجان الترتيل الديني الذي يتلوه القسيس باختصار، ويشير أيضا إلى واجبات الزوجين ويسمع رضاهما واقتناعهما ويبارك لهما تبادل خاتمي الزواج. وبعد ذلك تبدأ الصلاة ثم يتوجه الزوجان والأبوان والشاهدان بعد ذلك إلى غرفة المقدسات للتوقيع على سجل الزواج. ومع ذلك، فإن البعض يفضل تغيير أولويات هذا النظام حيث يتم البدء بتوقيع السجل ثم الصلاة. وفي جميع الأحوال فإن النهاية لا بد أن تكون تقبل التهاني. ولا تتعدى هذه التهنئه النطق بكلمة «تهانينا» أو «تهانينا القلبية» أو «تهانينا وتمنياتنا». ويبدوا واضحا أن هذا الاختصار في التهنئة له ما يبرره من حيث توفير الوقت لأن المهنئين عادة ما يكونون كثيرين.

أما البروتستانت فإنهم يحضرون معهم وثيقة الزواج المدني ويبدأون بالتوجه الى غرفة المقدسات للتوقيع على سجل الزواج ثم يتوجه الموكب الى المعبد لقراءة جزء من الكتاب المقدس ثم الصلاة ثم يسمع القسيس من الزوجين تعبيرهما عن

الرضى والاقتناع بالزواج ثم يعودون بعد ذلك إلى غرفة المقدسات للتوقيع على سجل الزواج وتلقي التهاني.

وعند الخروج من الكنيسة يقوم المصورون الرسميون أو المحترفون بالتقاط صور الفرح، وفي هذه اللحظة فإن من واجب المصورين الهواة أو الأقارب أن ينتظروا الانتهاء من التقاط الصور الرسمية ثم يقومون بعد ذلك بالتقاط الصور التي يريدونها.

- **الزواج الثاني :**

يتم الزواج الثاني أو الثالث في المجتمعات الغربية بالطبع بعد الطلاق أو بعد وفاة أحد الزوجين. بالرغم من أن الديانة المسيحية قد عرفت نظاما آخراً للفراق يعرف بالفراق الجسدي بين الزوجين، فقد كان من مقتضاه فعلا عدم السماح لإي من الزوجين بالزواج الثاني، وكانت هذه الحاله هي الوسيلة الوحيدة للتخلص من حالة الزوجية المؤلمة وغير المحتمله. وبعد اعتراف الكنيسة بالطلاق أصبح من حق الزوجين عقد حياة زوجيه أخرى.

وكانت العادة سابقا أن يتم الزواج الثاني دون احتفال بهيج أو ضجيج وخاصة إذا كان سبب الزواج الثاني هو وفاة أحد الزوجين. وكان يتم عادة بين الأقارب وعدد من الأصدقاء الحميمين، ويتسم بالبساطة، فلا تقدم فيه الورود ولا الأغاني، وتختفي فيه كل مظاهر الأبهة والفرحة وتستبعد فيه حتى الملابس ذات الألوان الزاهية. بل إن بعض الروايات تفيد أن الزواج بعد الطلاق ظل في العالم المسيحي غير مستحب ومكروه لفترة طويلة.

أما اليوم فقد تطورت القيم الخاصة بالزواج الثاني في دول الغرب، لكنه ينبغي على المرأة المترملة أن تبقى ثلاثمائة يوما بعد وفاة زوجها أو بعد الطلاق حتى تتمكن من التقدم للزواج الثاني. ومهلة الترمل هذه هي أطول بكثير من الفترة المطلوبة في الدين الإسلامي والتي لا تزيد على ثلاثة أشهر وعشر أيام، وبالتحديد بعد مرور

مرور ثلاث حيضات. وعلى العكس من وضع المرأه في الديانتين الإسلامية والمسيحية الرجل يستطيع أن يتزوج فور مغادرته مقبرة زوجته أو بعد القيام بإجراءات الطلاق.

لكن من الملاحظ أيضا أن الزواج بعد الطلاق في الحضارة المسيحية لا يتم في الكنيسة، وذلك عكس الزواج الثاني بعد وفاة أحد الزوجين. وقد تطورت القيم الثقافيّة الآن فاصبح الزواج الثاني يتم في إطار من الإحتشام والبهجة المتزنة والمحصورة بين الأقارب والأصدقاء الحميمين. كما أن زوجة المتوفي لم تعد ملزمة بالاحتفاظ بدبلة زوجها الأول على أصبعها طوال العمر كما كانت العادة سابقا. والزواج الثاني لا يقتضي الإعلان في الجرائد ولا يتطلب إرسال رسائل للإعلان عن الزواج ولا رسائل الإبلاغ اللاحقة ويكتفي بدعوة عدد من الأقرباء والأصدقاء بالتليفون لحضور حفل الزواج وحفل غداء الزواج. ويفضل الأوروبيون عدم إحضار أطفال الزواج الأول حفل الزواج ومراسمه حتى لا يثيروا في نفوسهم الحزن والألم، ويتركونهم لدى بعض الأقرباء للاعتناء بهم للمدة التي تجري فيها مراسم الزواج .

- هدايا الزواج :

يشعر المدعوون لحفل استقبال الزواج سواء أكانوا أصدقاء أو أقرباء بالحاجة لتقديم بعض الهدايا أو باقات من الورود للعروسين يرسلونها إلى منزلهما مع رسالة قصيرة أو كارت يسجلون فيه تهانيهم وتمنياتهم للزوجين بالسعادة. ويمكنهم تسليمها الحارس أو بواب العمارة أو يرسلونها بالبريد أو يعهدون لمحل بيع الورود أو الهدايا. وتعتبر هذه الهدايا صوره أخرى لنظام التضامن الذي تعرفه بعض الدول العربية والخاص بدعم العروسين ماديا أو بشراء بعض الأثاث. وتقتضي العادة في معظم الدول الأوروبية أن يقوم العروسان بوضع قائمة للأشياء التي يفضلون الحصول عليها ويتركونها في عدد من المحلات التجارية. وعلى الأقرباء أن يقوموا بالاستفسار من أصحاب هذه المحلات عن القائمة الخاصة بهذه الهدايا، وغالبا ما تحتوي على أدوات للمنزل كطقم ملاعق وشوك وسكاكين أو مزهرية أو طقم كبايات أو أدوات

كهربائيه وغير ذلك. لكنها لا يمكن أن تحتوي على أشياء تافهة كالملاحات أو الطفايات. ومن الأمور الطريفة والعملية أيضا في بعض الدول الغربية أن يضع العروسان قائمة محتاجاتها لدى وكالة بيع السيارات حيث تقوم هذه الوكالة باستلام قيمة كل جزء فيها من أي صديق أو قريب سواء أكانت المساحات أو الغمازات أو المتور أو صدام السيارة ويقوم الزوجان في النهاية باستكمال دفع قيمة السيارة. وفي الواقع، فإن تحديد نوع التضامن متروك تقديره للزوجين. ومع ذلك، فإن هذا لا يمنع أن تختار هدية تتفق مع مبادرتك وذوقك، كما أنه لا يمنع إطلاقا أن تضع مبلغا من المال في ظرف وتسلمه أحد العروسين مصحوباً برسالة أو كارت تحمل التهاني والتمنيات للعروسين بالنجاح.

- تقديم الشكر :

ينبغي على العروسين القيام بتحرير رسائل شكر لكل الأصدقاء الذين قدموا الهدايا، ومن الأفضل أن يتم إرسال تلك الهدايا بأسرع وقت ممكن وبمهله لا تزيد على خمسة عشر يوما من تاريخ الزواج. ومن الجائز هذه الأيام أن يتم تقديم الشكر عن طريق إرسال كارت بوستال أو صور فتوغرافية أثناء قضاء إجازة شهر العسل وخاصة للأصدقاء من الشباب.

المراسم الخاصة بالوفاة والمآتم

ليست الحياة كلها في الواقع أفراحا، فهي مليئة بالأحزان والمتاعب والآلام. والموت بالنسبة لنا جميعا قضاء الله في خلقه وأمر لا مفر منه ولا جدال فيه. لكنه يعتبر رغم ذلك واحداً من الأحداث المحزنة بالنسبة لأولئك الذين يتجشمون فراق قريبهم أو صديقهم. وفي دول الغرب لا يقتصر الحزن على فراق المتوفي فقط بل يرتبط أيضا بمصاعب أخرى متعددة من الواجبات وإجراءات الدفن ومراسمه الطويلة والمعقدة. وسيكتشف القارىء مدى البساطة والتواضع في تقاليد الوفاة في الديانة الإسلامية والتي لا تزيد عن تطهير الميت وتكفينه والصلاة عليه ودفنه. بل إن تقاليد المساوآه بين الناس أمام الله تتجلى بصورة لا مثيل لها في التقاليد الإسلامية، حيث يتساوى بني البشر بكل المراسم والمظاهر الاحتفالية، فلا يمكن أن يتميز كفن الملك أو رئيس الجمهورية أو أغنى الأغنياء عن كفن أفقر الفقراء. وفي القبر واللحد أيضا يتساوى المسلمون أمام الله دون أدنى تمييز. وبالتأكيد فإن تلك الولائم والذبائح التي نشاهدها في بعض الدول الإسلامية دخيلة ومستنكرة.

أما في الحضارة الغربية فإن سلسلة من الإجراءات الصعبه والمؤلمه تضاعف من مأساة الوفاة. فبعد ساعات من الوفاة يقوم أكبر أو أقدم أقرباء الميت بالتشاور مع بقية أفراد الأسرة أو يقرر ذلك بنفسه على انفراد مع مراعاة إرادة الميت التي أعلن عنها قبل وفاته في اختيار مراسم الدفن وسنلخصها كما يلي:

- الإجراءات الأولية للدفن :

تتمثل أول الإجراءات اللازمة للدفن في إبلاغ عمدة المدينة أو القرية التي تمت

فيها الوفاة، ويتم بناء على ذلك استدعاء الطبيب الشرعي أو طبيب الحالة المدنية وهو الذي يقوم بفحص المتوفي والتأكد من الوفاة وتحرير الشهادة الخاصة بها. وينبغي أن نلفت نظر القارىء إلى أهمية هذا الفحص الطبي الذي يعتبر في الأساس عملا إجرائيا وشكليا بحتا، لكنه في كل حالة يبدو فيها أدنى شك في طبيعة الوفاه فإن الطبيب لا يحرر شهادة الوفاة إلا بعد إجراء فحوصات طبية للتأكد من أن الوفاة طبيعية وليست جنائيه. وهكذا يشكل هذا الإجراء القانوني أحد أساليب المجتمعات الغربية لمكافحة الجرائم. أما الإجراء التالي للفحص الطبي فيتمثل في الاتصال بوكالة شئون الجنائز، أو كما يسمى أحيانا «الحانوتي» في بعض الدول العربية. لكن الفرق بين الوظيفتين كبير جدا. ولذا فإننا سنفضل استخدام مصطلح «مدير شئون الجنائز» لأنه سيقوم بتنظيم إجراءات الدفن المعقدة بعد استلام شهادة الوفاة التي حررها الطبيب، وهو الذي سيقوم بتجهيز النعش والتابوت المناسب لمركز المتوفي وحالته الاجتماعية والمالية، وسيتم الاتفاق معه على الزينات والزخارف ودرجة فخامة القماش وتنجيده. وفي الغالب يحمل التابوت صفيحة أو لوحة من الفضة أو أي معدن ثمين، ويهتم البعض بنوعية المقابض المثبتة في التابوت وتزيينها بنقوش غالية الثمن.

ويأتي في إطار هذه المرحلة الأولية لإجراءات الدفن القيام بالإعلان عن الوفاة وذلك بتوزيع كارت يكتب عليه بترتيب أولوي دقيق أسماء أقربائه مذيلة بجملة ينعون فيه ببالغ الحزن وفاة فقيدهم فلان. لكن هذه العادة بدأت بالتلاشي وأصبح الإعلان ينشر في الجرائد. وإذا كان المتوفي شخصا مهما يتضمن الإعلان ترجمة أو بياناً عن حياته وأنشطته العلمية أو الأدبية أو السياسية أو الفنية أو الاجتماعية. لكن لا يتم الإعلان للأقرباء والأصدقاء الحميمين إلا بالتليفون أو التلغراف أو التلكس أو التليفاكس أو بأي صورة مؤكدة تعكس عمق الرابطة بين المتوفي والشخص المطلوب إبلاغه.

وفي هذه المرحلة يتم غسل الميت وتطهيره أيضاً، ويقوم أحد القساوسة في العادة بقفل عينيه وتثبيت ذقنه برباط خاص يضمن بقاء الفم مقفولا. وبعد ذلك يلبسون الميت بسرعة كافية قبل أن يتصلب جسمه. وتختلف ملابس الميت من

شخص إلى أخر، وهي في العادة عبارة عن قميص وبذلة أو سترة أو بجامة. وإذا كان المتوفى من كبار رجال الدولة أو من ضباط القوات المسلحة أو شخصية أكاديمية فإنهم يلبسونه بدلة رسمية تحمل كل مظاهر الأبهة. أما المرأة المتوفية فيلبسونها قميص نوم جميل. ويضعون أيدي المتوفي فوق بعضها أو متقاطعة على صدره. وإذا كان المتوفى كاثوليكيا فإنهم يوقدون الشموع حوله في الغرفة ويضعون مسبحة بين أصابعه وإناء بالقرب منه يحوي قليلا من الماء وعليه ذرات من أوراق شجرة البقس (الشمشاد). وفي الواقع، يصعب أحيانا فهم المغزى الديني لبعض هذه الرموز اللهم إلا أن أحد القساوسة قد باركها وأصبحت مقدسة. وفي الولايات المتحده يجهزون الموتى لمقابلة ربهم وقد رسموا على وجوههم أحيانا ابتسامة اصطناعية أو إيماءة أو إشارة تنسجم مع إرادة أقرباء المتوفى أو رغبة المتوفى نفسه إذا كان قد أوصى بشيء من ذلك، ومن المألوف في الحضارة الغربية أن يحدد الإنسان قبل وفاته مستوى التابوت والطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها ونوع الزهور التي يرغب أن تزين نعشه وقبره. وهكذا يتمثل الفارق بين إجراءات الدفن بين الديانتين الإسلامية والمسيحيه في المساواة المطلقة بين كل الناس في الديانة الإسلامية، بينما يختار الإنسان في الديانة المسيحيّه الطريقة التي يدفن فيها إلى حد كبير ولا يحد من اختياره إلا إمكانياته المالية.

- واجبات الأصدقاء :

يجب على أقرباء الميت وأصدقاء أسرته كلها أن يعبروا عن عواطفهم الجياشة تجاه فقدان صديقهم وعزيزهم. وفي هذه الحالة لا بد للأسرة أن تمكن هؤلاء الأصدقاء من زيارة المتوفى في مرقده بغرفة خاصة. ويحرص الأصدقاء الحميمون في المجتمع الغربي، كما في مجتمعنا العربي، على إلقاء النظرة الأخيرة على صديقهم المتوفى، لأن هذه المبادرة تشكل نوعا من المواساة. وإذا كان المتوفى شخصية هامة يبقى باب المنزل مفتوحا، ويعهدون لحارس أو مرشد بالوقوف في الباب للاستعلامات والسماح للزائرين بإلقاء النظرة الأخيرة على الميت. وغالبا ما تتم هذه

الزياره بشكل طابور يتسم بالصمت المحزن، وأحيانا يضعون سجلا في مكان ما يوقع عليه الزائرون أو سله لوضع كروت الزيارة لمن قاموا بها.

و من الواجبات التي تتمتع بقوة اجتماعية ملزمة، قيام الأصدقاء الذين أرسلت اليهم إبلاغات خاصة بالوفاة وأولئك الذين علموا بها بواسطة الصحف أن يشاركوا في الجنازة. وهذه العادة لا تقتصر على الدول الغربيه فقط بل تعتبر في العالم الإسلامي واجبا دينيا لا يسقط إلا إذا قام به الآخرون. لكن هذا الواجب في الدول الغربية يضعف الآن تدريجيا، ويمكن ان يستعاض عنه بإرسال رسالة عزاء لأهل الميت خلال الثمانية والأربعين ساعة التالية لإعلان الوفاة. ويعتني الغربيون بالعبارات الخاصة بهذه الرسالة ويحرصون على أن تكون مقتضبة إلى حد ما ومعبرة أجمل تعبير عن عواطفهم.

وفي إطار واجبات الأصدقاء يرسلون أكاليل أو باقات من الورود يوم الدفن بالتحديد. وإذا كان المتوفى طفلا أو شابا يختارون ورودا بيضاء أو باهتة، وعادة ما يقوم الشخص الذي أهدى إكليلاً أو باقة من الورود بتثبيت كارت زيارة على باقة الورود، ويعهد إلى بائع الورود أو شخص آخر بنقل الإكليل أو باقة الورود إلى منزل المتوفي أو إلى الكنيسة التي ستتلى فيها الصلاة. ومن المألوف أيضا أن يعبر أهل المتوفي عن عدم الحاجة إلى إرسال أكاليل أو باقات من الزهور حيث يذيلون رسائل الإبلاغ بالوفاة بكلمة تقول «لا داعي لإرسال أكاليل أو باقات من الزهور».

وعلى الأصدقاء أيضا واجب اختياري يتمثل في القيام بزيارة أقرباء المتوفى بعد عدة أيام من الوفاة. لكن لم يعد هذا الواجب مألوفا في العواصم أو المدن الكبرى وأصبح مقصورا على المدن الصغيرة والريف حيث العلاقات الإنسانية ما زالت أكثر تماسكا في دول الغرب.

- مراسم الجنازة :

تبدأ المراسم الجنائزية بعد وصول الكاهن أو الإكليروس إلى منزل المتوفى لنقله الى الكنيسه. وحينئذ يقوم أفراد العائلة والأصدقاء بمغادرة المنزل والانتظار في الشارع

استعدادا للسير في موكب خلف الجنازة. ومن المتسامح فيه أن يغادر المعزون المنزل إلى الكنيسة أو المعبد دون مرافقة جنازة المتوفي ودون موكب جنائزي. وفي الواقع لا يطبق الموكب الجنائزي الرسمي إلا إذا كان المتوفى رجلا عظيما.

ويتكون الموكب الجنائزي العادي من عربة الموتى التي يتبعها عدد من سيارات المشيعين. ويسير الموكب في رحلتين منفصلتين. الأولى من البيت إلى الكنيسة والثانية من الكنيسة الى المقبرة، وعادة ما تكون عربة الموتى مسجاة بالأكاليل وباقات الورود. وتزين الكنيسه باقات وأكاليل الزهور الفخمة أيضا.

ويقوم عمال وكالة الجنائز بنقل التابوت إلى الكنيسة ويضعونه في الوسط في مواجهة المكان الذي تقف فيه جوقه المرتلين الخاصة بالكنيسة، بحيث تكون أقدامه في اتجاه هيكل المحراب. وفي هذا المكان تتجلى الفواصل بين الرجل والمرأة، حيث تقف النساء على يسار قاعة الكنيسة ويقف الرجال على يمينها. وبعد الصلاة على الميت يشاهد المرء نوعا أخاذا من التقاليد الدينية، حيث يتم تمرير مرشة الماء المقدس على بعض المصلين فيتداولونه يداً بيد لرش الماء المقدس على جسم المتوفى. وتجري هذه الطقوس بكثير من الوقار والرقة بحيث تصبح عملية الرش عملا رمزيا بحتا، لأنهم فقط يرسمون إشارة الصليب أثناء الرش. وعلى الأخير أن يسلمه للشخص المسؤول عنه في الكنيسة أو يضعه في الصينية الخاصة بالماء المقدس.

- طابور المعزيين :

إذا كانت مراسم الوفاة تقتضي كل المظاهر الدينيه فإن المشيعيين يعزون ويسلمون على أقارب المتوفي عند خروجهم من الكنيسة، أما إذا اختار أقارب المتوفي الاختصار، فإن السلام وتقديم العزاء يتم خارج منزل المتوفي بعد القيام بالزيارة ووصول القسيس إلى المنزل وترتيل الشعائر الدينيه. وفي كلا الحالتين، تصطف عائلة المتوفى عند باب المنزل أو باب الكنيسة ويصطف المعزون في طابور مهيب، ويحرصون على أن يكون مظهرهم طبيعي وجاد وصامت أثناء السلام على أفراد عائلة المتوفي. وتقتصر كلمات العزاء على جملة قصيرة دون أي ثناء أو إطراء على

الميت أو تقديم أي تعليق لأن هذه اللحظة في التقاليد الإسلامية أو المسيحية وغيرها ينبغي أن تقتصر على العزاء فقط دون مبالغة. حتى إذا كان المعزي منفعلا فعليه أن يخفي انفعاله، ويمكنه بعد ذلك تحرير رسالة لعائلة المتوفي للتعبير عن مشاعره أو زيارة عائلته بعد ذلك ونقل مشاعره وسيكون لهذه الزياره تأثير كبير على معنوياتهم.

ومن الواضح أن المعزين لم يعودو ملزمين بعد الخروج من الكنيسة بمصاحبة المتوفى إلى مثواه الأخير إلا الأصدقاء الحميمين والأقرباء. هذا ويجب أن نلفت النظر إلى أن الناس بدأوا الآن بصورة متزايدة يستبدلون طابور المعزين بدفتر يسجلون فيه كلمات عزائهم وتوقيعاتهم. والموكب الجنائزي المحمول على سيارة أصبح نادرا جدا والتابوت المحمول على عربة الخيول أصبح مقصورا على القادة العسكريين والشخصيات الهامة. وكانت فترة الحداد تدوم سابقا مدة عامين للزوجة، وعليها أن ترتدي خلالها الزي الأسود بصورة شاملة بالإضافة إلى خمار أسود يغطي وجهها. وكانت فترة الحداد بالنسبة للأبوين تدوم عاما كاملا وستة أشهر بالنسبة للأعمام والعمات.

ويعود تقليد الملابس السوداء إلى بداية القرن السادس عشر عندما ارتدت الملكه أنّا ملكة بريطانيا الزي الأسود على أثر وفاة زوجها الملك، وكانت العادة تقضي قبل ذلك أن ترتدي الملكه الزي الأبيض ويرتدي الملك الزي الأحمر.

أما الآن فقد استقرت القواعد الخاصة بالحداد وأصبحت فترته بالنسبة للزوجة لا تزيد على سنة، كما أن الخمار الذي يغطي الوجه قد اختفى تقريبا إلا في الأقاليم والريف، ويتم نزعه في اليوم التالي للدفن. وبالرغم من ذلك، فإن زوجة المتوفى وزوج المتوفيه يمتنعان عن الظهور في الأماكن العامة كالنوادي والمنتزهات وأماكن التسلية والمسارح والحفلات خلال فترة معينة. وهذا يعني أنه لم يعد التعبير عن الحداد والحزن بالملابس لأن مكان الحزن الحقيقي يبقى في قلوب أقرباء المتوفي وأصدقائه الأحياء.

ومنذ عام ١٨٨٣ كانت قواعد الحداد وملابسه ومدته بالنسبة لأقرباء المتوفى قد أصبحت محددة ومقننة ولا تخضع للاختيار أو المزاج الشخصي. فكان على المرأة

أن ترتدي ملابس معينة وتمتنع عن لبس الحلي وأن تضع على رأسها قبعة سوداء تستبدل بعد مدة من الزمن بقبعة مزينة بالورد، وتسمح لها قواعد الحياة الاجتماعية بارتداء بعض الحلي غير الذهبية. وهكذا بالنسبه للأب والأم والجد والأخوة والأخوال والعمات كل بحسب درجة قرابته من المتوفى. وكانت الزوجة تتحمل أقسى مظاهر الحداد وأطولها من حيث المدة.

وأثناء الطابور الجنائزي على المشاركين أن يرتدوا الزي الداكن أو الأسود ويتجنبون ارتداء الألوان الزاهية أو الفرائحية. وليست هذه الألوان إلا تعبيرا عن تقاليد فرضها الزمن أو الأديان، فاللون الأبيض في اليابان واللون الأحمر في الهند تفرضه قواعد دينية. وفي جميع الأديان توجد قواعد معينة تتسم بالحزن والحشمة والأدب وتفرض على الناس مراعاتها واحترامها.

آداب السلوك في مواجهة الذات

آداب السلوك وقواعد الحياة الاجتماعية هي مجموعة القواعد الخلقية التي تحكم وتنظم العلاقات بين الناس. وفي مقدمة هذه المنظومة الأخلاقية والسلوكيه تبرز مجموعة القواعد التي تحكم تصرف الفرد في مواجهة نفسه وذاته، وفي مقدمتها مظهر الإنسان الجسدي ونظافته وحسن قيافته.

ومظهر الإنسان هو مفتاح سعادته لأنه الصورة التي تعكس جمال المرء وحيويته. وكان هناك مثال سائد يقول «إن الإنسان حيوان ناطق» ثم راج مثال آخر في دول الغرب يقول «إن الإنسان حيوان يفهم قواعد الجمال». وبدون شك لم يخلق الله جل وعلى الإنسان في دول الغرب أجمل من الإنسان في الشرق أو في أي جزء من هذا العالم. فقد وهب الله بني البشر خصائص عامة ومشتركة كما منحهم جميعا نفس المزايا والعيوب. لكن الإنسان متوسط الثقافة في الغرب يقيم نفسه بوضوح وصفاء دون انفعال أو اهتياج، ويقبل تصحيح ذاته وتقويم اعوجاجه بصورة إرادية من أجل الوصول إلى حياة يسودها الهناء والطمأنينة والنجاح. ويأخذ جسم الإنسان من العناية ما يستحقه لضمان الراحة النفسية والراحة المعنوية والراحة الصحية والتمكن من الحياة بانسجام في الزمان والمكان المناسب والانفتاح على الآخرين، وعليه فإن آداب السلوك وقواعد الحياة الاجتماعية تتعلق بموقف الإنسان من مجتمعه ومن بيئته، وهي تعني بالدرجة الأولى مدى قدرته على الانفتاح على مجتمعه وعدم فرض صورة منفره لذاته وشخصيته. وبدون هذا الانفتاح الكامل على قيم المجتمع وآدابه وأخلاقياته يكون المرء قد اختار طريق العزلة المادية والمعنوية، وحتى إن لم يكن قد ارتضى الإنكفاء على الذات، فإن المجتمع وشروط الحياة فيه وتطوره سترفض سلوكه المنفر.

ومنذ القرن الثامن عشر حاول الناقد والكاتب المسرحي الألماني الشهير جوتهولد إفرايم ليسينج أن يستخلص أهم قواعد السلوك والآداب الاجتماعية في

الزمان والمكان الذي عاش فيهما، فقال «إن الأمانة والعدالة ضمانة المجتمع وإن للحلم والإحسان منفعة وفائدة، وللطف والأدب الرضي والمتعة» وهكذا أراد هذا الكاتب الروائي العظيم أن يؤكد أن الحياة في المجتمع لا تستقيم بدون قواعد دقيقة تقنن سلوك الناس وتوجه تصرفاتهم وتجعل الحياة أكثر سعادة وقبولا. وهذه القواعد والتقاليد ليست إلا استكمالا لأحكام الدين والقوانين الوضعية، ولو أنها لا تصل في قوة إلزامها قوة أحكام الدين. إلا أن عدم التقيد بها ينفر الآخرين ويدعو للاستهجان ويصم مرتكبها بالهمجية والبربرية والتخلف.

إن مجال الحرية الواسع في دول الغرب لم يسمح للناس أن يعملوا ما يريدون، فقد خلقت تلك الحرية شعورا قويا بالمسؤولية وعززت الالتزام بآداب السلوك وقيم المجتمع. وآداب السلوك ليست قواعد تخمينية أو افتراضيه بل إنها مبادىء يتعلمها المرء في المنزل والمدرسه وبين الأصدقاء منذ الطفوله في دول الغرب.

وفي حضارتنا العربية الإسلامية هناك قواعد للأدب والسلوك تغرسها الأسره والمدرسه والمحيط الاجتماعي في الإنسان. لكن هناك فوارق واختلافات كبيره أو طفيفه بين آداب السلوك في مجتمعاتنا والمجتمعات الصناعية بصورة عامة. ومعرفة الآداب العامة وقواعد السلوك في الحضارة الغربية مسألة هامة وبخاصة بالنسبة لأولئك الذين سيعملون أو يعيشون بصورة مؤقتة أو طويلة أو دائمه في تلك المجتمعات. بل ومن الذكاء أيضا أن يعرف المرء ثقافات تلك الأمم التي تفرض علينا اليوم داخل مجتمعنا قوانينها وتقاليدها بأساليب لا ندركها ولا نستطيع رفضها. نحن اليوم نرتدي البزات والملابس الغربية ونحلق ذقوننا ونزين رؤوسنا ونستهلك كل المنتجات المستوردة من الغرب. بل وأكثر من ذلك فإن أنظمتنا السياسية والتعليمية والفكرية والروائية والأدبية ليست إلا شظايا وصدى للمجتمع الغربي. وقد استقرت في نفوسنا وأذهاننا بإرادة مدركة، وأحيانا وللأسف الشديد دون إرادة أو إدراك.

لقد أراد الفيلسوف الألماني أرثر شوبنهاور أن يعلم أبناء وطنه في القرن التاسع عشر أهمية الأخلاق وآداب السلوك وذلك بالقضاء على جوانب النقص في الإنسان فقال: «إن الأنانية مصدر للرعب والهلع، وقد استطاع الإنسان أن يخترع الآداب

لاخفاءها». ويكشف لنا هذا الفيلسوف المدرك أن نوازع الشر والأنانية موجودة في كل إنسان، لكن هناك الإنسان السوي والصالح وهناك الإنسان الشرير الذي لم تلقنه أسرته ولا مدرسته ولا مجتمعه آداب السلوك وقواعد الحياة في المجتمع المتطور ولم تهذب فيه نوازع السلوك البدائي والبربري. أما الإنسان السوي والمهذب فهو الإنسان الذي تدرب منذ طفولته على كبح جوامح الشر والأنانية وتقديم نفسه لمجتمعه بصورة مقبولة ومتوازنة ويعكس شخصيته للناس كإنسان يمتلك الكثير من الصفات الحسنة.

ولكي يعرض الإنسان نفسه وشخصيته للأخرين بهذه الصورة المقبولة، لا بد له أيضا من اتباع عدد من الأصول والقواعد التي تتعلق بمظهره وصحته ونظافته وحسن هندامه. وهذه الأصول موجودة في كل المجتمعات وفي كل العصور لكنها تتفاوت من بلد إلى بلد. ولا يمكن أبدا القول إن حسن المظهر حكر على الحضارة الغربية لأن الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي جعل من طهارة البدن والملبس والروح شرطاً لسلامة العبادة وممارسة الشعائر الدينية. لكننا سنهتم هنا بمناقشة مفاهيم المظهر الشخصي طبقا لمعايير الحضارة الغربيه وهي كالآتي:

- النظافة والبنية الجسمية :

تعتبرنظافة الجسم في كل الحضارات دون شك من أهم مظاهر الإنسان المثقف، لكن موضوع النظافة في أوروبا له مقاييس مختلفة. فحتى عصر النهضة كانت النظافة مؤشر على عصرية الإنسان الأوروبي وحسن ثقافته وتربيته. وتروي لنا الحقائق التاريخية أن الأوروبيين أهملوا نظافة أجسامهم بشكل واع ومدرك منذ عصر النهضة حتى الربع الأخير من القرن التاسع عشر. ولا يستطيع المرء أن يجد تفسيرا لهذا السلوك الأخلاقي إلا بدراسة مجموعة من الظواهر الاجتماعية والخلقية والاقتصادية لتلك الفترة.

ومنذ نهاية الحرب العالمية الأولى شهدت أوروبا مرحلة اتسمت بارتقاء القيم الجمالية بصورة عامة. وقد أسهمت الصحافة المصورة والسينما والدعاية في الترويج

للجمال وحسن المظهر ونظافة الجسم والملبس ومع ظهور التليفزيون اتجهت أجهزة الإعلام في أوروبا وإمريكا إلى رسم صورة للجمال الكامل، وأصبح على الإنسان الغربي أن يطور ذاته ومظهره. وحرمت المرأة الجميلة من صفة الجمال بسبب سمنتها أو امتلاء جسمها، وتتعرض لمخاطر العيش على هامش المجتمع. وأصبحت التماثيل النحيفة والرشيقة التي صنعها النحات السويسري البرتوجيا كوميتي نموذجا لإنسان نهاية القرن العشرين. وأصبح على المرأة السعي بكل الوسائل العلاجية والرياضية والغذائية للاحتفاظ بقوام نحيل وارتداء بنطلونات البلوجينز الخاصة بالمراهقين. وحتى الرجال خضعوا لموجة الجسم النحيف والرشيق المفعم بالحيوية والنشاط. وبصورة عجيبة أصبح المجتمع الأوروبي ينظر إلى البدين نظرة استخفاف وازدراء، ويقدم هذا الوضع دليلا على عدم التسامح، حيث يشعر الإنسان البدين بعدم الراحة النفسية وعدم الرضاء مع نفسه وتتأثر معنوياته إلى حد بعيد.

وبما أن معظم العرب لا تزعجهم البدانة ولا السمنة ولم يتعودوا ارتداء الملابس البسيطة والعملية ويرتدون البدلات الرسميّه والملابس الوطنية في غير مناسباتها فإن اندماجهم في المجتمع الأوروبي وتحقيق النجاح في أعمالهم ومهامهم قد يتعثر أحيانا وخاصة عند أولئك الذين تتطلب مهامهم وأعمالهم في الغرب شيئا من التكيف في المجتمع الغربي. أما أولئك المقتنعين باجسامهم المكتنزة فسيفضلون المحافظة على اجسامهم وسيتجنبون مشاق الرجيم وأنظمة النحافة الكيميائية ويعيشون سعداء ومستريحين.

- الوسائل الحديثة للمحافظة على السلامة الجسدية :

من الطبيعي جدا أن يطور الإنسان أحواله بما في ذلك جمال جسمه وصحته وأن يتجنب قدر ما يستطيع كل شيء يسيء إلى صحته ويؤثر على مظهره. وفي دول الغرب يقولون «الجمال الخارجي يضمن الجمال الداخلي». وبمعنى أوضح أن المحافظة على مظهر الإنسان وجماله الخارجي ينعكس على نفسيته وسلوكه. وهكذا فإنهم يحافظون على جمال أطفالهم وبناتهم بشكل خاص، لأن البنت التي تصاب

بنكبه أو حادث يشوه جمالها الخارجي سيكون له أثر كبير على سعادتها ومستقبلها. وكثيراً من أولئك الذين يملكون إمكانيات مالية يغيرون مظهرهم ويحدثون انقلابا في حياتهم وعلاقاتهم. فهناك وسائل متعددة لتخسيس الجسم ومعاهد للجمال وصالونات للكوافير وعمليات جراحية للتجميل. ولم يكن المغني الزنجي الامريكي مايكل جاكسون هو أول شخص يعرض جسمه لعمليات يغير فيها لون بشرته وطبيعة شعره ويعدل من قسمات وملامح وجهه، إذ أن كثيراً من الفنانين ونجوم السينما وممثلي التليفزيون يقومون بعمليات تجميليه ويلجأون إلى وسائل رهيبة لتخسيس أجسامهم والمحافظة على رشاقتهم. ومع ذلك فإن أسلم طريقه للمحافظة على سلامة الجسم وصحته ونشاطه ورشاقته هي التحكم في الغذاء وتقنين ما يدخل المعدة. ولذا فلا توجد قاعدة للمحافظة على صحة الجسم وسلامته أعظم من الحديث الشريف الذي يقول «المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء».

لكن المحافظة على سلامة الجسم وصحته والآمتناع عن كل ضار يدخل المعدة مسألة صعبة وقضية تحتاج إلى انضباط شديد ووعي عميق. وفي الدول الغربية يناقش الناس بفهم كبير المواد الغذائية ويدرسون الصحه الغذائية ويمارسون الرياضة البدنية في الشوارع والحدائق والمنتزهات. والرياضة أو كما يسمونها «الثقافة البدنية» لا تقتصر على ألعاب القوى فهناك اليوجا والرقص والتنفس النقي وكل أشكال التعبير الجسدي. ويكافحون الشيخوخة والترهل الجسدي والاكتئاب والإرهاق بزيارة الأطباء المتخصصين وبالتغذية البسيطة والمنتظمّه والمنوعة على مدار الوجبات الغذائية اليومية.

وأصبحت النظافة في أوروبا منذ بداية هذا القرن من القضايا المرتبطة بصحة الإنسان وبشخصيته وبمظهره. بل أصبح البعض ينادي باستخدام النظافة البدنية بصورة أكثر فاعلية كرد فعل للعادات القديمة في إهمال الاستحمام كلية. وصحيح أيضا أن موضة الشعر الطويل راجت في فترة ما بين بعض الشباب، لكن نظافة الشعر تبدوا واضحة. وحتى أولئك الذين يجعدون شعرهم الطويل يمشطه معظمهم لتنظيفه

واكتمال صحته. ويتزايد إقبال الناس على ارتداء الأزياء البسيطة، وهي البنطلون والقميص والبلوفرات أو السترات الرياضية إلا إن الكثيرين يحافظون عليها مكوية بشكل أنيق وألوانها منسجمة ومتناغمة.

وعندما ظهرت موجة «الهيبيز» بملابسهم المهملة ظهرت بعدها بين الشباب موجة «البنك» الذين يلونون بعض أجزاء شعر رؤوسهم بالألوان البيضاء والصفراء والحمراء، ثم ظهرت بعد ذلك موجه أطلقوا عليها «سكن»، وهم مجموعة من المروجين للعنف وللعنصرية، وكانت سمتهم حلق شعر رؤوسهم وارتداء الملابس الجلدية الكاملة. وما أزال أتذكر تبشير بعض الصحف العربية بانهيار الحضارة الغربية أثناء انتشار موجه الهيبيز، واعتبارها مؤشرا على تحلل المجتمعات الغربية وتصدعها. وكان كل واحد يفهم التطورات الاجتماعية في الغرب يعلم جيدا أن ظاهرة الهيبز والبنك والإسكان وكل ظاهرة شاذة بين الشباب ليست أكثر من موجة عابرة لا توثر على حركة آلات المصانع ولا توقف سير البحوث العلمية ولا تغلق المعاهد والمدارس وليست أكثر من ظاهرة هامشية وظيفتها الأساسية تبرير حرية الاختيار للجميع وإثبات أن المجتمع قادر على تحمل المسؤولية بالاقتناع وبالحافز الذاتي وليس بواسطة القمع والمنع. ومنذ اجتياح موجة الهيبز مرت عشرات السنين ولا زال المجتمع الصناعي، مجتمع الحرية والمسؤولية، هو المجتمع القوي والمتطور ولن تواجه الحرية امتحانا أصعب من موجة المخدرات وانهيار الضوابط الروحية والاجتماعية المنظمة للعلاقات الجنسية وانتشار مرض فقد المناعة «الأيدز». وكلها مظاهر سلبية تعمل المجتمعات الغربية على مقاومتها بمختلف الوسائل العلمية والقانونية والروحية وبدرجة عالية من اليقظة والشعور بالمسؤولية.

السلوك والمظهر العام

من المفارقات العجيبة بين قواعد السلوك في الحضارة الغربيه وقواعد السلوك في الحضارة العربية الإسلامية تلك المتعلقة بقواعد الدلال والظرافة والأناقة النسوية. وموضوع الدلال بالنسبة للمرأة يقترب تماما من مفهوم «الفتنة». وباديء ذي بدء ينبغي التنبيه إلى أن الإطار المسموح به للدلال صارم جدا. وإذا وصل لدرجة الفتنة فإن هدفه الرئيسي هو احتفاظ المرأة بزوجها بصورة جذابة من الصباح حتى المساء. ومن المؤكد أن هذا المبدأ لا يتعارض أبدا مع المفهوم الخاص بالمساواة النسبية بين الرجل والمرأة ولا بالأوضاع الجديدة التي اقتضت من المرأة ممارسة العمل في مختلف مجال الإنتاج والخدمات كالرجل سواء بسواء تقريبا.

– حدود الاحتشام والابتذال :

قواعد الدلال والفتنة داخل المنزل قواعد وتقاليد قديمة، لكنها ما زالت متبعة إلى حد بعيد رغم تغير الأوضاع العامة للمرأة. وتعرف المرأة الغربية أن من الحكمة والذكاء أن تحاول باستمرار المحافظة على حب زوجها وإعجابه بها. وتحتل النظافة الجسدية والنظافة العامة أول ورقة رابحة تستطيع بها المرأة المحافظة على جو الحب والوئام في منزل الزوجية. لكن هناك ظاهرة جديدة وتغيراً ملموساً فيما يتعلق بالفتنة الزوجية. فلم تعد الآن وسيلة محصورة على النساء، بل إن الرجال الآن في أوروبا يحاولون امتلاك بعض مظاهر الفتنة والجاذبية. لكن ما ينبغي التنبيه إليه أن الزي المبتذل والملابس النسائية التي تترك الصدور مفتوحة أو مكشوفة تعتبر من الأمور المخلة بآداب السلوك في الغرب كما في الشرق. ويستطيع المراقب الحصيف والذكي أن يتأكد أن الحشمة والأزياء الوقورة والرصينة هي القاعدة الكبرى التي يحترمها الغربيون في الأماكن العامة، لكن يجب أن نفرق بين مفهوم الحشمة هناك ومفهوم الحشمة في بلادنا، فالبرقع والحجاب والفستان المكسي الذي تغطى أكمامه جزءاً من

الكف ليس من مقتضيات الحشمة هناك، بل إنه يفقد المرأه قوامها ورشاقتها ويضعف من نشاطها وحركتها أثناء العمل. كما أن الشعر المكشوف والأكمام القصيرة متسامح فيها في مجال العمل منذ أكثر من قرن من الزمن. لكننا ينبغي أن نؤكد أن الزي الذي يكشف عن صدر المرأة ومفاتنها هو زي ممنوع في مراكز العمل وقد لا نتصور نحن أبناء الشرق أن أحد البنوك في فرانكفورت بجمهورية ألمانيا الإتحادية طرد أحد الفتيات من العمل في مايو ١٩٨٢م بسبب ارتدائها أثناء العمل زياً مثيراً يكشف عن جزء من صدرها. وقد قامت هذه الفتاة برفع دعوى ضد مدير البنك مدعية أنه اعتدى على حريتها في ارتداء الزي الذي يناسبها ثم اتخذ قرارا تعسفيا في حرمانها من العمل، وطالبت بالغاء القرار واعتباره قرارا تعسفيا يستوجب التعويض. وقد رد محامي البنك على الدعوى بأن الفستان الذي ارتدته الموظفة لم يكن محتشما ويشكل إخلالا بمقتضيات العمل وآدابه وأن البنك قد أنذرها باحترام الحشمة وآداب العمل. وقد أصدرت المحكمة حكمها بأن قرار مدير البنك مشروع ويجب تنفيذه. وهكذا نود أن نؤكد أن حدود الفتنة والدلال المسموح بها للمرأة في الشوارع والأماكن العامة ومراكز العمل محدودة جدا وأن قواعد الحشمة وآداب السلوك صارمة. ومع ذلك فإن المجتمع الأوروبي قد تعارف على التسامح بالنسبة لظاهرة التعري في أماكن محدوده جدا وخاصة في الدول الإسكندنافيه وأوربا الشمالية كنوادي العراة والاستحمام في بعض الشواطىء النائية وخاصة بالنسبة للنساء. لكن ظاهرة التعري هذه تتقلص بصورة سريعة وقد تختفي تدريجيا كما تتقلص كل المظاهر الإباحية وخاصة بعد انتشار مرض فقد المناعة «الأيدز».

- مساحيق التجميل :

يتم استخدام الخضاب وأحمر الشفاه ومساحيق التجميل في الغرب بحذر شديد ودقة عجيبة. ذلك أن الغربيين يدركون أن المغالاة في استخدام هذه المساحيق يقدم موشرا على انخفاض المستوى الثقافي والاجتماعي والتعليمي للمرأة. ولذا فإن القاعدة الذهبية للمكياج هي استخدامه في حده الأدنى وبأقل كمية وبهدف إخفاء

عيب أو إضافة لمسة جمالية على ملامح الوجه بصورة طبيعية. ومن أجل تجنب المغالاة في استخدام المكياج تحتفظ جميع محلات الأدوات النسائية في أوروبا بنشرات وكتيبات ومطبوعات توجه النساء للطرق السليمة لاستخدام مستحضرات التجميل، وسنجد أنها تحتوي على قواعد سلوكية واضحة مثل «إن الاحتفاظ ببشرة طبيعية أفضل من استخدام لصقة من مواد التجميل على وجه قبيح».

لقد تغيرت مفاهيم المكياج وخضاب الوجه وأدوات التجميل كثيرا عن العصور الماضية، وقد اشتهرت كليوباترا السابعة ملكة مصر في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد بأنها تضع على وجهها قناعا من مواد التجميل وتسرح شعرها فوق وجهها فتصبح فاتنة وغانية الجمال. وأن أسلوبها الشرقي في التجميل اجتاح روما بصورة واسعة، الأمر الذي جعل الكاتب والخطيب الروماني البليغ شيشرون الذي عاش في نفس الفترة يعتبر هذه الظاهرة مؤشرا على تدهور الحضارة الرومانية. وفي القرون الوسطى كان استخدام النساء لمواد التجميل في حده الأدنى وكانت وجوههن تتمتع بالنظارة الطبيعية، بل وأكثر من ذلك فقد كانت ظاهرة نشر المساحيق على الوجه مقصورة على السحرة والمشعوذين، وقد تغير الوضع تماما في عصر النهضة. وفي بلاط الملك لويس الرابع عشر بفرنسا كان على المرأة إذا أرادت الظهور أمام الملك أن تكون قد وضعت طبقتين من الحامورة على خدّيها، ولم تنتهي ظاهرة المغالاة في استخدام المساحيق الا عند قيام الثورة الفرنسية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر (١٧٨٩).

لكننا إذا أردنا الآن استخلاص أهم آداب السلوك وقواعد المجتمع الخاصة بالمكياج، يجب أن نتذكر أن استخدام مواد التجميل في مكان عام مخالف للآداب العامة. كما أن استخدام أحمر الشفاه فوق مائدة الطعام وأمام الحاضرين هو أمر غير مستحب في التقاليد الراقية في المجتمعات الغربية، وعلى المرأة التي زال عنها أحمر الشفاه أثناء وجبة الطعام أن تنتقل إلى مكان ناء لإعادة وضع أحمر الشفاه دون أن يراها أحد. ويجب أن نؤكد أن قيام أي رجل أو إمراة بتصفيف شعره أو شعرها بصالات المطاعم أمر مخل بآداب السلوك وإن علينا الانتقال إلى دورة المياه والحمام حيث يوجد مرآة مثبتة في الجدار فوق المغسلة وهذا هو المكان المناسب لتصفيف

الشعر.

وكان الناس في الماضي يهتمون بتصفيف شعرهم الطويل وكان الشعر المستعار كالزي بالنسبة لرجال البلاط والفرسان والشخصيات الهامة في المجتمع. ومنذ نهاية القرن الماضي بدأت قطيعة تدريجية بين الشعر الطويل المتدلي على الكتف والشعر المستعار، وبدأ الناس يقتبسون تسريحات للشعر القصير والشعر المتموج الطبيعي أو بالألوان الصناعية. وازدادت أهمية صالونات الحلاقة وأصبح الحلاق مستشارا للناس لاختيار التسريحات المناسبه لهم. واجتاحت أوروبا في الخمسينات تسريحة الفيس برسلي ملك ومبدع موسيقى الروك أندرول. وحاول الفتيان والفتيات اختيار تسريحات الممثلين والممثلات السينمائيين المفضلين بالنسبة لكل واحد منهم. وكانت بعض هذه المحاولات مضحكة وغير مناسبة لشكل الوجه أو لشخصية الإنسان. ولذا فقد ازدادت أهمية الحلاقين في الغرب باعتبارهم مستشارين لاختيار التسريحة التي تناسب وجه الإنسان وشخصيته.

ومن الملاحظ أن الغرب يجد نفسه الآن أمام مجموعة متنوعة من المبتكرات والوسائل المستحدثة لتزيين الشعر، وأصبح أمامك مئات الأنواع من الشامبو وأدهنة الشعر غير الزيتية التي لا تترك أثرا على وجهك وملابسك، بل أصبح من المعتاد والمألوف زيارة طبيب الجلد لكي يختار أحسن أنواع الشامبو والدهان المناسب لشعر رأسك والمحافظة على صحته. وانتشرت في محلات بيع مستحضرات التجميل أنواع من ألوان الشعر وأدوات التجعيد والتجفيف (السشوار) ونكش الشعر. لكن الملاحظ أن هذه الوسائل تستخدم بأسلوب وقور ورصين، وأصبحت المغالاة في استخدام الوسائل الحديثة لتصفيف الشعر ونفخه وتثبيته مقصورة على بعض الفئات الدنيا في الغرب وبعض ممثلات السينما العربية. وصارت التسريحة الجميلة والجذابة هي التسريحة التي تتسم بالوقار والرصانة والجمال والبساطة معا. وسيستغرب البعض عند مشاهدة أي امرأة في الغرب وقد وضعت منديلا طويلا يغطي تسريحتها الجميلة بحيث تخفيها تقريبا وسيكتشف المراقب اللبيب أن قواعد الوقار والحشمة تلزم المرأة بإخفاء تسريحتها وزينتها الجميلة في الأماكن العامة ثم رفع ذلك المنديل في المكان الخاص الذي تزينت له.

- العطور والروائح :

لقد مر ذلك العصر الذي كانت فيه الروائح والعطور والبخور العربي من عناصر الجاذبية والانشغاف. وفي بداية هذا القرن أصبح الإسفاف في استعمال العطور والروائح من الأمور المؤذية للآخرين والتي ينبغي تجنبها، ثم صار استخدام الرجال للروائح بالتدريج أمراً غير مستحسب. أما الآن فقد قدمت مصانع العطور والروائح مجموعة من الروائح المتنوعة المناسبة للرجال كروائح الحمام «أودو تواليت» وروائح بعد الحلاقة والروائح المزيلة للروائح وأصبحت اجهزة التليفزيون في الغرب ساحة الصراع الحامية بين الصناعات المنتجة لروائح الرجال، وقد استطاعت أن توقع الكثير من الرجال المعادين للروائح في حبالها، وأصبح «الأفتر شيف» المستعمل بعد الحلاقة موجوداً بجانب أدوات الحلاقة في كل مكان. حتى الروائح المزيلة للروائح أصبحت رائجة واستخدامها متسامح فيه، لكن الناس المهذبين يتجنبون استخدام روائح الرجال القوية.

وإذا كان من المتسامح به للنساء استخدام الروائح بصورة عامة فإن الرائحة القوية التي تنبعث خلف المرأة في الشارع العام أو في وسائل المواصلات دليل الهمجية والابتذال في مفهوم الإنسان الغربي وأيديولوجيته الاجتماعية. ومن الأفكار العامة في الغرب أن بشرة كل إنسان تتفاعل بشكل مختلف مع كل نوع من الروائح، ولذا فإن من المتعارف عليه أن تقوم كل امرأة بتجربة عينات كثيرة من الروائح لاختيار النوع الذي يناسبها. ويتجنب الناس دائما خلط الروائح لأنه يزيد من تركيزها وعدم انسجامها. وعلى العكس من ذلك تؤكد النصائح التي تقدمها محلات الروائح على جدوى تغيير الروائح من وقت إلى آخر حتى لا يفقد الإنسان حساسية الشم مع مرور الزمن بسبب إختيار نوع واحد من الروائح.

أعراف الناس وملابسهم

موضوع الملابس والثياب ذو شقين، الأول يتعلق بالذوق والفن والثاني تحكمه قواعد اجتماعية صارمة. وما من شك أن كل الحضارات تلتقي عند تلك القواعد بالرغم من اختلاف الزمان والمكان واختلاف تقاليد الناس وأذواقهم. وعلى هذا الأساس أصبح من المهم في الغرب معرفة الإنسان للزي الذي يناسبه في المكان والزمان والظروف المناسبة. فالملابس هي من أكثر الأشياء التي تتبدل في دول الغرب بتأثير «الموضة». وبالرغم من ذلك ينبغي التنبيه إلى أن الموضة والتقليعات الجديدة ليس لها إلا قيمة نسبية في المجتمع الأوروبي بالرغم من انها مقياس لما كان عليه الذوق في الماضي وما هو عليه الآن وما سيكون عليه في المستقبل القريب. كما أنها تعبير آخر عن التغيرات الدائمة في حياة المجتمع الغربي. بالإضافة إلى ذلك تقتضي متابعة الموضة إنفاق مالي إضافي وانشغال ذهني بها. وفي الواقع أصبح انشغال الإنسان الغربي بها جزءاً من حياته اليومية، لأنها تعبير عن مدى استجابته للقيم الفنية في مجتمعه. هذا بالرغم من أن قدرة المبدعين ومصممي الأزياء غير كافية لإقناع المستهلكين بأذواقهم الجديدة، فمجال النجاح محدود بقواعد الذوق العام. أما التقليعات الغريبة والخارقة للمألوف والخرافية فينحصر سوقها وقبولها لدى فئة محدودة من الناس، ولهذا يلاحظ أن مصممي الموضة والأزياء يعودون من وقت إلى آخر لتقليعات قديمة. ويقول البعض أن أحسن دورة لإعادة اقتباس موضة قديمة هو خمسين عاما. يقول الكاتب والروائي والسياسي الفرنسي أندريه مالرو «إن العمر بالنسبة للعمل الفني عنصر هام من عناصر الجمال. والموضة هي شيء عابر ومؤقت ولا تستعيد قيمتها الفنية والجمالية من التقليعة السابقة لها إلا باعتبارها رمزاً للماضي».

وعلى أي حال إذا كان المثال العربي يقول «كل ما تريد والبس ما يناسب ذوق الاخرين» فإنه ليس إلا تأكيداً على أن حرية الإنسان في ارتداء الملبس الذي يريد

ليست حرية مطلقة. ويمكنك أن تتصور مدى غرابة خطيب الجمعة وهو يرتدي الزي العسكري أو سيدة عجوز وهي ترتدي فستان فتاة في سن المراهقة أو شخص يرتدي البدلة والكرفتة في مجتمع بدوي أو قبلي، لأنه سلوك مناف للقواعد العامة التي تنظم المجتمع، إذن فقواعد الزي صارمة، والموضة صورة إضافية من صور القهر والعبودية في هذا القرن الذي نعيش فيه. لأن الاستجابة للموضة تفترض قدرة الإنسان على متابعتها من جهه وقدرته على شراء ملابس جديدة كل عام.

وتعني متابعة الموضة التقيد بمقتضيات الأناقة في إطار الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه الإنسان فقط، وليس القيام بدور طليعي في هذا المضمار، لأن هذه القضية لا يستطيع القيام بها إلا الأمراء وأبناء المليونيرات. والموضة لها طابع شخصي وطابع غير شخصي، فهي شخصية من حيث أن ذوق كل فرد يُعدّ عاملا هاما في قبولها أو رفضها، وهي من جهة غير شخصية لأنها تأتي مفروضة من جهة مصممي الموضة والأزياء وما على الآخرين إلا القبول بها دون شروط مسبقة، والأمر الهام أن جمهور الموضة والمتقيدين بها ليسوا إطلاقا كل الجماهير الأوروبية، فهناك قطاع كبير من الناس لا يتابعونها بشكل أعمى ويفضلون عادة الملابس الأنيقة والكلاسيكية والمقبولة بصورة عامة. وثمة ناس يتابعون الموضة ولكن باعتدال وحذر. وكل هذا لأنهم يعرفون أنهم غير قادرين أو لأنهم لا يريدون دفع قيمة الملابس القابلة للتغيير على مدى فترة قصيرة من الزمن.

- الموضة بين الحرية والالتزام :

تشكل الموضة بالنسبة للغربيين قضية أساسية في حياتهم وجزءاً من قيمهم الحضارية الواجبة الاحترام، وهي في نفس الوقت أمر يحد من إطار حرية اختيارهم ومن حبهم للتميز والتفرد وعدم التشبه بالآخرين، لأن الملابس في نظر إنسان الحضارة الغربية مرآة لشخصيته وتؤثر على علاقاته الاجتماعية. وقد قرأت ذات مرة أن مسؤولاً عن توظيف أشخاص في فرنسا قد رفض أن يعين فتاة في وظيفة سكرتيرة مدير معتبرا إياها شاذة وغريبة الأطوار، وقد أصدر عليها حكمه هذا بمجرد مقابلته

لها لأول مره، وملاحظته أن ياقة قميصها مهملة وشعرها طويل ومنكوش ووسخ على طريقة الهيبيز. وهذه الحادثة ربما تعكس مدى حساسية الناس للنظافة أكثر من حساسيتهم للملبس، رغم أن احتجاج المسؤول وارد على اتساخ الشعر وإهمال الياقة. لكنه من المفيد أن نلاحظ أيضا أن الذوق ينبغي أن يتحكم في مظهر الإنسان ونظافته وهندامه. وستلاحظ أن الفتاه التي تلبس فستاناً قصيراً «ميني جيب» يكشف عن ساقيها البشعتين تصرف مناف للذوق في بلاد الغرب. وكذلك الحال إذا لبست فتاة سمينة ومدورة ومنتفخة بنطلوناً وقميصاً ضيقان فإنه قد يكشف بسهولة عن ملامح القبح فيها وهو تصرف وسلوك يدعو للغرابة والسخرية.

وعليه نصل إلى قاعدة هامة وهي أن الذوق الجمالي ليس غريزة بشرية، بل إنه موضوع يتعلمه الإنسان منذ طفولته ويتعود عليه وينمو مع نموه. ومن أعظم الأمور أن تبدأ بالنظر لنفسك ونقد ذاتك ثم أعد النظرة للآخرين إذا كنت من أولئك الذين يحبون نقد الأخرين. لكن من الأفضل أن تركز النظر حول نفسك في المرآة لاكتشاف جوانب الجمال والقبح في ذاتك. وستجد في بلاد الغرب أن العقلاء لا يلهثون خلف الموضة مهما كان الثمن بل إنهم يختارون الملابس التي تناسب شخصياتهم وأذواقهم وتكوينهم الجسدي سواء أكانت ملابس تقليدية أو جينز أو ملابس أخرى.

ولا داعي الآن للقلق كثيرا لما ينبغي أن تلبسه إذا لم تكن دبلوماسيا أو شخصية سياسية أو مالية أو اجتماعية مرموقة وفي مناسبة تعكس مكانتك هذه، حيث لم يعد هناك كما كان في الماضي بدلة ترتديها أثناء طعام الغداء وبدله للسهرة والعشاء. لكن حافظ على مظهر نظيف وأنيق وبسيط في جميع المناسبات، وأحسن قيافة هي التي تجمع بين الأناقة والبساطة والراحة الجسدية. ففي الحفلات والسهرات غير الرسمية يمكنك ارتداء البنطلون والجاكت والكرافتة ذات الألوان المختلفة والمنسجمة في نفس الوقت بشكل يعكس ذوقك الرفيع في اختيار الألوان المتجانسة. ويمكن للمرأة أن ترتدي فستانا عربيا أو هنديا أو أوروبيا ينسجم مع لون القميص الذي يعلوه ومع قطع

الملابس الأخرى. والمهم أن لا تكون ملابسك صادمة ومنفرة للآخرين، وأمثلة ذلك كثيرة، كأن تحرص على الظهور بمظهر الشباب فترتدي أزياء أبناء العشرين عاما بينما عمرك يتجاوز الخمسين عاما.

وإذا لم تكن عارفا في تناسق الألوان فما عليك حينئذ إلاّ استشارة التاجر الذي تشتري منه ملابسك، فهو الشخص القادر على اختيار بدلتك مع قميصها وكرفتتها المناسبة، او بنطلون وجاكت وقميص وكرفتة بألوان مختلفة ومتجانسة ومنسجمة في نفس الوقت. وإذا قررت استشارته فإنك ستبعث فيه حماس المهنة وقتها وسيختار لك الألوان والملابس التي تناسب سنك وجسمك ولونك. ولكن تذكر أن الاختيار سيكون لك وحدك في البداية وفي النهاية.

وثمة ملاحظة هامة ينبغي إبرازها وتتعلق بطبيعة الدعوه الموجهة إليك لقضاء سهره والتي قد يذكر فيها الداعي ضرورة ارتداء «ملابس سهرة» ويسمونها «تنو دو سواريه» او «سموكنج»، وهي في الواقع إلتزام لا يتم إلا في مناسبات رسميه أو دبلوماسيه أو في حفلات الأوبرا الرائعة، وخاصة في ألمانيا والنمسا وسويسرا وفي الدول الإسكندنافية وأيطاليا وبريطانيا. أما في فرنسا وأسبانيا وبعض الدول الأوروبية الأخرى فإنهم يقيمون بعض حفلات الأوبرا ولا يلزمون المستمعين ارتداء ملابس سهرة، بل يكتفون بأن يرتدي الشخص بنطلون وعليه جاكت من لون آخر. لكنه من المتفق عليه أن كارت الدعوة لأي سهرة مذكور فيه كلمة «سموكينج» يعني أن عليك في هذه الحالة أن ترتدي قميصا وكرفتة أفقية سوداء معروفة باسم «بابيون» وشرابات أقدام سوداء وناعمه وحذاء أسود نظيف لماع ومنديل أبيض في الجيب الأعلى في الجهة اليسرى من سترة البدلة التي ترتديها. وعادة، فإن هذا المنديل يطوي بشكل خاص لهذا الغرض. وكان من مقتصي بدلة «الاسموكينج» إرتداء الصدره أو «اليلق» أو الصديري كما يسميه البعض. وأصبح الآن من المتسامح فيه ترك الصدره وخاصة في فصل الصيف أو في الأماكن الدافئه. أما شروط «الاسموكينج» للمرأه فهو الفستان الطويل. وقد أصبح الآن مقصورا استخدام الفستان الطويل لسهرات قليله ومحدودة هي والمعروفة باسم «الاسموكينج». أما ما دون ذلك، كحفلة عشاء

أو حقل استقبال «رسبشن» فإن من حق أي سيدة أن ترتدي ما تريد من الملابس التي تعجبها وتناسبها. ويمكن أن يكون «التيير»، وهو عبارة عن بدلة نسائية مكونة من جاكيت وقميص أو بلوزة والقطعة السفلى من «التيير» مناسبة جدا مع الحد الأدنى من الحلي وحذاء أنيق ونظيف ولماع وشنطة اليد مع مراعاة انسجام ألوان شنطة اليد والحذاء.

ومن المفيد أن نشير أنه منذ عشرين عاما كان هناك قواعد صارمة للزي، ولم يكن من المتسامح فيه ارتداء بدلة كاكي، أما الآن فقد مرت فترة كانت فيها البدلة الكاكي موضة مقبولة ومنتشرة، بل ارتدى الشباب بدلات نصف رياضية ونصف مدنية. ولا تحمل الموضه بصورة عامة أي طابع إلزامي وخاصة تلك التقليعات الغالية والمكلفة والتي تعكس نوعا شاذا وغريبا من الذوق، وكلما ابتعد المرء عن هذا النوع من التقليعات كلما ازدادت أمامه فرص اختيار الملابس الأنيقة والعملية ويضمن لنفسه بأنه لم يذهب بعيدا عن الذوق العام والقيم الفنية المشتركة للجميع.

- متممات الأناقة والحشمة :

الأناقة موضوع مضنٍ، وهي ليست فقط تعبيرا عن الذوق وعن المستوى الثقافي والاجتماعي الرفيع، بل إنها أيضا مظهرا من مظاهر التقسيم الاجتماعي في المجتمع الغربي. ذلك أنها تحتاج إلى المال والامكانيات بل وتحتاج إلى الوقت الكافي. والأناقة لا تستهدف فقط جمال الملبس وانسجام الألوان بل تعني بالدرجة الأولى التقيد بكل مظاهر الحشمة وإخفاء جمال المرأة بإخفاء أكبر جزء من مفاتنها كشعر رأسها ويديها وعنقها. وعلى سبيل المثال فإن الملكه مارجريت ملكة بريطانيا لم تظهر في أي شارع أو احتفال عام ورأسها مكشوف بدون قبعة. وكذلك الحال بالنسبة لملكات الدول الاسكندنافيه واميراتها بل ومعظم زوجات رؤوساء الجمهوريات في الغرب. وعلى هذا الأساس تقوم القبعة بدور هام وهو التقيد بمقتضيات الحشمة وتجسد قاعدة من قواعد الآداب العامة. وانطلاقا من هذا المغزى أصبح على المرأة في الغرب أن تضع على جسمها متممات الأناقة ومكملاتها مثل القبعة والقفاز وشنطة

اليد والحلي والايشارب والبالطو وغيرها. وكان على المتقيدين بأصول الأناقة أن يغيروا ملابس الفترة الصباحية وارتداء ملابس أخرى لفترة الغداء وملابس أخرى للعشاء أو للسهرة. أما الآن فإن مقتضيات الأناقة قد خفت واهتزت كثيرا ولم يعد ارتداء القفاز أو القبعة أو أي شيء من متممات الأناقة ومكملاتها أمرا ملزما بل أمرا اختياريا محضا وخاصة إرتداء القبعة بالنسبة للرجال.

- الآداب الخاصة بالقبعة والقفاز :

اذا أراد المرء ارتداء القبعة أو القفاز مثلا فإن عليه أن يراعي القواعد والأصول التي تحكمها. وفي الغالب فإن ارتداء القبعة والقفاز ليس فقط لمجرد الأناقة بل لهدف عملي وهو الاحتماء من البرد أو الشمس. وفي هذه الحالة علينا أن نتذكر أن القبعة ليست مسمرة على رؤوسنا لا يمكن خلعها، ولذا فإن من الواجب عند دخول السينما أو المسرح أو القهوة أو المطعم وغيرها من الأماكن العامة أن يخلع المرء قبعته. وهناك قاعدة أخرى يطبقها الناس في دول الغرب وتقتضي أن يرفع الرجل قبعته من فوق رأسه تحية لسيدة يعرفها ويقابلها على قارعة الطريق أو في أي مكان عام. أما المرأة فلا تلزمها قواعد الحشمة والسلوك الاجتماعي أن ترفع قبعتها تحية للرجل ولا لامرأة أخرى حتى في المطعم أو القهوة، وعلى المرأة أن تحتفظ بقبعتها تغطي شعر رأسها وتحفظ لها كامل وقارها. لكنها إذا دخلت السينما أو المسرح فإنها ملزمة بخلعها ووضعها فوق ركبتها أثناء العرض. وفي العادة يترك الناس قبعاتهم مع معاطفهم لدى حافظ المعاطف عند مداخل المطاعم والمسارح والأوبرا. وبعض النساء المفرطات في الحشمة يضعن عمامة على رؤوسهن فتصبح هذه العمامة جزءا من أناقتهن أيضا ويصعب أحيانا خلعها. وعلى هذا الأساس فإن من المتسامح فيه أن تحتفظ المرأه بعمامتها في المقهى والمطعم بل وفي المسرح والسينما إذا كان حجمها صغيراً، وإلاّ فإن عليها أن تختار الجلوس في مكان لا يوجد خلفها كرسي آخر بحيث لا تحجب عمامتها الرؤية عن الشخص الجالس خلفها أو أن تخلعها. وفي بعض الأحيان يرتاد المسارح والسينما بعض العرب الذين يضعون على رؤوسهم

عقالات أو كوفيّات أو عمائم، ولذا وجب عليهم أن يحرصوا على خلعها قبل بداية العرض. ولم يعد القفاز أيضا مجرد مكمل للإناقة، فقد أصبحت له وظائف كثيرة في الحياة اليومية كالرياضة وقيادة السيارة وللوقاية من البرد وللعمل في الحديقة وللمحافظة على اليدين من الاتساخ وغير ذلك. وكان القفاز في القرن السادس عشر جزءا من الملبس العام. ومن الآداب العامة التي تحكم وضع القفاز على اليد هي ضرورة خلعه إذا أراد الرجل مصافحة أي شخص سواء أكان رجلا أو إمرأة إلا إذا كان الشخص الآخر يرتدي قفازا وفضل مصافحة الآخرين بقفازه.

ومن التقاليد المتبعة في هذا المضمار أن على المرأة التي تضع على يديها قفازا عدم خلعه في الشارع العام لأنه كالقبعة جزء من حشمتها ووقارها. وعلى العكس من ذلك، فإن من حق المرأة خلع القفاز في المطعم والصالون والقهوة. أما فوق المائدة وعند تناول الطعام فإن على المرأة أن تخلع قفازها. وإذا كانت المرأه ترتدي قفازا في حفلة رقص فان من المقتضيات الاحتفاظ به أثناء الرقص. هذا وتقتضي الأعراف البروتوكولية خلع القفاز عند مقابلة أمير أو أميرة أو أي شخص من العائلة المالكة، وكذلك الحال عند مصافحة رئيس الجمهورية أو رئيس السلطة التشريعية كقاعدة عامة تجسد الاحترام في معظم الدول الغربية لهذه الشخصيات.

- شنطة اليد:

لم يكن وارد في اهتمامي الحديث عن الأشياء الصغيرة والكبيرة في التقاليد الغربية ولكني فضلت أن أقدم لمحة عن الفوارق الهامة والبسيطة معا، لأنها ستقدم بالنسبة لاؤلئك المضطرين للحياة في الغرب إجابة لبعض أسئلتهم واستفسارات زوجاتهم وخاصة الدبلوماسيين منهم ورجال الأعمال والطلاب والسواح والمرضى الذين يقضون فترات طويلة للعلاج والاستجمام هناك.

فحقائب النساء لا تحكمها قواعد معقدة، حيث تستطيع المرأة الآن وخاصة في فترة الصباح أن تحمل معها كل أنواع الحقائب إبتداء بالحقائب العملية على شكل السلال إلى الحقائب الجلدية وحقائب الفرو وحتى أكياس السفر الصغيرة والخفيفة

التي تحمل على الكتف. لكن الحقائب التي تحملها المرأة في المناسبات البهيجة أو الحفلات المسائية ينبغي أن تكون صغيرة وتنسجم مع ملابسها وخاصة حذائها. وإذا استدعت الحال مستوى عال من الأناقة ينبغي شنطة أن تشكل اليد جزءا من قبعتها وقفازات اليد وحذائها أيضا. وهناك شيء آخر يستدعي التنبيه ويتعلق بوضع أقل الحاجيات فقط في الشنطة، وإذا احتاجت المرأه لإخراج شيء منها كالنقود أو القلم فإن عليها أن تتجنب صب أو إخراج كل محتوياتها من مكياج وعلاجات وغير ذلك أمام الآخرين، لأن مثل هذا التصرف لا ينم عن الذوق الرفيع وقواعد السلوك المحببة. وهناك أمر آخر وهو أن لا تترك المرأة حقيبة يدها في أي مكان إذا انتقلت إلى مكان آخر، بل عليها أن تحملها معها بصورة مستمرة إلا إذا كانت في حفلة غداء أو عشاء بين الأقارب أو الزملاء المقربين لأهلها فإنها تستطيع حينئذ أن تتركها في الصالون إذا كان عليها أن تنتقل عدة خطوات فقط لصالة الطعام. ومن المفيد أيضا أن نذكر أن حقيبة اليد بالنسبة لكل سيدة هي جزء من شخصيتها، وأنه ليس من حق أحد حتى الزوج أن يفتح شنطة زوجته في مكان عام كالقهوة أو المحل التجاري ليخرج منها بعض النقود أو منديلا أو خلافه. وإن محاولة أي شخص فتح شنطة أي سيدة أو التعرف على محتوياتها سيؤدي حتما لما لا يحمد عقباه. أما الرجل الذي يحمل حقيبة فعلى العكس من ذلك يمكنه أن يتركها في أي مكان مأمون. واذا دخل منزل أصدقاءه فعليه أن يتركها في مكان ما عند مدخل الباب، إلا إذا كانت تحتوي على أشياء يريد عرضها على الآخرين فإنه سيضعها في أي مكان بالقرب منه ليتمكن من عرض أوراقه أو وثائقه بسهولة دون الحاجة إلى تنقلات كثيرة في الصالون.

- المجوهرات والحليّ :

المجوهرات والحلي جزء من أناقة المرأة ومتممات جمالها منذ ثلاثة آلاف عام، لكنها واجهت عبر العصور تحولات وتعديلات وتبدلات جسيمة. وما كانت تلبسه النساء قبل عشر سنوات في دول الغرب تركته الآن وربما تعود الحاجة إليه بفعل تجدد الموضة بعد سنوات أخرى. لكن المجوهرات الثمينة من الذهب واللؤلؤ والزمرد لا

تتجرد من قيمتها بفعل الموضة التي تتغير بتغير الزمن بل تحتفظ بقيمتها المالية والجمالية فترات طويلة. ويحاول البعض بعد فترات معينه تغيير مظهرها وادخال بعض التعديلات الحديثة عليها إن أمكن ذلك بسهولة وبأسلوب عملي غير مكلف.

ومن الملاحظ الآن أن بعض النساء يخلطن بين لبس المجوهرات الثمينة والمجوهرات الحديثة والرخيصة بأشكالها العجيبة والغريبة دون تقيد بمعايير الذوق والأناقة. لكن لا تزال أغلبية من النساء يعرفن متى يلبسن المجوهرات الثمينة كما يعرفن مناسباتها وأوقاتها والملابس التي ينبغي أن ترتدينها معها. وكذلك الحال بالنسبه للحلي الاصطناعية أو الحديثة والرخيصة، وهي غالبا ما تلبس على الملابس العادية في حفلات الشباب أو في المقابلات غير الرسميه بين الأصدقاء. ومن الملاحظ أن بعض النساء يلبسن أنواعا لا حصر لها من الحلي الغريبة كالهلال والصليب أو نجمة أو أي رمز آخر مصنوع من العاج أو الماس الصناعي أو البلاستيك أو الفضة وبأي لون كان. وعندما يدقق المرء في هذا الجانب يكتشف أنه لم يعد في دول الغرب قواعد تتحكم فيما تلبسه المرأة من حلي ومجوهرات اللهم إلا أن لا تجعل من صدرها معرضا لكل ما تملكه من حلي. وحتى إذا سمحت بعض النساء لأنفسهن بارتداء أنواع مختلفة من الحلي الثمينة كالمجوهرات والحلي الرخيصة كالعاج فإن هذا الخلط يبقى نادرا وفي حدوده الضيقة. ومن المحتمل أن يجد المرء أن بعض الأمريكان السود أو بعض سكان أمريكا الجنوبية يلبسون ثلاثة أو أربعة أنواع من الحلي فوق الصدر، لكن هذا الوضع لا يجد مثيلا له في أوروبا إلا في الحالات النادرة جدا وفي طائفة من البشر لا يملكون قدراً من الثقافة.

ومن الأمور التي يجب على المرأة أن تراعيها تجنب السباحة في البحر أو المسبح بالحلي والمجوهرات أو القيام بأي نوع من أنواع الرياضة بما في ذلك الجري بالتريننج أو الشورت أو التنس أو غير ذلك من أنواع الرياضة. لأن لبس الحلي والمجوهرات أثناء ممارسة الرياضة مدعاة للسخرية ومظهر من مظاهر التميز ومحاولة للتفرد في المكان والزمان الغير مناسبين.

وكانت الحلي المتسامح فيها للرجل محدودة بخاتم الزواج وبعدد كبير من

الحلي للبحارة الذين يضطرون لتغييرها في موانيء دول أخرى لا يملكون عملاتها. لكن أصبح الآن من المتسامح فيه، بالإضافة إلى خاتم الزوجي، أن يرتدي الرجال وبخاصة الشباب، أساور من الفضة وأحيانا من الذهب في معصم اليد اليمين مكتوب عليها إسم الشخص. كما أصبح من المألوف أيضا ارتداء بعض الشباب سلسلة من الذهب فوق الصدر وحول العنق وكذا وضع أزرار من الفضة على الأكمام المزدوجة والمثبتة لقميص البدلة. أما الأزرار الذهبية فلا شك أنها أمر مستهجن ومثير للسخرية إلا في الحفلات الليلية إذا كان مع قميص وبدلة اسموكينج. وكذلك الحال بالنسبة لمثبتات الكرفتة من أي مادة كانت سواء أكانت من المعدن أو الذهب أو الفضة فإنها مظهر من مظاهر الكلفة والذوق الرخيص، ويعتبرها الغربيون مع أشياء أخرى من طبائع الأغنياء الجدد أو حديثي النعمة، ويدخل في هذه المعنى كل شيء مصنوع من الذهب كالساعة الذهبية وأساور اليد الذهبية وغيرها. لكن الذوق العام بين الفئات الغنية بدأ يقبل الساعات الذهبية بأساورها كأمر متسامح فيه بشرط أن يكون مظهرها وقورا وحجمها صغيرا ومقبولاً.

- **الأوسمة :**

يمكن القول في البداية أن ظاهرة منح الأوسمة وظاهرة حملها في الوطن العربي ما زالت محدودة. لكنها في الدول الغربية ظاهرة منتشرة وشائعة وخاصة تلك التي توزع بمناسبة الانتصارات العسكرية. وفي فرنسا وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا يوجد العديد من الأوسمة والميداليات يخرج الحديث عنها هنا عن موضوعنا الرئيسي. كما أنها تحمل عشرات الأسماء، منها أوسمة عسكرية وأوسمة عليا يمنحها رئيس الدولة وأخرى تمنحها بعض الهيئات وأوسمة وميداليات للكفاءات العلمية والفنية والأدبية وميداليات وأوسمة من مختلف الدرجات لمكافأة أشخاص أدوا خدمات ممتازة للدولة والوطن في مجالات متعددة.

والملاحظ أن هذه الأوسمة تقدم على أشرطة صغيره من القماش أو على سلس أو بدون حامل سوى دبوس أو مشبك لتثبيتها على الصدر الأيسر، وبعضها يحمل

بشريط عريض وطويل يلتف حول الصدر من فوق الكتف اليمين حتى يصل منتصف الجسم ملتفا من تحت إبط الذراع الأيسر.

والمهم في موضوعنا هذا هو تحديد الكيفية والمناسبة التي يمكن فيها استخدام هذه الأوسمة. ولذا نود أن نشير إلي أن على الشخص الذي يحمل العديد من هذه الأوسمة أن يحمل منها فقط الأعلى درجة من الناحية الأدبية والإجتماعية لأن حمل عدة أوسمة كأربعة أو خمسة أو ستة فوق بعضها وفي وقت واحد أمر لا ينم عن الذكاء، كما أن ارتداء هذه الأوسمة لا يستحب إلا في المناسبات الرسمية، وأحيانا في الحفلات الهامة والكبيرة. كما أن من غير المحبب في الدول الغربيّة حمل نيشان أو ميدالية ممنوحة من دولة أخرى في بلد الشخص الممنوح، فمكانها المناسب رف خاص وبأسلوب مرئي في أحد دواليب المنزل. ولكن من حق هذا الشخص أن يحمل النيشان الأجنبي في أي مناسبة هامة يدعى إليها في البلد الذي منحه ذلك النيشان.

التحكم في مظاهر السلوك الطبيعي

سلوك المرء في مشيته وجلسته :

كانت بعض حركات الإنسان وإشاراته وإيماءاته تعتبر في الحياة الأوروبية القديمة خروجا عن آداب السلوك العام، وليست تعبيرا عن الحيوية والنشاط. ومن هذه الأوضاع تحرك الإنسان يمينا وشمالا أثناء جلسته والقيام ببعض الإشارات أو الأيماءات التعبيرية أثناء الحديث، والمشي في الشارع بسرعة أو ببطء شديد، وكذلك المشي بخطوات غير متوازنة، أو الظهور بوجه عابس أو مكشر أو بابتسامة كبيرة غير مبررة. وبصورة عامة كان هناك قيودا لا حصر لها على مظهر الإنسان وهيئته ومشيته وإيماءاته لا تقرها قواعد السلوك والآداب العامة آنذاك.

أما الآن فقد صار من حق كل إنسان أن يسير في الشارع بأي سرعة يريد ومن حقه أن يتلهى في مشيته كما يحلو له إذا لم يكن مستعجلا، وأن يجري خلف الأتوبيس ليدركه قبل الرحيل. لكن الحرية لم تصبح مبررا لكل حركات الإنسان المضطربة وهز الاكتاف أو السيقان المتموجة. فالحضارة الغربية طبعت الناس على أن الحركة اللطيفة والرشيقة للجسم هي الحركة الطبيعية. ولذا فإن الحديث المقترن بحركات اليدين والذراعين وهز الركب والأقدام ليست أكثر من تعبير عن الاضطراب الداخلي للشخص. والحديث الذي يقترن بحركات اليدين كما يتحدث الأمريكان أو العرب أمر غير مستحب في بعض الدول الغربية وخاصة فرنسا. أما ضرب الطاولة باليد أو ضرب الجدار أو أي شيء بالقرب منك أثناء الحديث فهو أمر مستهجن لدى الجميع.

وإذا كان الشخص مستعجلاً ومضطرا للجري فليس من حقه إجبار الآخرين على تغيير مشيتهم وحركتهم الطبيعية لإخلاء الطريق له. بل عليه أن يكيف نفسه وهيئته ومشيته السريعة مع حركة الناس دون مضايقتهم. والأوروبيون بصورة عامة لا يحبون العناق المشبوب بالحماس على الطريقة العربية، وربما يفعلونه بالنادر وخاصة مع العرب، لكنه

يقتصر على الحركة الرمزية في العناق فقط.

وتعتمد هيئة الإنسان ومظهره العام بصورة عامة على المحيط البيئي والحياتي الذي يوجد فيه، فطريقة الجلوس على أريكة عربة أو كرسي عادي يختلف عن هيئة الإنسان وهو جالس على كرسي صالون وثير ذو مسندين. وإذا كان الإنسان مدعوا لقضاء بعض الوقت في منزل شخص في أي مدينة في الغرب فسيجد المرء أن الصالون المريح موجود في كل بيت وتستطيع الجلوس عليه بصورة مريحة. لكن إذا اقتضت الدعوة أن تقضي وقتا طويلا في ذلك المنزل فلا تسمح لنفسك بالارتماء في قعر المقعد أو بالإرتخاء فوق كنبة فتمنع الآخرين من الجلوس عليها بجانبك. ومن غير المستحب أيضا الجلوس على الأرض فوق وساة أو مخدة غير معدة لذلك كما نفعل أحيانا بتسامح كبير في بلادنا العربية. وفي فرنسا يعلمون الأطفال مثلاً يقول : « الجلوس بصورة سليمة سلوك حسن» ويعبر هذا المثل عن الدرس الأول في الانضباط الاجتماعي الذي يلتقاه الفرد منذ نعومة أظفاره فيتذكره الإنسان ويمارسه طوال حياته.

الضحك:

تعتبر الابتسامة والضحكة تعبيرا طبيعيا عن الراحة النفسية والسرور والبهجة، وهي عطاء وهبة من الله جل وعلى. وبقدر ما تملكه الضحكة والإبتسامة من صفات سحرية وإنسانية عجيبة فإنها تستطيع أن تعكس صورة للاشمئزاز والسخرية والعدوان. بل ويمكن أن تكون ببساطة وفي مناسبة ما سلوكا صادما قد يؤدي إلى نتائج غير حسنة. ومع ذلك، فقد استحقت الابتسامة والضحكة مديح الأدباء وغناء الشعراء. وقال فيها الكاتب سانت إكسبوري: «إن الابتسامة تدعو للابتسامة وتؤكد للآخرين ثقتهم بأنفسهم وبكل ما يحيط بهم» أما الكاتب الروائي الشهير فيكتور هيجو فقد قال: «إن الشعب محتاج للضحك، والملك محتاج له أيضا، ولذا فإن من الواجب أن يوجد في كل ملتقى رجل مضحك وفي كل قصر مهرج لإضحاك من فيه».

وإذا كان الضحك تعبيرا عن البهجة والسرور فإن الأوروبي العادي لا يحب أن يتجاوز صوت ضحكته مسامع المجموعة المشتركة في الحديث فلا يقهقهوا ولا تنفجر

ضحكاتهم في الأماكن العامة كالمطاعم والشوارع والمقاهي، وهم بهذا الأسلوب يختلفون عن الأمريكان إلى حد بعيد، فإنسان حضارة غرب المحيط الأطلنطي أكثر انفتاحا على المجتمع وأكثر تحررا من قيوده القديمة. ومع ذلك إذا قهقه الإمريكي العادي في ضحكته فلن تصل إلى حد جذب أنظار الآخرين نحوه كما يفعل بعض العرب بجلافة واضحة فيحرج الأشخاص المرافقين له. خاصة أن الضحك بكثرة سلوك مناف للآداب الإسلامية وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الاكثار منه فقال: «كثرة الضحك تميت القلب ..».

ويبدوا لي أن الفرنسيين هم من أكثر شعوب الدول الغربية اقتصادا في الضحك، بل أعتقد أن هذه الحالة هي صورة من صور الانكفاء على الذات ويمكن للمرء أن يلاحظ ذلك من حالة الضحك المشجعة التي يمنحها عدة مشاهدون من دول غربية مختلفة لمسرحية معينة بذاتها أو لمهرج معين بذاته في لحظة معينة أيضاً، وسيشاهد المرء أن الضحكة التشجيعية التي يمنحها الفرنسي للممثلين لا تملك نفس القوة والحرارة التي يمنحها الأمريكي أو الإسكندنافي أو الإيطالي. وقد حاولت لفترة كافية أن ألاحظ قوة ضحكة المجموعات البشرية لجنسيات مختلفة في العروض الفكاهية والمسرحية التي تقام حول مركز بوبور الثقافي في باريس وفي عدد من الأماكن المماثلة في دول أوروبية أخرى. وليس من السهل أن أجزم أن من الصعب إضحاك الشخص الفرنسي، لكن ثقل القيود الأدبية والاجتماعية على ضحكته وقهقهته وتصفيقه تبدوا واضحة وقوية في مثل هذه المناسبات. وفي هذا الإطار لا يمكن ان تفوتني ملاحظة تستحق التأكيد، ومضمونها أنه ليس من آداب السلوك الاجتماعية ترجمة النكات على مجموعة من الأصدقاء أو الأصحاب في فرنسا. وأعتقد أن هذه القاعدة تسري على معظم الدول الغربية. ويبدو أن هناك سبباً جوهرياً في هذا الموضوع، وهو أن كل محاولة لترجمة نكتة إلى اللغة الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية يحرمها من عناصر التشويق اللغوي والبنيوي التي تمتلكه تلك النكتة التي ولدت في بيئة عربية. وكقاعدة عامة فإن ما يضحك في بلادنا العربية لايضحك الآخرين في دول الغرب بل وأكثر من ذلك فإن ما يضحك في فرنسا لايجد نفس الأثر في ألمانيا أو الولايات المتحدة الأمريكية. وكم عرضت الشاشة الصغيرة من برامج تليفزيونية فكاهية أمريكية أضحكت الملايين هناك لكنها فشلت بصورة مطلقة في إضحاك الناس بفرنسا.

وكل ما ينبغي التأكيد عليه الآن هو أنه مهما كانت خفة ظل الشخص العربي فإن أي

محاولة لاستغلال عناصر الكفاءة وخفة الدم بالقاء النكات في لقاءاته مع غربيين هو أمر لا يستقيم مع السلوك العام وسيكون مصير محاولاته الفشل. بل إن هذا السلوك سيفسر بأنه سلوك مبتذل وثقيل الظل.

سأضيف ملاحظة أخيرة حول معنى الضحكة ومغزاها وأثرها في النفس، ويهمني هنا أن أشير الى أن الضحكة التي يقصد بها السخرية من الآخرين أو إغاضتهم أو الاستهزاء بهم حتى وإن تحقق فيها النجاح لما يقصده الإنسان، فإنه أسلوب دنيء ومبتذل ونتائجه لا تحمد عقباه. فإذا كانت السخرية عنوة ومقصودة فما على الإنسان إلا أن ينتظر رد فعل قوي، وإن كانت سخرية مخفية فإنها تدعو الآخرين إلى استهجان هذا الأسلوب غير المهذب. وليس من حق أحد في تلك البلاد إصلاح عيب أحد ولاسلوك أحد لأن أجهزة النقد والتوجيه كثيرة ومؤثرة ابتداء من أجهزة الإعلام والصحافة وانتهاءً بالأعمال الدرامية من مسرحيات وتمثيليات والتي تتركز أساسا حول نقد السلوك الشخصي وتقويمه.

التثاؤب والعطس والتمخط:

من الظواهر غير المتسامح بها أبداً عادة التمخط أو إدخال الأصابع إلى الأنف لتنظيفها، فهذه عادات منافية للذوق والأخلاق وللمبادئ الأساسية للتعليم والتهذيب في مختلف الحضارات بدون استثناء. ومع ذلك ينبغي الاعتراف أنها من المظاهر البدنية الطبيعية، لكنها تحتاج إلى أسلوب رصين ولائق لمعالجتها بصورة خفية وغير مدركة. ولا يستطيع المرء تجنبها بصورة مطلقة خاصة إذا كان مصابا بالزكام وعليه التزام بمقابلة الآخرين. ولذا فإنه لابد أن يحتفظ بكمية كافية من المناديل وإخراجها واحدا واحد كل مرة بصورة وقورة لتنظيف أنفه ثم وضع المنديل المستعمل في مكان آخر غير مرئي وعدم نشره أمام الآخرين.

والعطس أيضاً كظاهرة جسدية طبيعية لا يتركها الناس دون ضابط. فهم يعملون على تخفيفها ومنع خروج القاذورات من الأنف أو الفم، وهذا لا يستدعي أكثر من قفل الفم ووضع منديل على فتحات الأنف. وبعض القداماء في المجتمع الفرنسي وفي أسبانيا وإيطاليا ودول أخرى أوروبية ينتهزون هذه الظاهرة ويقدمون بعدها للشخص التمنيات

بالصحة والسعادة، لكن هذه التمنيات لا تجد مكانها الآن في أوساط الشباب وهي عادة تميل إلى الإنتهاء.

والسعال أيضا ظاهرة طبيعية ويحاول البعض أن يخفف من صوت السعلة بوضع باطن يديه على فمه، وهي محاولة قاصرة عن تقديم صورة للسلوك الممتاز. لكن الأصعب من ذلك تلك العادة التي يمارسها البعض في بلادنا وأعني بها التنخع والبصق على الأرض، وهي عادة غير متسامح فيها في الدول الغربية. وتؤكد المضامين التعليمية والتهذيبية والأدبية التي يتلقاها الإنسان في الغرب أن ما يحمله البصاق الصادر عن التنخع من الأمراض والجراثيم الخطيرة قد لا يوجد في البراز والبول. ولا أذكر أنني شاهدت مرة في أوروبا شخصاً يتنخع بصوت مسموع ويقذف ببصاقه على الأرض خلال إقامة دامت سبع سنوات. لأن المصاب بالسعال أو بالإسهال في إفرازات الصدر عليه أن يتوجه فورا إلى الطبيب أو المستشفى للمعالجة.

وهناك سعال بسيط وخفيف ومؤقت ويمكن للمرء إدراكه بسهوله، لكنه قد يكون رغم خفته محرجا إذا كان الإنسان في السينما والمسرح أو في أي مكان للاستماع لعزف موسيقى. حينئذ ينبغي على المرء أن يستخدم المناديل لكتم صوت السعلة، وإذا كانت السعلة قوية فإن من واجبه مغادرة قاعة السينما أو المسرح.

والتثاؤب قد يكون أحيانا فقط من علامات الضجر، ويقول البعض أنه قد يفسر تقلصا ناتجا عن الجوع أو الرغبة في النوم أو سوء هضم أو نتيجة للتعب والإرهاق. وعلى أي حال فالتثاؤب لا يمكن اعتباره مظهراً معيبا. كل ما في الأمر أنه ينبغي على المرء أن لا يفتح فمه بحرية، بل إن من واجبه أن يغطي مظهر فمه المفتوح بمنديل. ومن المتعارف عليه بصورة عامة أن التثاؤب تعبير لا إرادي عن الضجر والتململ، وقد يكون مبعث هذا الضجر والعياء هو الشخص الذي يتحدث معك، ولذا فإنه سيشعر فورا أن حديثه كان مملا وينقصه التشويق، ولذا وجب على المرء الامتناع عن التثاؤب مرة أخرى وتقديم الاعتذار لمحدثه.

تنظيف ما يعلق بين الأسنان:

غالبا ما يعلق بين الإسنان بعد تناول الغذاء بعض أنسجة لحمية أو من مواد غذائية

أخرى. وعندئذ يجب التخلص من تلك الفضلات العالقه بين الأسنان بأسلوب غير منفر. وقبل كل شيء ينبغي التحذير من استخدام الشوكه أو السكينه أو منديل المائدة أو الأظافر لإخراج ما يعلق بين الأسنان من فضلات. وما عليك إلا أن تبحث فوق المائدة أو تطلب من خادم المطعم أعواد مهيئة بصورة خاصة لهذا الغرض. وإذا لم تتوفر أمامك تلك الأعواد فيمكنك استخدام جزء من عود ثقاب أو دبوس أو الذهاب إلى الحمام للتخلص من تلك الفضلات المضايقة. وإذا تمكنت من الحصول على الأعواد الخاصة بتنظيف الأسنان عليك أن تخفي فمك بيدك عند القيام بهذه العملية.

إن عملية تنظيف ما يعلق بالأسنان أثناء الطعام ترتبط بالضرورة بنظافة الأسنان بالسواك او الفرشاة وبنوع من معاجين تنظيف الأسنان التي تقوى جذور الأسنان وتحمي السن من التلف ولا بد من تنظيف الأسنان والمحافظة على لمعانها مرة على الأقل يوميا.

التجشؤ :

التجشؤ في دول الغرب عادة رديئة وبعيدة عن كل مقتضيات الذوق والأدب. وإذا حصلت من أي شخص دون شعور فإن واجب كل شخص يسمعها أن يتجاهل حدوثها وكأن شيئاً لم يكن. ومن المؤسف أن بعض الأشخاص في البلاد العربية لا يدركون تماما مغبة هذا التصرف الذي يستهجنه الناس في الغرب، فقد كتب بعض الأوربيين بأسلوب ساخر «من المؤكد في بعض الدول كالمغرب مثلا أن التجشؤ تعبير عن الشكر والنعمه بعد الاستضافة». وفي الواقع، فإن التجشؤ عادة غير مستنكرة للأسف في الريف العربي كله بصورة عامة.

السلوك في الأسرة

أولا نود أن نتجنب الدخول في تعريف شامل لمفهوم الأسرة والعائلة لأن هذا الموضوع يرتبط بملكية التركة وملكية الأرض وبالملكية العقارية وبرابطة الدم من جهة الأب الذكر ثم رابطة السلطة الأبوية. هذا بالإضافة إلى أن هذا الموضوع سيجرنا إلى التفرقة بين مفهوم العائلة في الحضارة المسيحية ومفهومها في الحضارة الإسلامية، وهو أمر يخرج عن موضوعنا الرئيسي. ولذا فسنقصر مفهومنا للعائلة على أفراد العائلة التي تربط بينها روابط المنزل الواحد والعيش المشترك تحت سقف واحد. وبهذا التعريف تصبح العناصر المكونة للأسرة هي الأبوين وأبويهما وأبنائهما وأقاربهما الذين يعيشون معهما في منزل واحد وأولئك الأقارب الذين يستطيعون الوصول إلى البيت باعتبار تلك القرابة.

وهكذا فإن العائلة هي الوسط الطبيعي الذي يعيش فيه عادة الأبناء والأباء والأجداد، أي أنها المحيط الذي يسمح لثلاثة أجيال ترتبط بروابط الدم في العيش معا. وهذا التعريف هو المفهوم الضيق للأسرة المتفق عليه بالنسبة لموضوعنا الذي يعالج القيم الثقافية وآداب السلوك، لأنه يسمح لنا باعتبار الأجداد مصدر الحكمة والتجربة والخبرة التي يتوارثها الإنسان وبخاصة آداب السلوك وقيم المجتمع الروحية والمعنوية والمادية. وهذا المفهوم يسمح لنا من الناحية التاريخية بتتبع دور القوة المعنوية التي تمنح تلك القيم قوة الاحترام بين الأجيال المتتابعة وهم الأبناء وأبناء الأبناء. وبمعنى أوضح أنه عند كل اختلاف حول مفهوم القيم الاجتماعية فإن الأصغر سنا ملزم باتباع نصائح وتوجيهات الأكبر سنا.

وإطار هذا التعريف وتفاؤله ينسجم مع واقعنا العربي، إلا إنه الآن معرض للاهتزاز والجدل والاعتراض في المجتمع الغربي، حيث يميل الشباب الآن هناك إلى اعتبار أباءهم وأجدادهم عنصراً منغصاً ومنكداً. وينبع السبب الرئيسي لهذا الاختلاف في الأساس من الاختلاف حول آداب السلوك التي يمارسها الأباء والأجداد ولا يود الأبناء الالتزام بها. وبالرغم من الصراع الحاد بين الأجيال في المجتمع الغربي فإن الظاهرة العامة والسائدة أن الأباء والأجداد يعرفون كيف يخففون من ذلك الصراع ويخفضون نتائجه الضارة إلى أدنى

حد ممكن. ومن أجل تحقيق مزيد من الفائدة سنعالج موضوع القيم في المستويات المختلفة للعائلة.

الزوجان:

الزواج وتكوين عائلة هو أهم هدف لتحقيق حياة سعيدة ومستقرة في جميع الأديان، ويقول الرسول ﷺ : «إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين فليتق الله فيما بقي» والمرأة في الغرب تحتل قلب الآداب الاجتماعية. وقد كتب أحد البارونات الفرنسيين المثقفين في القرن التاسع عشر وهو البارون ستاف يقول: «على أولئك الذين يفهمون مقتضيات الرجولة أن يعلموا الآخرين واجبات الرجل نحو زوجته». وفي ذلك العصر كانت المرأة في أوروبا تطيع الرجل طاعة مطلقة وتقدم له في منزله كل ما يمكنها تقديمه من وسائل الراحة. وكان عليها أن تكون مرحة ومسرورة وهادئة وقادرة على ادخال السرور والبهجة الى قلبه. وكان عليها أن تتجنب الدخول في حديث لا يسره، وأن تصمت إذا لم يكن راغباً في الكلام، وتتجنب الصراع والمنازعات العائلية. وإذا كان لها رأي مخالف لرأي زوجها فعليها أن تقوله بأسلوب مؤدب، وبصورة عامة كانت الزوجة هي الرفيق الحميم والمطيع للرجل.

أما الآن فلم تعد الزوجة في أوروبا وأمريكا حمامة مسالمة، فقد صارت نداً ونظيراً على قدم المساواة للرجل في الشئون العائلية والمنزلية. وينبع هذا التطور من تغير دور المرأة في المجتمع والحياة المهنية. ومع ذلك لا يمكن أن نتصور أن الحياة العائلية أصبحت قائمة أو سلسلة من المنازعات. فقد تمكن المجتمع الغربي الجديد من اقتباس منظومة من القيم الخلقية تستجيب للتحولات الاجتماعية الجديدة وللتغيرات في أوضاع المرأه. وتستهدف الأيديولوجية الاجتماعية الجديدة تحقيق أقصى قدر من الوفاق والوئام الذي يمكن الزوجين من العمل خارج البيت واعطاء العناية الممكنة للمنزل وللحياة الزوجية. لقد تعارف الغربيون الآن على أن العلاقة الأولى التي تربط بينهما في جو الحب والوئام لا تستمر بنفس الوتيرة والإيقاع أثناء الزواج. ومن المتعارف أن تكون عابرة ومؤقته. بل ويعتقد البعض أن التماثل والتطابق في الحياة الزوجية أمر يدعو إلى الملل والسأم وأن الاختلاف منبع الحيوية ومصدر التقدم المضطرد داخل العائلة. ربما يكون هذا المفهوم صعب الفهم على البعض في مجتمعنا

العربي لكنه مفهوم واضح في تلك الحضارة التي تعتبر التنوع والتعدد والاختلاف قاعدة مسلمة ومعترف بها في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

تمتلك الآن آداب السلوك وقواعد الحياة الاجتماعية الخاصة بالأسره في دول الغرب معان جديدة وأشكالاً حديثة تقوم على الاحترام المتبادل وحرص كل من الزوجين على تقديم أفضل رعاية وعناية ممكنه لرفيق حياته. ويتحقق هذا في اطار من الإعتراف بحق الزوجة في أن تعطي لعملها ووظيفتها الوقت والجهد الكافيين. ومن الأمور المخله بقواعد الحياة الاجتماعية أن يجبر الرجل زوجته في الغرب على إنقاص ساعات العمل خارج المنزل أو التدخل في برمجة وظيفتها دون اتفاق مسبق. كما لم يعد الزوج الآن حكما لوحده فيما يتعلق بحل المشاكل العائلية داخل الأسره الحديثة في المجتمع الغربي.

ومع ذلك لا يزال ثمة قطاع من النساء المتزوجات لا يعملن خارج الأسرة. كما إن قطاعاً من النساء يمارس نصف عمل فقط، أي أنهن يقمن بعمل خفيف كنصف مدة عمل الرجل أو حتى ساعات من العمل أقل من النصف. وبالإضافة إلى هذا لا تجعل المرأة الغربية المثالية التي تمارس عملا خارج المنزل العمل الخارجي يستغرق كل أنشطتها وتنسى منزلها وعائلتها وزوجها. عليها أن توفق بين أنشطتها العائلية وعملها الخارجي والعناية بزوجها وأبنائها. ولهذا الاعتبار، ولكون المرأة ما زالت هي المسؤولة عن القسط الأكبر من العناية بالمنزل والزوج فإنها لم تتمكن في مجال العمل المنتج من أن تكون بديلا عن الرجل أو مساوية له في جهده، اللهم إلاّ باستثناء المجالات العلمية والتعليمية والفنية وفي مجال الطب. أما في المجالات التي تحتاج إلى جهد جسدي كبير فما زالت المرأه عنصرا هامشيا.

ويمكن أن نضيف أيضا أن هذه المتغيرات قد فرضت على الرجل الغربي أن يتحمل بدوره قسطا من هموم الاعتناء بالمنزل وأن لا يتركه كلية على عاتق زوجته. كما يحاول الرجل أن يكون لطيفا وأنيسا وودودا مع زوجته. ويجد هذا السلوك تأكيدا قويا في قواعد الشريعة الإسلامية فقد قال ﷺ: «من أعطى حظه من الرفق فقد أعطي حظه من الدنيا والآخرة وصلة الرحم..».

وهناك قضية أخرى يجب توضيحها وهي أن أهم عنصر للجاذبية بين الرجل والمرأة خارج الحياة الزوجية هو الجاذبية الجسدية، ولهذا فإن هذه العلاقة لا تتحكم فيها كلية أسس آداب السلوك وقواعد المجتمع التقليدي في المجتمع الغربي، لأن العاطفة والجموح والحرية

تطغى أحيانا على كل التقاليد فتخرج تلك العلاقة عن معايير الحشمة والحياء. لكن مقتضيات الزواج والعشرة الدائمة تفرض مناخا مختلفا وقواعد مختلفة يسودها الحياء والحشمة، وقد سمعت كثيرا من الناس يقولون: إن الخروج عن قواعد الحشمة سبب مباشر لقتل الحب. وإن الرجل الغربي مهما كان تحرره لا يحب أن يرى زوجته في وضع غير محتشم. ومع ذلك ينبغي علينا أن نوضح أن ضوابط الاحتشام وحدوده تختلف في الغرب عن الشرق، وتختلف اليوم عن الأمس، ويظل الوضع سليما ومناسبا بقدر توافقه وانسجامه مع قواعد المجتمع وآداب السلوك في المكان واللحظة المعاشة.

وإذا أردنا أن نحدد أهم متطلبات الإنسجام وقواعد السلوك بين الزوجين، لوجدنا أنها تقتضي أن ينصت كل منهما للآخر، لأن الإصغاء للآخرين يشكل أهم الصفات الإنسانية وأعظمها.

وهناك قاعدة لا يمكن إغفالها وتتعلق باحترام الزوجين لبعضهما واحترام اختياراتهما المختلفة حول شئون المنزل والأبناء والحياة والوصول إلى الوئام والوفاق الكافي لاستمرار الحياة الزوجية. ولن أنسى أن أشير هنا إلى مدى صعوبة مراعاة هذه القاعدة خاصة إذا تزوج رجل ضعيف من امرأة تحب السيطرة، أو رجل مسيطر من امرأة وديعة، فلأجل تحقيق حياة هادئه على أحدهما أن يتحول إلى حمل وديع ويبقى الآخر ذئباً مفترساً.

إن لكل شخص في الغرب أراءه الفكرية والمعنوية والثقافية، ولا يمكن لأحد الزوجين أن يتحول إلى مرشد والآخر إلى مستقبل. كما إن احترام أقارب كلاً من الزوجين ووالديهما أمر واجب. وأن أي إساءة أو عدم القيام بمقتضيات الاحترام اللازم سيجرح الزوج الآخر، ويعتبر دليلا على احتقار آداب السلوك وواجبات التضامن والحب بين الأقرباء، خاصة إذا ما عرفنا أن كل شخص يقدم على الزواج لا بد أن يكون على اطلاع باقرباء الزوج ووالديه، وأن عقد الزواج يعني في مضمونه احترام أقرباء الزوج ومعاملتهم كما يعاملهم الزوج نفسه.

وعلى الزوج أيضا أن يحترم حدود الحشمة والحياء التي يؤمن بها الزوج الآخر، ولا يمكن لأحد الزوجين أن يجبر زوجه أن يتخلى عن الهبات الروحية والمعنوية التي تعتبر جزءا من شرفه وكرامته.

آداب السلوك للأبناء:

الأسرة دون شك هي المصدر الأول لتربية الأبناء. ولا يقتصر أثر الأسرة على تعليم الطفل وتهذيبه وتلقينه قواعد الحياة وقيم المجتمع، بل يقع عليها ايضا مسؤولية تدريب الطفل على تبادل المشاعر الطيبة وأحاسيس الود والتضامن والاعتراف بالجميل. والأسرة في دول الغرب هي التي تعلم الطفل كيف ومتى يقدم الشكر وكيف ومتى يقدم اعتذاره للآخرين وهي التي تعلم الطفل إحترام الآخرين وعدم إهانتهم أو الإساءة إليهم. والأسرة هي التي تغرس في الطفل مبادىء الاعتماد على الذات وروح الاستقلال. لقد أصبحت تربية الطفل علماً وتجارب يتوارثها الأبناء عن الأباء، وكثيرا ما نستغرب، نحن أبناء الشرق، عندما لا نجد الأطفال في شوارع المدن في الغرب ولا يصحبهم أباءهم إلى مكان يدعون إليه ما لم يكن الأبناء مدعوين وهناك أطفال آخرون يستقبلونهم ويقضون معهم الوقت في مجتمعهم وبيئتهم الخاصة بعيدا عن الرجال وهمومهم.

إن توجيه الأبناء هي مهمة الأباء. وعليهم أن يفهمونهم ويعايشونهم منذ الطفولة، ويعملون على تكوينهم كرجال للمستقبل. ويستدعي هذا التكوين ترسيخ العادات الحسنة والأدب واللطف والطاعة للآباء. وبالرغم من أن المجتمع الغربي يدين بمنظومة من القواعد والأحكام الاجتماعية، إلا إنها لا تطبق بصورة متطابقة بل ولا متشابهة، لأن البعض يفضل الاهتمام بآداب السلوك التي تتمتع بقوة إلزامية كبيرة، ويتساهل في تدريب الطفل على الإيماءات وقواعد السلوك القلبية والبسيطة، وهي الآداب التي لا تدخل ضمن «قواعد الإتيكيت» بل يألفها الطفل بصورة عفوية من خلال تعامله مع أقرانه وزملائه في المدرسة والنادي وفي المجتمع بصورة عامة.

ويؤدي التساهل في التربية إلى خلق نوع من الأطفال يتحكم فيهم الجموح والأنانية والكبرياء والرادع الوحيد هو إيلاء رقابة وعناية وتوجيه دقيق خلال مراحل الطفولة الطويلة. وبالتأكيد فإن الفرق بين الطفل المؤدب والطفل الجانح ليس اكثر من الفارق بين تربية أب وتربية أب آخر. ويصبح هذا القول بصورة عامة صحيحا «إن للأب المهذب ابن مهذب» لأن الأب هو دليل إبنه في أخلاقه وسلوكه، وهو في جميع الأحوال المثل الأعلى لطفله،

يرى فيه صورة الكمال والتمام. وإذا كان الأب يصدر أحكاما خاطئه وقاسيه في حق الآخرين من المحيطين به سواء أكانوا أقرباء أو أصدقاء أو جيران فإن الطفل سيتطبع بتلك الطباع ويتأثر بها.

ومن القواعد السليمة والمتعارف عليها أن الأباء لا يصدرون أوامر ونواه قاطعة وجازمة لأطفالهم، لأن ذلك لا يكفي لتقويم سلوكهم، بل يقوم الأباء بشرح ما ينبغي عمله وتقدير الجوانب القيمة في التصرف المطلوب اتباعه وتفسير وتوضيح الجوانب السلبيه في أي سلوك مناقض لآداب المجتمع. وبصورة عامة يحاول الأب الممتاز أن يقوم بدور الطبيب النفسي والمربي الصبور الذي يعمل على غرس القيم الثقافية والمعنوية في الطفل بأسلوب مقنع وواضح.

ويعترف الأب في المجتمعات الغربيه بالمتغيرات العصرية، فلا يفرض على أولاده أسلوب التفكير والتربية الذي تلقاه هو من والديه. وبنفس القدر لا يظهر وكأنه مجرد صديق حميم لأبنه، فيتصابى ويقوم بنفس التصرفات التي يقوم بها ابنه وأصدقاؤه لأنه سلوك لا يكتسب مصداقية لمدة طويلة، ولأنه لا بد أن يصطدم بعالم من الأسرار والخيال والسلوك الخاص بالأطفال الذي لا يستطيع أن يفهمه أو يتكيف معه. ولذا عليه أن يقدم سلوكا للأب المثالي بأسلوب طبيعي خال من التكلف والغرابة والتصابي.

وأسلوب التشجيع للطفل لا يصل إلى الحد الذي يظهره وكأنه شعلة من الذكاء الخارق أو عالم جليل، بل ينبغي أن يسهم التشجيع للطفل على رسم صورة سوية ومتوازنة له يضعه في سنه وفي ظروفه ويسهم في تحفيز طاقاته وتنشيط قدراته. ومن التقاليد المتبعة هناك التحكم في إيقاع الحديث الموجه إلى الطفل ونبرة الصوت التي يسمعها، لأن الصراخ والحديث بأسلوب منفعل بصورة مستمرة يخلق فيه شخصية فظة أو عدوانية، وسيمارس نفس الأسلوب مع زملائه في المدرسة ومع أصحابه، ولذا يوجه الأباء أبناءهم بأسلوب حازم وبمنطق وهدوء دون انفعال.

وعناد الأطفال مسألة حساسة وتحتاج دائما لمعالجة حكيمة. ومن المبادىء المعروفة في تربية الأطفال عدم الاستسلام لعناد الطفل وإصراره على الحصول على أي شيء سبق وأن رفض عدة مرات. لأن هذا الموقف يشجعه على العناد والإصرار على الحصول على كل ما

يريد. ومن جهة أخرى يعرف رب الأسرة العاقل كيف ومتى يستخدم كلمة لا وكلمة نعم، فلا يقول لا ويرفض كل طلب للطفل وينمي لديه الشعور بالحرمان والظلم ثم الانطواء والانكفاء على الذات.

وفي دول الغرب يعلمون أولادهم معاني الكلمات ومفردات اللغة التي يتحدثونها، فينمو الطفل منذ الصغر وهو يعرف تماما استخدام كلمة عفوا وشكرا ومن فضلك، ويؤدي التحية ويرد عليها ويستقبل ضيوف المنزل ويودعهم باعتباره طفلاً ناضجاً قوي الشخصية وشجاعاً. وهذا التكوين الطبيعي لشخصية الطفل لا يتم الاّ بفضل جهد مرتب ودقيق من والديه. فهما يعودانه على الاستماع إلى أخباره وحكاياته بصبر كاف، ويحاولان أن يفسرا له، بأسلوب مفهوم وقريب من مستوى تفكيره، ما يغمض عليه من الأمور، فيسهما بهذا الجهد في بلورة معارفه ومداركه وتكوين شخصيته. وفي إطار هذا التفاهم والتدريب على السلوك الصحيح يقوم الوالدان بتوضيح مخاطر الحياة التي قد تواجه الطفل ويتركون له هامشا بسيطا من الأخطاء لكي يتعلمها من خلال التجربة والمعايشة اليومية. ويقومان بعد ذلك بتوضيح الخطأ وتحديد الأسلوب الصائب الذي كان على طفلهما أن يقوم به، وبهذا الهامش البسيط من السلوك الحر يمنحان الطفل فرصة كبيرة لتكوين تجاربه الخاصة والتعود على محاسبة نفسه وتوقي مخاطر المستقبل.

الطفل والمدرسة :

يحمل بعضنا أجمل الذكريات عن أيامه الأولى في المدرسة، بينما يحمل البعض الآخر ذكريات تتسم بشيء من الحزن، ذلك أن التعليم الحديث في بعض البلاد العربية لم ير النور إلا في الخمسينات من هذا القرن، ولذا فإن التعليم في الكتاتيب وفي المدارس غير النظاميه كان مجردا من عناصر التشويق وتنمية الهوايات والمواهب الفنية.

والتعليم في الغرب تعليم حديث يستهدف تنمية المواهب والملكات الإبداعية للطفل ويتفادى أساليب القسر والترهيب لدرجة أن المدرسة الحديثة اليوم أصبحت دون أسوار ودون حراس. ولا يوجد ما يمنع الأطفال من مغادرة المدرسة متى شاءوا. لكن هذا الأسلوب الليبرالي المتحرر لا يهمل الرقابة على الطفل، ويعتمد على تقدير الأداء وعلى الجهد الذي

يبذله التلميذ، وعلى مدى احترامه لمسئولياته. وهكذا فإن أيام المدرسة في دول الغرب هي أجمل أيام العمر على الإطلاق، لأنها ليست مجرد واجبات مدرسية مملة ومضنية، بل إن المدرسة هي المكان المناسب لاحتفالات ومهرجانات كثيرة أثناء العام الدراسي، وفيها يجد كل طفل الأدوات والإمكانيات التي ينمي فيها مواهبه ويطبق هواياته.

وتكمن أهم واجبات الأب في ترسيخ احترام الاساتذة والمربين في المدرسة. وإعطاء الطفل ما يحتاجه في مدرسته سواء أكانت فترة الدوام نصف نهار، وهذا هو الوضع النادر، أو نهاراً كاملاً وهو الدوام المعتاد. ومن أهم الأشياء التي يجب توفيرها للطفل، كتبه ودفاتره المقرره لنفس اليوم، وأدواته المدرسية وبعض الحلوى الجافة أو قليل من البسكوت أو ساندويتش جاف أو بعض النقود لشراء وجبة طعام خفيفة من مقصف المدرسة. وفي الواقع فإن هذه الأمور عادية جدا، لكن الأمر الأكثر أهمية هو تلقين الطفل بعض عبارات الشكر والثناء والتهنئة للأستاذ أو الاستاذه، أو تقديم هدية رمزية بمناسبة عيد ميلادها، أوحتى بمناسبة عيد الأم أو عيد ميلاد ابنها اذا كان لها أطفال، أو بمناسبة نهاية العام الدراسي أو أي مناسبة أخرى.

ومن جهة أخرى يجب أن لا تكون الهدايا المتعارف عليها في دول الغرب فخمه أو ثمينة، لأنها لا تنسجم مع رسالة المدرس، وتعتبر ضربا من الرشوة والإفساد. وأجمل الهدايا المدرسية في نظر الناس في الغرب عدد قليل من الورود يقطفها الأب أو الأم من الحديقة، وأحيانا لا تتعدى عبارات التهنئه القلبية. والأمر الجميل في آداب المدرسة، أنها تأتي تعبيرا عن الاحترام والتقدير للكنوز الثمينة من الصبر والمثابرة التي يقدمها الأستاذ والأستاذة للمجتمع.

وعند عودة الطفل إلى المنزل يجد المكان الذي يتواصل مع عالم المدرسة، فقد يحضر معه إلى البيت فراشة محنطة، أو نموذجاً مجسماً لضفدعة صنعها من الطين أو الصلصال أو أي شيء آخر، ولا بد أن يكون لذلك الشيء مكانه في قلبه واهتمامه. وفي هذه الحالة فإن الأباء لا يهرعون لزجر الطفل ومنعه وحرمانه مما أحضره معه، ومن الممكن تقديم النصح له بوضعه على رف معين في غرفته بعد إظهار إعجابهم به.

إن دخول الطفل مدرسة متقدمة لا بد أن يفهمه الطفل على أنه خطوة نحو الترقي

والتطور، وانه سيواصل تقدمه شيئا فشيئا ليصبح عالما يوما ما. ومن مقتضى هذا التقدم أيضا، مراجعة الأب دروس ابنه وتقدمه وعدم التشكيك أمامه في المضامين العلميه لبعض دروسه أو في كفاءة مدرسيه. وإذا كان هناك ما يوجب التساؤل، فإن الأب المثالي هو الذي يذهب إلى المدرسة ويطرح الموضوع على الأستاذ أو على مدير المدرسة. وإذا اكتشف المرء قصورا معينا لدى الطفل في علم من العلوم عليه أن يتشاور مع أساتذته ومدرسيه، ويمكن في النهاية أن يستعين بمدرس خاص، لكن من الخطأ أن يعتمد على أمواله وقدرته المالية فيحشد لابنه عددا من المدرسين في مختلف المواد لأن هذا الأسلوب سيفسده ويجعله أكثر اعتمادا على الجهود الخاصه ويهمل بذلك الجهد اللازم لفهم دروسه.

إن الأب المثالي هو الذي يعرف جداول المواد التعليميه وبرنامج الدوام وساعات الفسحة وأيام الإجازات ويحاول من خلالها مراقبة سلوك إبنه ومتابعته. لكنه لا ينبغي عليه أبدا أن يربكه أو يغرقه في بحر من الخوف والهلع. ومن مقتضى إشراف الأب تحديد أوقات النوم والوقت الذي يستيقظ فيه الطفل والذهاب إلى المدرسة ما عدا أيام الأجازات وعطلات الأسبوع.

وعلى الأب أن يكون واقعيا في تشجيعه لابنه، وأن لا يطلب منه تحقيق المستحيل، لأن قدرات كل طفل تعتمد على صحته وظروفه النفسيه والحياتية. وكل ما يحدث في المنزل بين الأبوين أو الأخوة يؤثر عليه سلبا أو إيجابا. ومن المبادىء المسلم بها في دول الشرق والغرب والشمال والجنوب، أن كل أب غير قادر على أن يجعل من ابنه مهندسا أو طبيبا أو عالما كيميائيا، بل عليه أن يختار مع الطفل نفسه التوجه العلمي الذي يناسبه. ومع ذلك فلم يعد هناك في الغرب طفل لا يذهب إلى المدرسة، أما الدراسة الجامعية والدراسة العليا فإنها ما زالت مقصورة على المتفوقين. لكن المدرسة في معظم الدول العربية ما زالت قاصرة عن استيعاب كل أطفالنا وأبنائنا، ولذا فإن شبح الامية سيقى مشكلة تواجهنا وبخاصة لارتفاع الخصوبة الديمغرافية والزيادة المضطردة في عدد المواليد، ولن تحل مشكلة التعليم الإلزامي والقضاء على الأمية إلا بتخطيط وتنظيم جادين للأسرة وللمواليد وضمان تعليم للجميع تزيد فيه كمية الكتب وعدد المدارس والمدرسين بنفس معدل الزيادة السكانية على الأقل، إن لم تكن أعلى منها حتى تنجح في استيعاب الاطفال الذين لم ينخرطوا في

المدرسة.

هدايا الطفل ومصروف الجيب:

في إطار تشجيعك لأبنك على التقدم العلمي، عليك أن تفي بوعدك وأن تقدم له الهدية التي وعدته بها. وإذا كنت قد وعدته بلعبة فحاول قدر الإمكان أن تنطوي اللعبة على قدر من المعلومات العلمية المفيدة. ويجب أيضا أن تهتم برغبته ومشاركته في اختيار الهدية التي يريدها، إلا إذا كان اختياره صعب المنال أو مكلفا أو خطيرا عليه أو على الآخرين. فكم من أب فقد طفله الصغير لأنه أهداه سيارة أو دراجة نارية دون أن يصل إلى السن القانونية ودون أن يحصل على التدريب اللازم لقيادتها. وكم من أب أفسد ابنه بالدلال والاستجابة لكل رغباته.

ومن المؤسف أيضا أن بعض الأباء الذوات في بلادنا يريدون أن يكون أبناءهم أبناء ذوات ونسخة منهم حتى لو تم ذلك على حساب حياتهم وحياة الآخرين. وأخطر ظاهرة وأسهل كارثة هي منح الأطفال أو السماح لهم بقيادة السيارات. والسيارات دون شك من أكثر الأمور تسلية للشباب، لكنها كالأسلحة والمسدسات قد تقتل الأبناء وأبناء الآخرين ببساطة عجيبة.

وفي دول الغرب لا يقدمون السيارات هدايا لأطفالهم بل إن لكل سن هدية، فلديهم هدايا ولعب لمن هم في سن الثالثة من العمر، وأخرى لمن وصل سن الخامسة، ولعب أخرى ذهنية وجسدية مفيدة لأبناء العشر سنوات والخمسة عشر سنه. والدراجة الهوائية مثلا قد تكون هدية مناسبة للتطور الجسدي والنمو البدني لمن وصل سن العاشرة، لكن السيارة لا يمكن أن تكون وسيلة لتنمية قدرات الطفل الذهنية والجسدية أبدا. وإذا تجاوز الشاب الثامنة عشرة أو العشرين من العمر يمكن تدريبه على قيادة السيارات باعتبارها أداة وظيفية نافعة ومفيدة للتنقلات والمواصلات ليس إلاّ.

وهدية الطفل المناسبة لا يمكن أن تكون أيضا طبله أو دف، فتصبح مصدراً لإزعاج من في المنزل والجيران ووسيلة للضجيج والتهريج في الشوارع والحدائق وأداة تنغص هدوء الناس وراحتهم. وهنا أستسمح القارىء الكريم أن يعلم أن القرع على الدفوف والطبول في الشوارع أو الأماكن العامة في دول الغرب ظاهرة لا وجود لها. وهناك قوانين صارمة

للمحافظة على الهدوء والسكينة ومعاقبة المهرجين والضاربين على الطبول في الشوارع والحدائق في كل مكان في الغرب. وأن هذه الظاهرة لا توجد إلا في بلادنا العربية وفي دول العالم الثالث. لكنهم في دول الغرب يتسامحون مع بعض المغنيين والموسيقين الذين يعزفون في بعض الاماكن العامة على الآلات الموسيقية بصورة فنية جادة تدخل السرور والبهجة على نفوس المارة والمتفسحين في الشوارع.

وبواسطة الهدية واللعبة يبدأ الناس في الدول المتقدمة بتعليم أبناءهم روح المسؤولية تجاه الأشياء التي يملكونها فلا يسمحون لهم بتكسيرها أو العبث بها. وإذا كانت اللعبة مكونة من عدة أجزاء يمكن تفكيكها لتعليم الطفل سراً من أسرار العلم أو الحياة كالقطار وسكة الحديد مثلا، فإن على الطفل أن يحافظ على كل جزء من أجزاء اللعبة، وأن يتعلم أن كل جزء مكمل للآخر، وإذا فقد جزء منها أو انكسر تصبح اللعبة كلها دون فائدة.

وفي النهاية فإن الكتب وأدوات الرسم هي من الهدايا التي تنمي مواهب الطفل العلمية وقدراته الذهنية. ويا حبذا لو قام الأب بالتعرف على رغبات ابنه واحتياجاته من الكتب والأدوات المدرسية وإعطاءه ثمنها ليشتريها الطفل بنفسه، فيتيح له فرصة لاكتساب خبرة عملية في الحياة، ويزيد من ثقته بنفسه ويغرس فيه حب التعامل مع الآخرين في مجتمعه.

ومصروف الجيب قضية تستحق كل العناية والدقة، وهناك اتفاق على أنها حق من حقوق الطفل. غير أن المبلغ الذي يحصل عليه الطفل ينبغي أن يكون متناسبا مع احتياجاته المدرسية أو للقيام بالفسحه أو للذهاب للسينما أو للاشتراك في رحلة ثقافية أو سياحية دون إسفاف أو مبالغة مهما كان غنى والده، لأن مصروف الجيب الذي يمنح للطفل «إذا تجاوز حده انقلب إلى ضده» كما يقول المثل العربي، لأنه من السهل أن يؤدي إلى إفساد الطفل وإدماجه بسهولة في عالم الرذيلة والانحراف والمخدرات. لذا يجب الاحتراس وعدم إعطاء الطفل كل ما يطلبه من مصروف جيب.

ومن الأمور التي تدعوا إلى التأمل بإعجاب، تلك الأعمال الذي يقوم بها الشباب في دول الغرب خارج المنزل للحصول على مصروف الجيب أثناء الإجازات أو العطلات الرسمية، كقطف العنب والفواكه، أو القيام بأعمال صغيرة خلال العام الدراسي كالعمل في

دور الحضانة أو في بعض المؤسسات الإنتاجية أو الخدمية. ومثل هذه النقود التي يحصل عليها الشباب في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، تعني أن الطفل قد حصل عليها مقابل جهده واستحقها لقاء عمله. ولذا يتركها الآباء في الغرب لأبناءهم ولا يأخذون منها في الغالب شيئا. ويقتصر دورهم على مساعدة أبناءهم على إنفاقها بصورة مفيدة ومعقولة.

الطفل في المنزل:

تحرص الأسرة في الدول الأوروبية وامريكا وفي دول أوروبا الشرقية وفي اليابان وكل الدول الصناعية المتطورة على أن لا يكون لها أكثر من طفلين إلاّ في النادر جدا. وتكتفي بعض الأسر بطفل واحد. ويأتي هذا الموقف من وعي عام بأهمية المحافظة على مستوى ثقافي ومعيشي متطور للأسرة والتمتع بمزايا التطور المستمر في مستوى الحياة، وإيلاء عناية كافية للطفلين من حيث التربية والتعليم والملبس والغذاء والمسكن والرعاية الصحية. ويؤمن الغربيون بأن تربية الطفل تربية صحيحة تعني بذل جهد كبير على مدى سنوات طويلة. وهذا الجهد يحرم الأبوين من حقهم في الراحة والعيش دون هموم مستمرة تلاحقهم حتى الموت بسبب الإنجاب المستمر للأطفال. ويرتبط هذا النظام بوعي اجتماعي عجيب يشمل المدينة والريف. وتشير العديد من النشرات والبيانات أن الزيادة في نسبة المواليد في دول السوق الأوروبية المشتركة لم تزد عام ١٩٩٣م عن نسبة ٦ر٠٪ «من واحد في المئة» ولن تتجاوز خلال الاعوام من ١٩٩٥م الى عام ٢٠٠٠ عن ٣ر٠٪ «ثلاثة من واحد في المئة».

وعليه تعني نسبة النمو الإقتصادي المضطرد نموا مباشرا لمستوى معيشة السكان الذين لم يزد عددهم إلا بنسبة ضئيلة، وعلى العكس من ذلك ستؤدي أي زيادة في عدد المواليد تفوق الزيادة في الدخل القومي حتما إلى انخفاض المستوى المعيشي وتستنزف الزيادة في النمو الاقتصادي، هذا بالإضافة إلى أن الزيادة المضطردة في عدد الأطفال تجعل الآباء عاجزين عن تقديم رعاية كافية وإشراف دقيق على تعليمهم وتربيتهم. ولهذا السبب من النادر جداً أن يصادف المرء أطفالا في شوارع المدن الأوروبية، كما تقل حوادث دهس السيارات للأطفال مما يعكس مدى الوعي والانضباط الاجتماعي والرعاية للطفل، وبخاصة

بالمقارنة بالنسبة العالية لحوادث دهس السيارات للأطفال في المدن العربية الذين توجد نسبة كبيرة منهم خارج المدارس.

لن نؤكد على هذا الموضوع أكثر من ذلك وسنحاول أن نركز على الجوانب المؤثرة في سلوك الطفل وأهمها ما يلي:

– التليفزيون والراديو مصدران غنيان بالمعلومات والمعارف المتنوعة، لكن ليس كل ما ينشراه يهم الطفل أو يفيده. بل على العكس من ذلك تعرض الكثير من قنوات التليفزيون في الغرب أفلاما تروج للعنف وتستبسط الجريمة. ولا تخلو قنوات التلفاز في البلاد الغربية من برامج لا تفيد الطفل ولا تناسب مستواه الذهني والفكري. والأب المثالي في الحضارة الغربية يعرف البرامج والأوقات التي يجوز فيها للطفل مشاهدة التليفزيون والاستماع للراديو، ويعرف أيضا متى يغلق جهاز التليفزيون ويعرف أطفاله على أنشطة مفيدة ولا يسمح لنفسه ولا لأحد في المنزل أن يجعل من التليفزيون والفيديو عذراً للتخلص من أطفاله في كل مناسبة.

والأب المثالي هو الذي يناقش مع أبنائه القيمه العلمية والثقافية للبرامج التليفزيونية ومضامينها الفكرية والروائية. ومن القضايا المعتادة أيضا أنه إذا دخل ضيف إلى المنزل فإن من دواعي الحفاوه إغلاق أو خفض صوت جهاز التليفزيون ما لم يكن قد وصل لمشاهدة برنامج ما. وفي هذه الحالة على الأب أن لا يأبه لإلحاح أطفاله ومطالبتهم بضرورة الاستمرار في مشاهدة التليفزيون أو الأستماع للراديو. وتمنع القوانيين الناس في الدول الغربية من إحداث أي ضجه أو ضوضاء أو استخدام الراديو أو التليفزيون أو المسجلات وكل الأجهزة الموسيقية بصوت مسموع يتجاوز بوابة أو نوافذ المنزل ويصل إلى الخارج. وتقضي القوانيين وقف الضوضاء ومعاقبة كل من أحدثها أو تسبب في إحداثها ابتداءً من الساعة العاشرة مساءً حتى الساعة الثامنة صباحا.

والبصر شيء ثمين ومهم لحياة الإنسان، كما أن عيون الطفل مهددة بالمشاهدة القريبة للتلفاز، كما إنها مهددة بالرؤية التي تستغرق وقتا طويلا. وعليه فإن من مقتضيات المحافظة على بصر الطفل إبعاده عن شاشة التلفاز مسافة ثلاثة أمتار وتحديد مدة المشاهدة بالحد الأدنى الممكن والمفيد.

ولا تعني الأجازات السنوية للأطفال أبدا تركهم يعملون ما يشاؤون، فالأسرة في المجتمع الأوروبي تخطط إجازات للأطفال حتى سن الرابعة عشره. أما بعد هذا السن فمن حق الطفل أن يختار المكان والكيفية التي يقضي فيها أجازته. وأثناء الأجازة أو في المنزل قد يجد الأب نفسه مضطراً لتكليف طفله بالقيام ببعض الأعمال، وفي هذه الحاله ينبغي أن لا يقحم الأب طفله بأعمال لا تتناسب مع سنه وصحته. ومن الخطأ أيضا إجراء سباق بين أطفاله على القيام ببعض الأعمال المضنية دون مراعاة لفارق السن وقدرة كل منهما على التحمل. لأن مثل هذه المسابقة لن تكون نتيجتها إلاّ الإضرار بصحة الطفل، بل إنها ستطلق العنان بين الأخوة للغيرة والتنافس ثم الكراهية. وعند حدوث نزاع بين الأطفال فإن القاعدة المثالية أن لا يتحيز أحد الوالدين لأحد منهما. والموقف السليم يكمن في وضع حد للنزاع والتوفيق بينهما والقيام بشرح الأخطاء التي ارتكبت بهدوء تام وأن العقاب سينال الجميع في حالة العودة إلى مثل هذا الوضع. أما إذا كان أحد الأطفال قد ارتكب خطاءً كبيراً دون استشارة من أحد فعلى رب الأسرة أن يؤنبه أو يعاقبه بأسلوب يتناسب مع درجة الخطأ دون مبالغة أو تقصير لأن التأنيب أو العقاب المتناسب مع درجة الخطأ يطور شخصية الطفل وينمي ملكاته وقدراته في الحكم على الأمور وتقدير حجم الأخطاء التي يرتكبها.

واستقلال غرفة نوم الأطفال عن غرفة نوم الوالدين مسألة ضرورية وبخاصة عندما يصل الطفل سن التمييز، وفي دول الغرب لا يسمح للأطفال دخول غرفة الأبوين دون قرع الباب، بل أن بعض الأباء يقفلون أبواب غرفهم على أنفسهم عندما يكونون فيها. وهذا موقف لا يخلو من المبالغة والفردية ويكفي أن يعود الأباء أطفالهم على عدم تفتيش دواليب وخزائن الوالدين وأمتعتهما أو دخول غرفتهما دون إذن مسبق.

الطفل وآداب الحوار والتسامح:

الحوار بين الآباء والأبناء وسيلة فعالة لإثراء مداركهم وإغناء مفاهيمهم. لكن على الوالدين الامتناع عن الكذب أو المغالطة إذا لم يجدا تفسيراً يجيبا به على الأسئلة التي يطرحها الصغار إما بسبب عدم قدرة الطفل على فهمها أو لأي سبب آخر. وفي مواجهة مخاطر المخدرات والكحول والدخان والعلاقات الجنسية الخطيرة في المجتمعات الغربية يناقش الأباء أولادهم بصبر وعقلانية ويشرحون لهم عواقب وأضرار هذه الآفات، وبخاصة إذا

كان أطفالهم قد وصلوا لسن معينة تسمح لهم بفهم هذه المشاكل. وأسلم طريقة هي الاستعانة الآباء في نقاشهم على الأفكار البسيطة ويطرحون أمثلة من الحياة المعاشة والملموسة. وإذا كان موضوع النقاش في المذاهب الدينية والسياسية على الأب أن يتجنب الإملاء وتلقين طفله أراءه المذهبية والسياسية. ومن الأفضل إطلاق حوار هادىء وعدم سد الطريق أما تبادل الآراء. وفي الدول الغربية يعودون أطفالهم على التسامح السياسي وعدم التعصب ويحافظون على مجتمعاتهم من الإنهيار باتباع الأساليب الديموقراطية في الحوار والتزام المرونة في عرض الآراء واحترام الرأي الآخر والاستماع إليه.

ولا يقتصر خطر التعصب على الآراء السياسية أو الاجتماعية، بل تشتد خطورته في القضايا المذهبية، لأن نتائجها خطيرة على وحدة الدول والأمم. وتمتلك حضارتنا الاسلامية منظومة من التعاليم والأحكام والقيم التي تؤكد على التسامح وتنبذ العصبية السياسية والمذهبية. ويقدم الإمام أبو حنيفه لنا مثالا في هذا الإطار فيقول: «هذا رأيي فمن جاء برأي خيراً منه قبلناه». ويقول الإمام مالك: «إنما أنا بشر أصيب وأخطىء»، أما الإمام الشافعي فقد قال: «إذا صح الحديث فاضربوا بقولي عرض الحائط..» ومن جهة أخرى يؤكد فقهاء السنة جميعا على تسامح فقهاء المذاهب الزيدية، لأن هؤلاء يعتبرون أن التعصب والتقليد لا يستولي إلا على أهل الأهواء من الفرق.

وأعظم من هذا كله يقول الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه: «اتقوا الله ما استطعتم» ويقول ﷺ: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم» وهكذا نجد أن التسامح ورفض التعصب واحترام الحوار والرأي الآخر ليس فقط من قواعد الحضارة الغربية وأن أسسه وأحكامه أكثر رسوخا في الحضارة الإسلامية.

ومع ذلك لا يمكن أن يتحقق الوصول إلى هذا الهدف التربوي العظيم بسهولة، لأنه يقتضي مثابرة طويلة على اقناع الطفل بالإنصات لحديث والديه وعدم مقاطعة حديثهما بصورة مفاجأة، حتى لو كان الحديث يتعلق بأمر خطير ويهم الطفل. لكنه ينبغي أن يعرض وجهة نظره كاملة، وإذا كان رأيه يتعارض مع رأي والديه أو احدهما عليه أن يقدم رأيه بأدب جم يليق بوالديه. وفي هذه النقطة بالذات، تسجل خبرات الآباء والمربين في الحضارة الغربية حقيقة هامه مقتضاها أن رد فعل الابن وملاحظاته الصادقة، أفضل من الخضوع أو الطاعة المبنية على الخوف أو القائمة على النفاق. لكن رد فعل الآباء أثناء نقاش محترم ينبغي

أن لا يصل إلى حد السماح للطفل بالتفوه بعبارات جارحة أو مهينة في حق والديه، أو أن يقطع الحديث بإرادته المنفردة أو أن يغادر المكان ويغلق الباب خلفه بعنف.

وبنفس القدر يدرك الآباء في الغرب أن من الطبيعي وجود تعارض في الآراء والأحاسيس والمشاعر بين الأجيال المختلفة. ولذا يؤمنون بأن من حق أبناءهم أن يعيشوا آداب عصرهم ويحتكموا للقيم الثقافية السائدة في زمانهم. ومن مقتضى هذا الموقف الواقعي أن يراعي الآباء مشاعر أبناءهم وأن يحافظوا على اتباع سلوكٍ بنّاءٍ في مواجهة أبناءهم. ومن المسلمات الهامة في تلك المجتمعات أن التسلط واتباع أسلوب تربوي يعتمد على القسوه والتعصب لن يساعد على تطوير شخصية الطفل وتمكينه من التعامل مع مجتمعه بروح التسامح والمسؤولية.

لكن من المفيد أن نتذكر في النهاية أننا ملزمون في مواجهة الطفل العنيد والمتصلب أن نقول له «لا لا وألف لا»، فهذا هو الأسلوب الأمثل لاجباره على قبول الحوار البناء والتسامح واحترام آراء الآخرين.

الأسرة وسلوك الطفل:

سبق أن تحدثنا عن سلوك الطفل في بيته وعن دور الأب في احترام آراء وأفكار العصر الذي يعيش فيه ابنه وعن أهمية التأكيد على التسامح واحترام الرأي الآخر. ويهمنا الآن أن نركز تفكيرنا حول موضوع قريب من الموضوع السابق ويتعلق بمجموعة الآداب والقيم الاجتماعية التي تنظم علاقة الطفل بأسرته وتؤثر بصورة مباشرة على سلوكه العام.

وتبدأ هذه العلاقة مع صباح كل يوم، عندما يصحو الطفل من نومه في دول الغرب، ويذهب إلى المكان الذي يوجد فيه والديه ويطبع قبله على خد أمه مقرونة بكلمة صباح الخير، ثم يعمل نفس الشيء مع والده. وفي بعض الدول تقتضي آداب السلوك أن يطبع الطفل قبلتين على خديّ والده ووالدته، وهي التقاليد المتعارف عليها في فرنسا وبخاصة لدى الطبقة البرجوازية والارستقراطية، أما في بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ومعظم الدول الأنجلوسكسونية فإن هذه القبلات الفردية أو الثنائية غير متبعة إطلاقا ويكتفون من

الطفل بتقديم التحية. وتحمل كلمة صباح الخير من الحنان والألفة والود ما تقدمه القبلة وكل القبلات، لأنها على الأقل تتفادى الشكليات وتبتعد عن مظاهر العواطف المفتعلة التي لا تنسجم مع اللطف والأدب الحقيقي.

وعند مولد طفل جديد، قد يسبب سلوك الأبوين بعض المشاكل لأخوته الكبار إذا كان فارق السن بينه وبينهم في حدود سنتين أو أكثر. ولذا ينبغي لتصرف الأبوين تجاه الطفل الجديد أن لا يستثير حفيظة الأخ أو الأخوة الكبار، بل ينبغي تعويد الطفل أو الأطفال الذين يكبرون الطفل الجديد على الألفة والرعاية له. ويا حبذا لو أمكن تكليفهم بمهام صغيرة محددة وممكنة التطبيق. إن تحميل الأخوة هذه المسئولية البسيطة تجاه المولود الجديد يدمجهم في الحياة الجديدة ويقوي اهتمامهم بأخيهم الصغير ويبدد شعورهم بالعزلة عنه.

وإذا كان لأحد الوالدين طفل من زوج آخر متوفى، فإن أصعب شيء عمله لاقوله، هو تحقيق المساواة بين جميع الأبناء. وفي مثل هذه الحالة يتحمل الأب المسئولية الكبرى في تحقيق هذا التوازن الذي لا بديل له، فهو الشخص القادر على إقناع زوجته بتبني موقف عادل بصورة دائمة. وفي دول الغرب إذا تزوج الأب يستطيع أن يترك أولاده لدى الأم أو والدته أو في أي مكان يثق فيه. ويحرص الآباء عند وصول أبنائهم لزيارتهم في منزل الزوجية الجديدة أن يهيئوا استقبالا يشعرهم أنهم في بيتهم الحقيقي. ولا بد من الإشارة إلى أن الغربيين لا يلزمون أبناءهم من زوجة أخرى أن يدعوا الزوج الجديد بكلمة «بابا» أو «ماما»، لكنهم في نفس الوقت يختارون تسمية مقبولة لزوج والدهم.

أما حول علاقة الأبناء بأجدادهم وجداتهم، ينبغي أن تتجه مهمة الآباء إلى خلق جو مفعم بالألفة والحنان بين الأجيال المتباعدة، ولا يغفل الأوروبيون تعليم أطفالهم أجمل آداب السلوك نحو أجدادهم، فينظمون زياراتهم بعناية بالغة. والشيء الواضح أن منزل الأجداد والجدات في بلادنا العربية، في كثير من الحالات، هو المكان الذي يلجأ إليه الحفيد للتسلية أو الهروب من أية مشكلة. أما في دول الغرب وعلى الرغم من اعتزاز الأجداد بأبناء أبنائهم وحب الأحفاد لأجدادهم لا تأخذ الرابطة بينهم نفس الإيقاع والقوة الموجودة في دول الشرق. ولذا تختلف الرابطة بين الجيلين المتباعدين اختلافا كبيرا عن الرابطة بين الأحفاد

والأجداد في الدول العربية، كما إن زيارة الأحفاد للأجداد في دول الغرب لا تملك في بعض الأحيان نفس مشاعر الحنان والعاطفة في الشرق.

ومن جهة أخرى فإن تعزيز ثقة الطفل بنفسه مسأله هامة أيضا وعلى الوالدين أن يقوما بدور رئيسي لغرس روح الثقة والاعتزاز في الطفل. ومن مقتضيات هذا المبدأ عدم تأنيبه بذكر بعض العيوب أو جوانب النقص الجسدي أو الذهني فيه. فلا يجوز أن نردد على مسامعه بأنه غبي أو كسيح أو قبيح لأن هذا السلوك سيؤثر على نفسيته ويزرع عقدة نقص دائمه في شخصيته. وعلينا أن نؤكد أن الأطفال يفهمون كلامنا ويتأملون في تصرفاتنا ويعانون من سلوكنا نحوهم أكثر بكثير مما نتصور. ولذا على الآباء الحرص الدائم على تجنب زرع العقد أو زعزعة الثقة في نفوس أبناءهم. كما يجب أيضا أن لا يتعرض الطفل إلى الإهانة أو القهر أو العقاب أمام الآخرين لأننا سنستشير فيه العناد وردود أفعال غير متوقعة وسنزرع فيه روحا عدوانية خطيرة.

وعلى الوالدين أن يعلما طفلهما داخل الأسرة منظومة شاملة في آداب السلوك، ويأتي في مقدمتها تعليمه كيف ينظف نفسه. ومع تقدم عمره سيتعلم الطفل كيف ينظف أسنانه ويقلم أظافره ويصفف شعره ويزيل منه الأتربة والأوساخ العالقة، ومن المحتمل أن يتضايق الطفل في البداية ويقاوم لكنه سيتعود على نظافة جسمه بالتدريج.

وفي الدول الإسكندنافية وسويسرا وكندا ومعظم الدول الأنجلوسكسونية يعودون أطفالهم منذ سن مبكرة على السباحة في مياه الأنهار والبحيرات في فصول الشتاء القارسة، لكنهم لا يستهدفون من هذا التصرف النظافة فقط بل تعويد الأطفال على الجلد وتحمل البرد وتمكين أجسامهم من مقاومة كل التقلبات الجوية. ويعكس هذا السلوك أيضا وعي تلك الشعوب ببناء أجسام أطفالهم بناءً سليما. فيبدأون بتعويد الطفل على القيام ببعض التمارين الرياضية البسيطة التي تناسب جسمه، وعندما يكبر يشجعونه على القيام ببعض الأنشطة الرياضية كالسباحة والجري وسباق الدراجات وسباق الخيل... الخ.

وفي الواقع، ليس هذا الوضع غريبا عن حضارتنا العربية الإسلامية فقد أوصى الرسول الاعظم ﷺ الآباء قائلاً «علموا أبناءكم الرماية والسباحة وركوب الخيل» وهذه الوصية الرمزية العظيمة تحثنا على أن نعلم أبناءنا الرماية والسباحة وركوب الخيل وتحثنا على أن نعلم

أبناءنا أهمية الرياضة وبناء أجسام قوية، لأن العقل السليم في الجسم السليم. وليست المسابقات الرياضية المختلفة على المستويات الوطنية والقومية والدولية إلا نتيجة للحكمة التي تعتبر الرياضة مصدرا لسلامة العقل والجسم والخلق.

وقبل أن ننتهي من معالجة أثر الأسرة في تكوين سلوك الطفل، يبدوا مفيدا الإشارة إلى أن على رب الأسره أن يقدم الترحيب لأصدقاء ابنه الذي يزورونه في المنزل، لأنه يخلق تيارا من التعاطف المتبادل بين الآباء والأبناء. وتخصص الأسر الميسورة في دول الغرب لأطفالها مكانا يستطيعون فيه استقبال أصحابهم، ويتركون لأطفالهم حرية اختيار الديكورات والصور الجمالية التي يديرونها. وتسمح بعض الأسر باستخدام غرفة في الحوش أو الجراش أو مكان في الطابق الأرضي لهذا الغرض. وهكذا يضمن الوالدان لابناءهم الحياة بهدوء. أما بعض الآباء الذين لا يستطيعون توفير مثل هذا المكان لاستقبال ضيوف أبنائهم يضحّون بجزء من وقتهم ومن هدوئهم برضى وطواعيه، وبخاصة أن الطفل لا بد أن يكون قد استأذن والديه بدعوة أصدقاءه وحصل على موافقتهم بكل ما يتعلق بهذه الزيارة بما في ذلك الوقت والمدة التي تستغرقها.

إن هذه الزيارات هي تبادل في العواطف والأفكار وخلق الصداقات ووسيلة لإثراء تجارب الطفل في الحياة الإجتماعية.

سلوك الطفل خارج المنزل:

لا تنحصر علاقات الطفل بأبويه وإخوته وأهله داخل المنزل، وليست المدرسة أيضا المكان الوحيد الذي يستقبل الطفل خارج المنزل. فخلافا لهذين المجتمعين الضيقين هناك مكان واسع ورحب ولا حدود له ويتحتم على الطفل التعود على اقتحامه والتكيف مع قوانينه وأحكامه، وهو المجتمع الكبير الذي يعيش فيه.

ويقال في دول الغرب أن القاعدة الأساسية للأدب، منذ قيام الثوره الفرنسية عام ١٧٨٩ وإلغاء نظام الطبقات، هي أن تنادي الإنسان يا «سيد» والمرأه المتزوجه «سيدتي» والمرأة غير المتزوجه يا «آنسة». وفي بريطانيا وفرنسا وفي عدد من دول الغرب لا يكفي أن تقول «صباح الخير» أو «من فضلك» بل يجب أن تقول «صباح الخير سيدي» و «من فضلك يا سيدتي»... الخ. أما بالنسبة للطفل، فإن عليه أن يتعلم أن لا يبدأ بمصافحة الآخرين إلا بعد

أن يمدوا أيديهم اليه لمصافحته. وعلى الطفل أيضا أن يبدأ حديثه مع الآخرين بكلمة «من فضلك» أو «إذا سمحت». وفي كل مره يؤدي له أي شخص خدمة أو منفعة عليه أن يعبر عن عرفانه بالجميل ويشكره، وإذا شعر أنه أساء إلى أحد أو أخطأ في حقه عليه أن يقدم اعتذاره.

وفي تاريخ آداب السلوك في فرنسا، تروى رواية طريفة، مضمونها أن الملك لويس الخامس عشر عندما كان طفلا خرج من قصر فرساي مع مربيه، وعند باب القصر شاهد الملك الصغير ومربيه ماسح أحذية فشد مربي الملك يد الملك ورفعها تحية لماسح الأحذية، فاستغرب لويس الخامس عشر وصاح في مربيه، عجبا! كيف تحيّي ماسح الأحذية؟ فاجابه مربيه قائلاً: سيدي، أفضّل أن أبادر لتحية ماسح الأحذية خيرا من أن يقول أنه أكثر أدبا مني.

ولا يقوم الآباء في الغرب باستصحاب أبناءهم إلى المقاهي أو صالونات الشاي ولا إلى المعارض أو المسارح وكل المشاهد التي تتجاوز حدود فهمهم، لأنهم سيتضايقون ويتململون في هذه الأماكن، وربما ينامون فوق مقاعدهم، وقد يسبب هذا الوضع مضايقه للمشاهدين الآخرين.

وعند خروج الطفل من منزله بصحبة والده، عليه أن يسير بجانب والده على الرصيف ممسكا بيده. وعلى الوالد أن يبذل قصارى جهده في رعاية طفله أثناء السير، وأن يحرص على أن لا تفلت يده خلسة من يد والده ويركض وسط الطريق، الأمر الذي قد يعرضه لحادث سيارة. وإذا أحبت الأم أو الأب استصحاب الطفل إلى منزل آخر، فمن الواجب عليه أن يتعود على أداء التحية ولا داعي لمصافحة الآخرين. ومن الجميل جدا أن يكون الطفل بشوشا وغير عابس أو مقطب وجهه. وأثناء حديث الأب وغيره من الرجال، على الطفل أن يمتنع عن مقاطعتهم، وأن يبقى صامتا، إلا إذا طلب منه أحد الكلام أو وجه اليه أحد سؤالا.

وفي دول الغرب يشجع الآباء أبناءهم الكبار على مختلف أنواع الرياضة ويمنحوهم المصاريف الكافية لدفع قيمة الاشتراكات في النوادي الرياضية. وتعتبر الموسيقى والرقص وحضور الندوات الثقافية ومشاهدة المسارح والعروض السينمائية بالنسبة للشباب حق

وواجب في نفس الوقت، لأنها وسائل تسلية وترفيه، ولأنها أيضا مصادر للثقافة وتنمية الذوق والمواهب.

وملابس الطفل والشاب جزء من سلوكه وتعبير عن ذوقه، ويقوم الآباء بتطوير أذواق أبناءهم في اختيار ملابسهم وكيفية التنسيق بين ألوانها. لكنهم في الدول الغربية يعرفون كيف يضعون حداً لشهية أبنائهم في اقتناء الملابس الباذخة والمترفة مهما كان غناهم وقدرتهم على الشراء. وينبع هذا السلوك من إدراك تام بأن إعطاء الطفل كلما يريد سيؤدي حتما إلى نقطة لا يمكن فيها إرضاءه. كما أن عدم كبح جماح رغباته المشتطة أو المبالغ فيها، ستجعل منه إنسانا أنانيا يعمل على إشباع رغباته بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة.

واختيار الطفل لأصحابه ورفاقه يتحكم فيه غريزه الطفل وميوله الفطرية. وطبقا لهذا، فإنه غير قادر على تحديد الأسس المناسبة للعلاقة بين الأصدقاء. ولذا، على الأب أيضا أن يلاحظ نوعيه العشرة والصداقات التي تحيط بابنه. وأول قاعدة ذهبية في هذا المضمار تكمن في أن الصداقة لا تقوم إلا بين أبناء جيل واحد، وأن الصداقة القائمة مع فارق كبير في السن تنطوي على مخاطر كبيرة، أولها خضوع الطفل الصغير للكبير وتمثل سلوكه وأفكاره. أما القاعدة الثانية التي ينبغي على الأب ملاحظتها فتتعلق بسلوك أصدقاءِ ابنه وطباعهم وأمزجتهم.

ومن المعروف أن على الطفل أن يتعلم كيف يبني علاقات مع أقرانه، ويقيم الصداقات معهم ويعيش جزءاً من وقته بينهم. وسيتعلم بلباقته وغريزته أن عليه أن يضحي برغباته للتوفيق مع رغباتهم، وأن يقبل التخلي عن لعبه أو تسلية أو نشاط بمحض إرادته لكسب رضاهم. وبهذا الأسلوب يبدأ الطفل بتقديم نفسه بصورة نوعية ممتازة ويطور مفهومه عن الحياة الاجتماعية منذ طفولته.

آداب السلوك في الأماكن العامة

نقصد بآداب السلوك وقواعد الحياة الاجتماعية في الأماكن العامة، تلك الأماكن المفتوحة للجميع. كالمصعد والسلم والشارع ووسائل النقل العامة والمحلات التجارية والمعارض والمتاحف وغير ذلك. وبمعنى أوضح فإن الأماكن العامة تبتدي في اللحظة التي تغادر فيها منزلك ومسكنك الخاص. وتستهدف آداب السلوك المتعلقة بالأماكن العامة في دول الغرب إلى تبسيط تصرفات الناس وتسهيل علاقاتهم وتعاملهم مع بعضهم بعضا. خاصة أن الحضارة الفردية قد طبعت الإنسان بروح التفرد والانشغال كلية بذاته وإعطاء الأخوّة والتضامن الاجتماعي اهتماما بسيطا. ومع أن الود والتآلف بين الناس غير المتعارفين ليس مألوفا إلاّ أن احترام حرية الآخرين وكرامتهم واستقلالهم تقوم بدور كاف في ضبط سلوك الناس تجاه بعضهم بصورة حسنة وتخفف.من مساوئ الفردية والأنانية التي فرضتها الحضارة الصناعية هناك.

الآداب العامة في السلّم والمصعد:

السّلم أو الدرج هو أول مكان عام أو مشترك للجميع خارج المنزل الشخصي. لكنه أيضاً ليس كالشارع مثلاً لأن هناك احتمال أن المستخدمين له من سكان المنزل وأقاربهم وأصدقائهم كثيرون. وهؤلاء في حضارتنا العربية يعتبرون جيرانا وأقارب للجيران ولابد من تحيتهم أثناء مقابلة أحد منهم في السلم. أما في الغرب وخاصة في فرنسا فإن التحية غير واجبة ما لم يكن الشخص مألوفا لديك. وعندئذ تكون التحية مقبولة وليست واجبة. لكن هناك آداب لها قوة الإلزام، وأهمها إعطاء الأولوية في المرور للنساء والعجزة وعدم مسابقتهم وتخطيهم أثناء الصعود والنزول، ما لم يكن الشخص نفسه قد طلب منه أن تتقدمه لأنه يصعد ببطئ لأي سبب كان. وفي دول الغرب إذا كان الشخص يهبط السلم مع سيدة فإن عليه أن يتقدم أمامها. أما عند الصعود فيمكن أن يكون بجانبها إذا كان الدرج واسعا أو يصعد خلفها. هذا مع العلم أن الشباب اليوم لايتقيدون فيما بينهم بقاعدة أن يتقدم الشاب

على الفتاة عند الهبوط أو أن تتقدم الفتاة عند الهبوط في السلّم؛ لكن مقتضيات احترام الأشخاص الآخرين الذين يستخدمون السلم ملزمة للجميع.

ويعتبر المصعد وسيلة من وسائل الانتقال العامة حيث يشترك فيها جميع سكان المنزل وأقاربهم وكل من يصل إليهم. ولذا فإن أول قاعده من قواعد السلوك الخاصه بالمصعد «الأسانسير» أو«اللفت» هو المحافظه على سلامته وعدم إتلافه أو تعطيله. إن ظاهرة التفرد والاهتمام بالذات في الحضارة الغربيه لم تفسد شعور الناس بالمسؤولية ولا باهتمامهم ومحافظتهم على الأشياء العامة؛ ولا يفاجأ المرء لردود فعلهم القوية تجاه كل عمل ضار أو إساءة إستعمال للأشياء العامة والمصعد في مقدمتها.

أما آداب السلوك التي فرضتها هذه الآله فقد اقتضت أن على الداخلين إلى المصعد أن ينتظروا خروج كل من كانوا فيه؛ وأن تعطى الأولوية في الدخول للعجزة والمسنيين ثم للسيدات ثم للآنسات. وإذا كان شخص يحمل بعض الأشياء أو طفل فإن عليك أن تفتح له باب المصعد وتؤمن له الدخول ثم تقفل بابه بعد ذلك. ولا يتسامح الغربيون في إشعال السيجارة أو التدخين داخل المصعد ويجب عليك إطفاء سيجارتك قبل الدخول إليه أو على الأقل إخفائها بشكل لا يسمح للدخان بمضايقة الآخرين. وفي العادة يقوم الشخص القريب من زرار المصعد بسؤال الآخرين عن الدور الذي سيخرجون فيه ثم يضغط على الزرار الخاص بالدور المطلوب. وفي هذه الحالة على الشخص أن يتحرى عدم تشغيل الأزرار بصورة غير منتظمة قد تؤدي الى توقف المصعد إو صعوده أو نزوله بصورة غيرمطلوبة. وعندما تهم بالخروج من المصعد عليك الانتظار حتى يتوقف تماماً؛ ثم تتحرك بعد ذلك نحو الباب. وإذا كنت قريبا من الباب وأراد أحد الخروج فمن الأدب الجم أن تمسك باب المصعد وتؤمن خروجه ثم تقفل الباب بعد ذلك.

آداب السير في الشوارع:

الشارع هو المكان العام المخصص لمرور الناس وحركتهم وتنقلاتهم؛ وبهذه الصفة يكتسب من القواعد والآداب ما يجعله وسيلة راقية ومتحضرة لتنظيم العلاقات الإنسانية بين بني البشر. ويشمل الشارع الشارع الصغير والكبير والرصيف والزقاق والممرات الكبيرة أو الصغيرة داخل المدن أو القرى؛ سواء أكان معبداً بالإسفلت أو مرصوفاً بالحجاره أو البلاط

أو كان طريقا من التراب.

وعلى الطرقات والشوارع تمر الخيول والعربات والسيارات والحمير وعربات الأطفال وهي في الغالب عدولدود للمارة. ويهمنا الآن أن نركز اهتمامنا على قواعد السلوك الخاصة بالمارة. ولعل أول قاعدة في آداب السير في الشوارع العامة هي المحافظة على نظافتها والامتناع عن رمي الأوساخ أو أكياس القمامة أو أية مخلفات أو فضلات فيها. أما القاعدة الثانية فتتمثل في اتزان حركة الإنسان بين الناس أثناء السير في الشوارع العامة؛ فلا يسيىء معاملة الآخرين بمشيته ولا يندفع بحركته بصورة تؤذيهم. ويحب الغربيون بصورة ملحوظة جدا أن تكون هيئتهم أثناء المشي طبيعية تتسم بروح الاعتزاز؛ فلا يطأطئون رؤوسهم إلى الأرض أثناء المشي لأن ذلك يمنعهم من رؤية المارة القادمين نحوهم. لقد شكل التطور الصناعي حياة الناس وطبعها بالعجلة والحساب الدقيق للزمن؛ لكن هذا لم يخل بآداب السلوك المتوارثة أثناء السير في الشوارع. وسيشاهد المرء باستغراب عندما يلاحظ حركة الجمهور أثناء خروجهم من محطات المترو أو في الشوارع الكبيرة أن هناك إيقاع متوازن لحركة الناس بصورة عامة؛ فهي ليست حركة بطيئة وليست جريا أو حركة مضطربة تسبب التصادم في الجوانب والأكواع. ويبدو أن الباعث على هذا السلوك هو إدراك أن المشي باضطراب وبسرعة غير متزنة لن يعدل من مواعيدهم؛ فالفرق الذي سيوفره الجري والعجلة لن يتعدى أحياناً ثوان أو دقائق.

وأرصفة الطرق هي المكان المخصص لسير المارة؛ وقد اقتضت آدابهم أن يفسحوا الجانب الأعلى من الرصيف الملاصق للجدران للنساء والشيوخ أثناء الازدحام. وعلى الرجال والشباب أن يفسحوا لهم الأرصفة والهبوط إلى أرض الشارع عند الضروره؛ لكن بحذر ودون مضايقة لحركة سير الآليات والعربات.

ويراعي الناس بدقة بالغة تعاليم وقواعد السير، فلا يقطعون الشوارع المخصصة للسيارات إلا من المناطق المحددة لعبور المشاة؛ وإذا كان هناك إشارة ضوئية للمشاة فلا بد من انتظار الضوء الأخضر للمرور. وهناك ملاحظه لابد من الإشارة إليها؛ وهي أنك إذا أرت أن تسبق أحداً أو تتقدم عليه أثناء السير فإن ذلك يتم من شماله كما هي القاعدة عموما بالنسبة للسيارات؛ وعند مقابلة المارة القادمين من الأفضل أن تأخذ الجانب اليمين. وإذا حدث أثناء مرورك مضايقة لأي شخص عليك أن تقدم الاعتذار. ومن الواجب أيضا أثناء السير في

الشوارع الحية والمزدحمة بالناس أن لا يتوقف المرء فجأه قبل التأكد من أن توقفه لن يضايق الآخرين.

واذا كان الشخص يدفع أمامه عربة يد عليها طفل أو أشياء؛ فإن عليه أن يراعي حركة مرور الناس؛ فلا يجبرهم على إخلاء الطريق له بدفعها عليهم بل يجب عليه انتظار خلو الطريق أمامه من المارة. ومن آداب السلوك في الطريق العام إعطاء الأولوية في السير للعجزة والمسنين والمعوقين وللأشخاص الذين يحملون أشياء كبيرة في أيديهم. وإذا انزلق شخص أمامك فحاذر أن تعتبر انزلاقه مدعاة للضحك. ولن يشفع لك الجري نحوه ومد يد العون له بعد ذلك؛ لأن ضحكتك تكون قد جرحت كبرياءه.

وفي الختام أود التاكُيد مرة أخرى على أن الشوارع والطرقات تعتبر ملك الجميع؛ وأن مسؤولية المحافظة على نظافتها في المدن الأوروبية لا يقع فقط على الأجهزة المختصة بنظافة المدينة، سواء أكانت البلديات أو أجهزة أخرى؛ بل تقع مسؤولية المحافظة على مظهر الشوارع ونظافتها على سكان المدينه أولا. كما أن المشاة والمارة يعتبرون أن إلقاء الأوراق أو حتى أعقاب السجائر على الطرقات ازدراء بعمال النظافة وبكرامتهم ويعتبر سلوكا مشينا يستحق العقاب.

آداب السلوك أثناء قيادة السيارة:

إذا أردت الحكم على أخلاق صديق جديد أو على طباع ومزاج شخص لا تعرفه؛فما عليك إلا أن تصاحبه برهة أثناء قيادته لسيارته. فقيادة السيارة أكبر مختبر لطباع الإنسان وخلقه ومزاجه؛ لأنها قادرة على تحويله من الهدوء إلى الانفعال ومن حالة الأدب إلى الشراسة ومن حالة اللطف والرقة إلى العنف والعدوانية. وهكذا؛ خلال نصف ساعة من قيادة السيارة داخل المدينة تستطيع أن تكتشف بسهوله طباع صاحبها وأخلاقه وسلوكه. وستكتشف أيضا مدى سلامة المثل القائل «قيادة السيارة فن وذوق وأخلاق».

والعجيب في الأمر أن قيادة السيارة في بداية هذا القرن في دول الغرب كانت تقتضي بذل عناية خاصة في مظهر الشخص ونظافته وأناقته. أما الآن فلم تعد السيارة أكثر من وسيلة لنقل الإنسان من مكان الى مكان. كما إن جميع مظاهر الأبهة والفخامة والشكل الفاره للسيارات الأمريكية التقليدية لم يعد مطلوبا إلا لسيارات المواكب الرسمية. لقد

أصبحت السيارات الصغيرة والرخيصة التي لا تستهلك كثيرا من الوقود ظاهرة عامة في الشوارع والطرقات في دول الغرب؛ لأنها لم تعد وسيلة من وسائل البهجة والاستمتاع بل وسيلة لتسهيل لقاءات الناس وأدائهم لأعمالهم وتنقلاتهم.

تتمثل أهم قواعد قيادة السيارات في الحرص الدائم على تخفيف السرعة والسيطرة على حركتها؛ لأن السرعة تشكل السبب المباشر للمخاطر التي يتعرض لها المارة ويتعرض لها سائقوا السيارات الأخرى كما يتعرض لها سائق السيارة نفسه والأشخاص الراكبين معه. ولهذا فإن سرعة السيارات في المدن وفي الطرقات الواسعة خارج المدن مقننة ومراقبة في دول الغرب بشكل مثير للإعجاب. وسيجد الإنسان نفسه هناك معرضا لرقابه مدهشة من رجال المرور في كل حالة يخرج فيها عن قواعد السير. ومع ذلك فلن نعالج هنا آداب السير أخلاقياته والتي قد تفلت في معظم الأحيان من سلطة رجل المرور؛ لكنها تستثير الآخرين وتضايقهم.

في البداية لا تحاول أبدا استغلال حقك في الآولوية في المرور خاصة إذا كان تنازلك عن حقك في المرور سيساهم في تخفيف ازدحام السيارات. لأن أولوية المرور لا تعني أبدا الاندفاع بسيارتك إلى الأمام بأي ثمن. ولاحظ دائما أن سيارات الإسعاف والحريق وسيارات النجدة والمواكب الرسمية لها الحق في الأولوية في جميع الأحوال. وينبغى على الجميع إفساح الطريق لها. وفي شوارع المدن والقرى وفي الطرقات الفرعية والرئيسية بين المدن لا يسمع الإنسان في دول الغرب أصوات المنبهات أبدا إلا إذا كان هناك خطر محتمل. وسيجد المرء نفسه وسط طوابير من السيارات وحالات من الزحام التي تتوقف فيه السيارات أحيانا طوال ساعة أو أكثر. ومع ذلك فلا تسمع أبدا أصوات المنبهات؛ وفي النادر جدا أن يطلب منك شخص التحرك قليلا إلى الأمام أو الخلف لإتاحة الفرصة لحركة سيارة أخرى بغية تخفيف الزحام أو فك حالة اختناق مروري أو لكي يركن سيارته بجانب الطريق أو يخرجها من مكانها. ومهما كان ازدحام السيارات في الشوارع فإن أحداً لايجرؤ أن يوقف سيارته في خط جديد داخل الشارع خلف سيارة أخرى واقفة لأن الغرامات المالية عن المخالفات عالية جدا. هذا بالإضافة الى أن مثل هذا التوقف يسد الطريق على السيارة التي بجانبه ويمنعها من الخروج. ويمكنك أن تتصور النتائج الخطيرة لهذا التصرف إذا كانت السيارة التي منعت من الخروج هي سيارة طبيب وتم استدعاؤه للانتقال إلى منزل أو

مستشفى لمعاينة حالة مستعجلة. كما يمكنك أيضا أن تتصور أن السيارة ستنقل شخصا في موعد دقيق إلى المطار أو القطار وغير ذلك.

ولا يتسامح الناس في استعمال الأرصفة لوقوف السيارات؛ وكذلك الحال الجزء من الطريق المخصص لعبور المشاه الممتد بين رصيفين متقابلين؛ ويفرض عليها رجال المرور غرامات عالية وهذا موقف مبرر. ويمكنك أن تتصور المصاعب التي يسببها وقوف السيارات للمارة الذين يدفعون أمامهم عربات الأطفال الصغيرة أو عربات المعوقين أو المكفوفين أو عربات اليد الخاصة بحمل الأمتعة والمشتريات. وبالرغم من ارتفاع مستوى ذوق الناس وآدابهم في دول الغرب إلا أنك ستصادف أشخاصا ذو طباع فظه أو عدوانية؛ وستقابل العديد من أولئك الذين يسيؤون استخدام سياراتهم ويضايقون الآخرين. لكن الأمر الواضح في تلك البلاد أنه ليس من واجبك ولا من واجب أحد تلقينهم آداب السير؛ فهناك سلطات مختصة لمعاقبتهم؛ ويجب أن تتجنب أيضا توجيه الإهانات لهم. وحتى عند حدوث صدام بين سيارتك وسيارة شخص آخر؛ فما عليك إلا إخراج البيانات الخاصة بشركة التأمين التي أمنت لديها على سيارتك إذا كنت أنت المخطىء؛ أوْ أن يكون الشخص الآخر هو المخطىء فيقوم بإخراج بيانات التأمين وتحرير وثيقة يسمونها«التقرير الودي» أو «تقرير حادث» ورسم كروكي للحادث وتوضيح ظروف الصدام والتوقيع عليه وإرساله الى شركتي التأمين؛ وستقوم الشركة المختصة بتعويض الشخص الآخر عن الأضرار بدلا عنك وتعويضك عن الأضرار التي حدثت بسيارتك نتيجة لخطأك إذا كنت قد اخترت التأمين الشامل؛ أي التأمين على سيارتك بمحض إرادتك بجانب التأمين على سيارة الغير باعتباره إجباريا على الجميع. ولأن التأمين على سلامة سيارات الغير وأرواحهم وكل الأضرار التي تسببها أثناء قيادتك لسيارتك إجباريا. فإن من واجبك عند اصطدام سيارتك بسيارة واقفة أن لا تغادر المكان قبل أن تترك كارت أو ورقة تضعها تحت مسّاح الزجاج تكتب عليها إسمك وعنوانك لصاحب السيارة التي تضررت بفعلك حتى يستطيع الاتصال بك لعمل «التقرير الودي» لشركة التأمين لإصلاح سيارته.

ومن النادر إذا حصل عطل لسيارة شخص أخر أن يتوقف الآخرون في دول الغرب لمساعدته. لكن من الواجب إذا استوقف أحد سيارتك لطلب المساعدة أن تقدمها بقدر ما تستطيع. وعند الإشارة الضوئية أو اثناء وقوف طابور من السيارات لا تشغل نفسك بعمل

شيء قد يلهيك عن التحرك خلف السيارة التي أمامك فتعطل السيارات الواقفة خلفك. وإذا كانت الطريق ممطرة أو عليها بقايا مياه أو حفر مملوءة بالمياه فإن من الواجب تجنب مرور عجلات السيارة فوقها حتى لا ترش المارة بتلك المياه القذرة.

وإذا كنت حريصا على التقيد بآداب قيادة السيارة فحاذر أن تنطلق بسيارتك كالصاروخ عند ظهور الأشارة الضوئية الخضراء لأنك قد تدهس أحد المارة أو تثير الفزع في نفوسهم. وتجنب دائما إظهار براعتك ومهارتك الفنية أثناء القيادة بالمناورة بين السيارات التي أمامك بسرعة؛ لأن سلوكك قد يسبب حوادث عنيفة وخسائر كثيرة. وعليك أن تدرك أن قيادة السيارة بسرعة، وأن المناورة ومسابقة السيارات الأخرى؛ ليس لها علاقة بالمآثر والبطولات؛ بل إنها مظهر للهمجية والبربرية والجهل بروح العصر الذي سيطرت فيه الآلة على كل حياتنا. إن السيارة أداة لخدمة الإنسان فقط ولم تعد مظهراً للجاه و«الأبهة» والسيادة الاجتماعيه إلا في إطار القرية وحياة البداوة. والسيارة هي الآلة التي استطاعت أن تسابق الحروب في مآسيها وعدد ضحاياها. فإذا أرت أن تجعل من قيادتها عملا بطوليا فإن حلبة البطولة تتمثل في التقيد بقواعد القيادة السليمة وضبط الأعصاب والتحلي بالصبر واحترام رجال المرور والتسامح مع الآخرين. وتذكر دائما أن اعظم درجات الأدب والخلق العظيم والمؤثر في نفوس الآخرين هو الأدب والخلق الذي يظهره الناس أثناء قيادتهم للسيارات.

آداب السلوك في وسائل النقل العام

تشمل وسائل النقل العام كل السّيارات المعدة لنقل الناس بصورة عامة؛ كالحافلات وكل أنواع السيارات الكبيرة (الباصات) والتكسيات والقطارات والمترو والطائرات والبواخر والقوارب والسفن وغير ذلك. وقد حظيت هذه الوسائل المشتركة بين الناس جميعا بمنظومة من الآداب والأخلاق التي تعكس عمق التطور الحضاري بين الأمم المتقدمة. وقد تعدلت آداب السلوك اليوم بصورة ملحوظة عما كانت عليه في النصف الأول من هذا القرن؛ فضعف التزام الناس بها بفعل التطور الضخم وانهماك الإنسان واستغراقه في التفكير بذاته ومشاكل الحياة اليومية.

والقاعدة العامة في السلوك تقتضي أن يتخلى الشاب، سواء أكان فتاة أوفتى، عن مكانه في وسائل النقل العام للنساء والعجزة؛ أما بالنسبة للمعوقين فإنه واجب محتم. كما يجب تقديم الاعتذار إذا داس شخص على قدم شخص آخر أو ضربه بكوعه أو اندفع فوقه بفعل حركة وسائل النقل. ومن آداب السلوك أيضا مساعدة الأشخاص الآخرين إذا كانوا يحملون حقائب أو أشياء ثقيله وذلك بفتح الأبواب لهم أو بأخذ شنطة أو قطعة من أمتعتهم؛ ومساعدتهم على الهبوط من وسائل النقل أو الصعود اليها. وفي بريطانيا والدول الانجلوسكسونية يعتقد الناس أن من واجبهم تقديم المعلومات التي يعرفونها جيدا لكل غريب؛ وذلك على عكس الحال في فرنسا؛ حيث يفضلون أن يطرح الشخص استفساراته على المكاتب الخاصة بتقديم المعلومات؛ لأنها أكثر قدرة على تقديم الأجوبه الصائبه للمستفسرين.

وتأكيدا لما سبق أن قلنا؛ من أن تعديلات كبيره قد طرأت على قواعد السلوك وآدابه بخاصة في العقدين الأخيرين من هذا القرن؛ حيث ضعفت المبادرات الودية والحنونة بين الناس وأصبح كل شخص مهموم بذاته فقد اتسمت حركة الناس في محطات القطارات والمترو بالتدافع والجري والسباق من أجل ضمان تذكرة سفر واللحاق بموعد الرحيل. ومع ذلك لم تخل القيمة الهائلة لعامل الزمن وازدياد الحاجة للتنقلات في دول الغرب بأهم قاعدة

من قواعد السلوك؛ وهي الأمانة وعدم اللجوء للاحتيال من أجل الحصول على مقعد أو تذكرة سفر خارج نظام الأولوية وقواعد الحجز حتى في اكثر المواسم السياحية ازدحاما إلا في النادر. لكن الناس أصبحوا الآن بعيدين عن أصول الإنضباط المثالي والاحترام الجم الذي كانوا يكنونه للعجزه والسيدات؛ وأصبح الانهماك في قراءة كتاب أو جريدة أو مجلة مبررا لبعض الشباب للاحتفاظ بمقعده في وسائل النقل وحجب وجهه عن رؤية العجزة والمسنين الذين ينبغي أن يتخلى عن مقعده لهم. ومع ذلك وبالرغم من هذه التحولات السلوكيه فمازالت الأيديولوجية الاجتماعية في دول الغرب تحافظ على جوهر المنظومة التقليدية والواسعة لآداب السلوك.

ومن الآداب العامة للسلوك التي ينبغي مراعاتها قبل الصعود إلى الحافلة أو المترو أو أي وسيلة من وسائل المواصلات؛ هو الالتزام بعدم استغلال حالة الإزدحام والتجمع الكبير في انتظار العربات للاندساس بين الجمهور من أجل صعود العربة أولا ومخالفة نظام الطابور الذي لا بد من احترامه من قبل الجميع. وستجد أحيانا أنه لكي تقطع تذكرة للسفر في الطائره أو القطار؛ عليك أن تراعي بدقه نظام الطوابير الذي يتقيد به الناس في كل مكان. وهناك نظام آخر يلزمك بقطع«تذكرة حجز» لقطع تذكرة السفر. وقد يبدو هذا الوضع غريبا لدى البعض في الدول العربيه؛ لكنه يمثل قمة النظام في بعض الدول الغربية؛ حيث ينبغي أن تحضر أمام الموظف أو الموظفه المسئوله عن قطع التذاكر طبقا لرقم أولوية وصولك المسجل على تذكرة صغيرة تأخذها من جهاز عند المدخل؛ ويحمل الرقم التالي مباشرة لمن دخل صالة الانتظار قبلك. وما عليك إلا الانتظار حتى يقرع الجرس ويظهر على اليافطة رقم ترتيب دخولك صالة الانتظار ورقم الموظفة التي ستقوم بقطع تذكرة السفر التي تريدها. وإذا لم يكن في الصالة تذاكر أولوية الوصول؛ فما عليك إلا تحديد الشخص الذي وصل قبلك؛ أو معرفة جميع الأشخاص الذين وصلوا قبلك وتحديد الشخص الذي وصل بعدك لكي تتقدم لقطع التذكرة حسب أولويتك بين الحاضرين.

وفي الانتقال على الباصات داخل المدن عليك أن تحضر قيمة التذكرة قبل صعودك الحافلهأو الباص أو إخراج تذكرة السفر أو بطاقه الاشتراك لعرضها على السائق فور صعودك وتوفير وقتك ووقته ووقت الآخرين.

وعند وصول العربة أثناء الانتظار يقتضي النظام الانتظار أيضا حتى نزول الراكبين

وصعود الناس طبقا لأولوياتهم في الطابور دون تدافع. وينبغي في هذه اللحظة عدم تأخير الناس عن الصعود والانشغال بالقيام بأي عمل. وفي دول الغرب يجد الناس دائما مقاعد للجلوس في وسائل المواصلات أثناء الرحلات بين المدن، أما داخل المدن فان المسافة قصيرة ويتحمل الناس تعب الانتقال واقفين في ساعات الازدحام. وفي هذه الحالة على الجميع أن يراعوا الآداب الخاصة باحترام السيدات والعجزة والمعوقين والنساء الحوامل والسماح لهم بالصعود أولا والتخلي عن مقاعد الجلوس لهم.

وينبغي أن نذكر هنا أن التدخين ممنوع في جميع وسائل النقل داخل المدن. وأثناء السفر على القطارات أو الحافلات لمسافات طويلة خارج المدن ينبفي عليك أن تتأكد من أنك قد حجزت في مقصورة أو مقعد يسمح لك فيه بالتدخين. لأن التدخين في وسائل النقل ليس من الأمور المتسامح فيها إطلاقا. وعليك أن تنتظر أن يوقفك أي إنسان بحالة من الانفعال والغضب؛ وما عليك إلا أن تعرف عند بداية سفرك شروط التدخين وظروفه والتحلي بالصبر واحترام إرادة تلك الأمم التي ترسم سياسات جاده للحد من عدد المدخنين إلى حده الأدنى في نهاية هذا القرن.

وعند جلوسك على المقعد حاذر من مضايقة من يجلس بجانبك بسبب ارتمائك على المقعد أو وضع حقائب كبيرة تمنعه من الجلوس براحته وبخاصة في الرحلات الطويلة أو مد سيقانك تحت الكرسي الذي أمامك بصورة تضايقه. وعند قراءة الجريدة تجنب فتح الصفحات حتي تغطي وجه من يقعد بجانبك. وتأكد أن الناس في دول الغرب لايتناقشون في أخبار الساعة ولا يحركون ألسنتهم بسهولة في أي نقاش سياسي مع أي شخص لا يعرفونه. ولديهم حكمة تقول:«إن النقاش في السياسة والأديان مدعاة لإثارة الآخرين» ومع ذلك فإن النقاش بين الأشخاص المتعارفين ليس له حدود فكرية أو ثقافية؛ باستثناء موضوع الأديان والمذاهب الدينيه الذي ينبغي التحفظ فيه. ومن غير المألوف أيضا أن تطلب من الشخص الذي يجلس بجانبك أن يعيرك كتابه أو مجلته إلا اذا تركها وكنتم قد تبادلتم الابتسامات أوالتحية.

وإذا صادفت صديقا في وسائل النقل فلا تفزع الآخرين بمناداته؛ بل حاول أن تتصرف بهدوء ودون مزاحمة الآخرين في لفت انتباهه أو الوصول إليه؛ وتجنب دائما أن تناديه بإسمه، وإذا كان قاعدا في مقعد لوحده فيمكنك الانتقال إليه ومحادثته؛ وإذا كان

يرافق شخصا ما فلا بد من أن تقدم نفسك للشخص الآخر إذا لم يقدمك هو.

وفي دول الغرب يتحدث الناس بصوت منخفض في كل المناسبات وبخاصة في وسائل النقل، ويقدمون تذاكرهم بأدب لمراقب التذاكر ولابد ان تسمع منه «من فضلك» وعليك ان تقول له«شكراً» مع ابتسامة رقيقة عندما يعيد إليك تذكرتك. ولا يمكنني هنا أن أنسى أن أشير إلى مراقبي وسائل النقل وهم المسئولون عن مراقبة تطابق قيمة التذكرة مع المسافة التي تقطعها؛ وأنهم مسئولون عن تقدير المعالجه لحالة ضياع تذكرة السفر منك بكل حرية؛ ومن حقهم أن يعتبروك مستخدماً لوسائل النقل العام بدون وجه شرعي؛ ويمكن أن تتعرض لدفع جزاء مالي وأحيانا محاكمة وعقوبة صارمة. ومراقبو وسائل النقل هم أصحاب الحق في اتخاذ القرار بقطع تذكرة سفر أخرى بدلا عن التذكرة المفقودة.

وإذا كنت تصطحب طفلا صغيرا يقل عمره عن ثلاث سنوات دون تذكرة سفر فلا يمكنك السماح له باحتلال مقعد مستقل؛ وينبغي عليك أن تضعه في حجرك بخاصة إذا كان هناك شخص واقف له الحق في الجلوس. ويعلم الناس أيضا أطفالهم الكبار أن يقفوا ويتخلوا عن مقاعدهم للعجزة والنساء الحاملات؛ وأن يحافظوا على آداب الصعود والنزول من وسائل النقل بصورة مرضية. كما أن حمل الحقائب والشنطات الكبيرة لا يسمح به في وسائل النقل العامة كالباصات والمترو داخل المدن أثناء ساعات الزحام. وعليه ينبغي عليك اختيار الساعات التي تخف فيها زحمة المواصلات للإنتقال مع شنطاتك الثقيلة في الباص والمترو. أما في القطارات والقوارب والتكسيات فإنها وسائل انتقال مشروعة بجميع ما تحمله من شنطات.

وتوجد بعض الآداب الخاصه ببعض وسائل النقل العامه سنذكرها هنا تباعا.

في القطار:

القطار إحدى وسائل النقل الهامة للرحلات المتوسطة والطويلة خارج المدن. وقد تستغرق الرحلة في القطار عدة ساعات وأحيانا تستمر يوما كاملا. ويقتضي هذا الوضع وبخاصة إذا كانت المسافه طويله، أن يكون لكل مسافر مقعد محجوز له ومسجل رقمه على تذكرة السفر. وفي أوروبا يتسامحون في أن يكون عدد الركاب، وبخاصه في الدرجة الثانية أكثر من عدد المقاعد، إذا كانت المسافة في حدود ساعة أو ساعتين. ومن حيث المبدأ

لكل مسافر في القطار مقعد خلص. وقبل صعود المسافر إلى القطار ينبغي عليه معرفة العربة التي سيجد مقعده فيها. وبعد التعرف على العربة التي حجز فيها مقعده؛ عليه أن يتحرى عند الصعود أن يدفع الآخرين أو يربكهم؛ وأن يتجه نحو مقعده مهتديا بالرقم المسجل على تذكرته. ومن الآداب الحميدة عند الجلوس على الكرسي إلقاء تحية هادئه على الشخص الذي تجلس بجانبه أو الاشخاص الذين يشاركونك المقصورة. ومن الآداب الجديرة بالإحترام مساعدة الآخرين المحملين بشنطات كبيرة أثناء صعودهم القطار ونزولهم منه. والمحافظة على حرية الممرات خارج مقصورات القطار وذلك بوضع الشنطات والأمتعة خارج الممرات.

ويتخذ الأدب في الواقع في دول الغرب إطارا محددا ومتعارفا عليه. وبمعنى أدق: إن سلّم القيم الأدبيه تحدد للناس بوضوح كبير ماهو واجب وملزم وماهو في إطار الآداب العامة وما يدخل في إطار المجاملات. ولذا إذا كنت قد حجزت مقعدا في القطار ووجدت شخصا جالسا عليه فإن من حقك أن تطلب منه بأدب إخلاء المقعد أو الرجوع للمراقب لإلزامه باخلائه؛ وهذه حاله من الحالات التي لايجوز التسامح فيها. لكنك إذا أردت فتح نافذة المقصورة التي يوجد فيها مقعدك فإن من الواجب طلب موافقة الذين يشاركونك مقاعد المقصورة؛ وفي هذه الحالة يكون الحق في اتخاذ القرار للشخص الذي يشكو البرد. وحاول أن لاتدخن في المقصورة إلا إذا كانت محجوزه للمدخنين وإلا من الأفضل الخروج إلى الممر للتدخين وخاصة إذا كنت تدخن السيجار أو الغليون فإن من الأفضل دائما عدم تدخين السيجار والغليون في مكان مأهول بالناس، بل ينبغي الابتعاد عن الناس إلى مكان مفتوح والتهوية فيه كثيرة، وأفضل مكان للغليون والبايب في القطار هو الممر الخارجي. ولكن حاذر أيضا ان يجبرك تدخين الغليون أو البايب على الدخول أو الخروج من وإالى المقصورة بصورة تزعج الموجودين فيها.

ويوجد في أوروبا في بعض القطارات الممتازة مطاعم وكفتيريات، ويستكمل الناس متعة أجازاتهم في تناول الطعام فيها، لكن البعض يفضل اصطحاب بعض السندويتشات أو الأطعمة المنزلية أثناء سفرهم في القطار. وإذا تناولوه في المقصورة فإن الأمر يتم بمنتهى الوقار ويحرصون على تغليف الأطعمة بصورة تمنع تساقطها أثناء الأكل. وفي معظم الأحيان يكون طعاما جافا ولا تنبعث منه روائح تفسد جو المقصورة. وعند الانتهاء من تناول الطعام

لا بد من جمع الفضلات وبقايا الطعام في كيس بلاستيكي ووضعها في سلة النفايات الموجودة في مختلف الزوايا ني القطار.

وفي قطار المسافات الطويلة يتبادل المسافرون الحديث فيما بينهم بحرية وانفتاح في أوروبا الجنوبية والشرقية. أما في فرنسا بشكل خاص فلا يتحدثون مع بعضهم بعضاً دون معرفة سابقة، وأحيانا لا ينطقون بالتحية عند دخولهم المقصورة في القطار. ويجد الإنسان نفس السلوك ولو بشكل أخف في بريطانيا وألمانيا. وهناك معيار واضح لمعرفة رغبة الآخرين في تبادل الحديث، ويتمثل في حجم ردودهم على السؤال الذي يطرحه الإنسان، فإذا وجدت طريقا للحديث فإن من واجبك الامتناع عن التحدث عن نفسك وعن الدين والأخلاق والسياسة، لأن الموضوع الأول غير مستحب والموضوعات الأخرى لا يجوز الخوض فيها مع شخص لا تعرفه، ولعل أول مدخل للحديث وافضله هو الطقس والمناخ والشمس والبرد. وإذا كان عليك أن تقضي ليلتك في القطار فلا تزعج الآخرين النائمين جلوسا على مقاعدهم بابقاء الأنوار والعة حتى ساعة متأخرة من الليل لانشغالك بقراءة كتاب أو رواية، ومن الواجب إطفاء الأنوار إذا نام المسافرون معك في المقصورة. وإذا قررت النوم فلا تخلع أحذيتك ولا ملابسك. لأن هناك مقصورات خاصة للنوم بأجر إضافي لك فيها كامل الحق في خلع ملابسك وحذائك والنوم على سرير حقيقي. ومن الأفضل عند السفر في القطار ارتداء بزة خفيفة تساعدك على السفر براحة، وإذا كان لابد من ارتداء كرفتة فيمكنك أن ترخيها عن عنقك أثناء السفر ثم شدها بصورة ملائمة عند النزول من القطار لمقابلة مستقبليك.

سلوك الناس على ظهر السفينة:

توجد أنواع كثيرة من السفن والقوارب، ولن نركز هنا على مجموعة التقاليد الرياضية في القوارب الشراعية أو القوارب السريعة أو قوارب النزهة والرياضة التي تقتضي ارتداء ملابس الرياضة الخاصة أو الملابس الخفيفة لهذا النوع من النشاط. أما سفن السفر والانتقال إلى المسافات البعيدة فهي الموضوع المهم في حديثنا لأنها تقتضي أن تسلك في مطعم السفينة وكأنك في مطعم المدينة وفي المسبح وكأنك على الشاطيء. وإذا كانت

الرحلة تستغرق عدة أيام وكان عليك أن تشارك شخصا أخرا نفس القمرة أو الحجرة فإن من المهم أن تحرص على تنظيم أمتعتك وأدواتك وعدم التدخين إلا بإذنه وإطفاء الأنوار أثناء النوم، واحرص أن ترتدي وتخلع ملابسك بوقار تام وأن تحافظ على مظهرك ولطفك وأدبك.

وستجد في السفن البحرية الممتازة كل مظاهر الحياة الاجتماعية، فهناك المطعم والكفتيريا والقهوة والمسبح وربما ناد صغير للألعاب المسلية. وهذا الجو يفرض عليك التكيف مع المسافرين من جميع الحضارات وإبداء أكبر قدر من التأقلم مع آداب السلوك والقيم الاجتماعية العالمية، لأنه سيكون محكوم عليك خلال عدة أيام أن تقدم نموذجا للسلوك الذي يفرض على الآخرين احترام شخصيتك واحترام البلد والحضارة التي تنتمي إليها. وتستطيع أن تساهم خلال هذه المدة بالسلوك الممتاز وتكذيب الأحكام العامة والمسبقة التي يطلقها أعداء العرب جزافا بأنهم غير أذكياء أو مهذبين.

ومن المهم جدا أن تتجنب الاقتراب أو الدخول إلى كبينة الملاحين، لأن ذلك يزعجهم ويربكهم. وإذا أصبت بدوار البحر فان أفضل مكان هو حجرتك. وإذا شعرت بأن حالتك تسوء كثيرا ولابد من العلاج فبامكانك استدعاء طبيب الباخرة أو الذهاب إليه. وعليك في السفينة، أن تحافظ على مظهرك وأناقتك وتعطي لكل مناسبة ما تستحقها من تصرف. وفي السفن أيضا تزداد ميول الناس للتعارف مع بعضهم، فحاول أن تجعل صداقاتك تسير في إطار من اللطف والوقار والرقة. واحرص دائما على الالتزام بمواعيد وجبات الطعام والأنشطة الأخرى على ظهر السفينة واختر مواعيد استخدام الحمام والدش والمغسل في الأوقات التي لا تضايق رفيقك في الحجرة.

السلوك في الطائرة:

يوجد تماثل كبير بين آداب السلوك في كل وسائل النقل العام، ومع ذلك فإن آداباً إضافية يجب مراعاتها أثناء السفر في الطائرة. ويستطيع المسافر المهذب أن يراعي تلك الآداب الخاصة منذ اللحظة التي يصعد فيها الطائرة، فلا يسابق الآخرين ولا يخترق الصفوف من أجل الوصول أولا. فشركات الخطوط الجوية بصورة عامة لا تسمح بنقل

شخص واحد دون أن يكون له مقعد محجوز في الطائرة، ويتم تحديد هذا الحجز قبل السفر جوا بوقت كاف. لذا فإن التدافع والاستعجال على صعود الطائرة هو سلوك مثير للسخرية. وعلى العكس من ذلك فإن من واجب المسافرين جوا أن يسمحوا للآباء المصحوبين بأطفال و المرضى والمعوقين بصعود الطائرة أولا.

ومن الأمور المثيرة للاستهجان أن بعض المسافرين ما أن يبدأ باحتلال مقعده حتى يطلب المضيفة بواسطة زرار المصباح الصغير، في الوقت الذي تكون فيه المضيفة مشغولة بإرشاد الناس إلى مقاعدهم وتنظيم أمتعتهم ومساعدة طاقم الطائرة على تهيئتها للإقلاع. ولذا من الواجب انتظار المضيفة حتى تكمل مهامها الأساسية ثم طلبها بواسطة المصباح الخاص بذلك، إلا إذا كان هناك حالة مستعجلة تستدعي عدم الانتظار. وتعرف شركات الخطوط الجوية نوعا من الناس الثقلاء والأنانيين الذين ينهكون المضيفات بطلباتهم المتكررة وكأن لهم وحدهم الحق في ذلك.

وللطائرة مجموعة من التعليمات الأمنية التي ينبغي الاهتمام والتقيد بها. ومنها على سبيل المثال ربط الحزام المثبت في مقعدك حول جسمك عند إقلاع الطائرة وهبوطها وعند حدوث خلخلات هوائية أو اضطراب جوي، وفي جميع الأحوال التي تظهر فيها تعليمات ربط الحزام في اللوحة الضوئية الخاصة بذلك. ومن الأمور الهامة جدا الامتناع عن التدخين عند إقلاع الطائرة وهبوطها ووقوفها على الأرض لأن التدخين في هذه الحالات يمكن أن يعرض الطائرة ومن فيها لخطر الحريق والانفجار.

والسيجار أيضا مبعث للمضايقات الكبيرة أثناء السفر جوا، لأنك ستجد حولك في مكان محصور أطفال ومرضى وأشخاص ممنوعين من التدخين يضرهم دخان الآخرين بصورة أكبر. ولذا فإن عليك الامتناع عن التدخين إلا في الجوانب المسموح بها التدخين وعليك الامتناع عنه إذا انتقلت إلى كرسي آخر للحديث مع صديق يوجد بجانبه مقعد خال. ومن آداب الناس في الغرب عدم مضايقة الشخص الذي يقعد بجانبك بكثرة الدخول والخروج دون مبرر، وعدم التحدث معه ما لم يكن راغباً في الحديث ولم يكن مشغولا بقراءة كتاب أو مجلة أو تقرير. ولا ترفع ظهر كرسيك أو تنزله إلى الخلف بصورة مستمرة تضايق جارك في الخلف. وإذا أصيب شخص بجانبك بالدوار أو الطرش فإن بإمكانك طلب المضيفة لمعالجة الموقف. ولكن ينبغي الاحتفاظ بهدوئك وإخفاء مضايقتك أو تقززك

والتخفيف من هول المشكلة. وعند هبوط الطائرة على الأرض، لا تندفع لأخذ امتعتك وإنزالها من الرفوف قبل وقوفها نهائيا في المكان المخصص للوقوف. وعند الهبوط يمكنك تبادل تحية الوداع مع من تعرفت عليه وتقديم التحية أو الشكر المقتضب لطاقم الطائرة والمضيفين عند بوابة الطائرة، وجنب المسافرين معك نتائج استعجالك واندفاعك عند الخروج.

في سيارات الأجرة (التكسيات):

تقف التكسيات في الغرب في طابور منتظم، ومن حق كل شخص أن يستقل سيارة الأجرة من خلال الطابور، وينعدم حقه في حرية اختيار السيارة التي يريدها. وهذا الأمر منطقي، لأن جميع سيارات الأجرة لابد أن تتوفر فيها كل مواصفات الجودة وترضي قبول الجميع. وفي الغالب فإن سيارات الأجرة في مدن الغرب تنظمها شركات ومؤسسات ولها كراشات ضخمة للصيانة والتفتيش، وغالبا ما تكون مزودة بأجهزة تليفون هوائية مرتبطة مباشرة مع الجهاز العصبي في المركز المسئول عن تنظيم حركتها. ولا يمكن لأي سيارة أجرة أن تعمل دون تفتيش دوري يمنع تعطلها فجأة وعليها راكب مرتبط بموعد سفر بالطائرة أو لديه اجتماع هام، لأن مثل هذا التعطل قد يعرض الشركة للمساءلة القانونية بالتعويض ويضر بسمعتها. وإذا تعطلت سيارة أجرة لعطب فني أو بسبب الصدام فإنك ستستقل سيارة أخرى ترسلها لك الشركة خلال وقت قصير.

وفي مواجهة هذا النظام الدقيق يراعى الناس مجموعة من الأصول والقواعد السهلة، وعلى رأسها التقيد بالأولوية واحترام حق الآخرين الذين سبقوك في انتظار الحصول على سيارة الأجرة، والامتناع عن التدخين في السيارة ما لم يسمح لك بذلك السائق. أما إذا كان في السيارة لوحة تطلب منك الامتناع عن التدخين فإن هذا الحق ملزم لك وللسائق. وأحيانا يصطحب الناس في الغرب كلابهم معهم، لكن هذا يتطلب الإذن والموافقة من سائق التكسي. وإذا كان معك أطفال أو مريض فعليك أن تحرص على نظافة السيارة، فهذه مسئوليتك، بخاصة إذا استفرغ المريض أو أحد الأطفال، فإن إزالة الوسخ يقع عليك مباشرة، وتصبح مسئولا عن دفع مبلغ كبير من المال مقابل إزالة الوسخ وتعطل السائق وسيارته. وإذا

كان التدخين مسموحا به، يجب عليك استخدام الطفاية لسهولة التخلص من رمادها. وفي معظم الدول الغربية لا يسمح بركوب الأشخاص في المقاعد الأمامية بجانب السائق لخطورتها أثناء الحوادث، ولا يسمح أيضا بركوب أكثر من ثلاثة أفراد لكل سيارة أجرة. لكن إذا كنت تستقل تكسيا لوحدك فإن أفضل مكان فيه هو المقعد الواقع في أقصى اليمين في المقعد الخلفي للسيارة.

وتقتضي التقاليد في الدول الغربية الاقتصار على تحية السائق عند صعود التكسي وتحديد المكان والعنوان المضبوط الذي تريد أن ينقلك إليه وعدم الدخول معه في أي حديث آخر. ولا تستغرب عند نهاية المسافة أن يطلب منك السائق أجرة إضافية عما سجله عداد المسافات مقابل الشنطات التي كانت معك، لأنها مطالبة مشروعة. بل وأكثر من ذلك تقتضي العادة أن تدفع بقشيشا للسائق لا يقل عن ٥٪ من المبلغ الإجمالي للأجرة.

الأداب العامة في الأجازات والنزهات

وسائل التسلية:

قضاء الأجازة هي المقابل الكامل للحرية التامة التي ينتظرها الناس سنة كاملة مليئة بالعمل والقيود والإلتزامات، هذه الأجازه التي تكتمل فيها حرية الإنسان ويتخلص خلالها من كل قيود العمل والتزاماته، ينبغي أولا أن لا تشكل عائقا أو مانعا لحريات الآخرين. حرية الإنسان أثناء أجازته في دول الغرب لا تعني أبدا أن يترك الإنسان لنفسه العنان ليعمل ما يريد، بل إنها ستخضعه لعدد من الالتزامات مشابهة لتلك التي ظلت تطارده في محل إقامته خلال العام. ولهذا فإن الناس في الحضارة الغربية ينتقلون أثناء أجازاتهم من تقاليد إلى أخرى ومن آداب المدنية إلى قواعد الحياة التي تقتضيها أماكن وأشكال أجازاتهم.

ويصعب تماما القول بأن الإنسان يتمتع بحرية تامة أثناء الأجازة، لكنه على الأقل يعيش أكثر انطلاقا في تصرفاته وتقل المضايقات التي تقيد سلوكه في ملبسه ومسكنه وتنقلاته بقدر المسافة التي تفصله عن موطنه الأصلي. في الواقع هناك من يعتقد أن الأجازة على البحر والسباحة على الشواطئ والتردد على أماكن التسلية والمنتزهات تعني التحلل من الآداب العامة والتخلص من قائمة طويلة ومنهكة من القيود والقيم الاجتماعية، فيسمح لنفسه أن يقضي أجازة تسيء إلى الآخرين وتجلب له المتاعب والسمعة السيئة بسبب عدم مراعاة آداب السلوك التي تقتضيها الأجازة. وهذا تفكير خاطئ لأن قواعد الحياة وآداب السلوك تتحكم في سلوك الإنسان في كل المناسبات وأينما كان.

حتى إذا قضيت أجازتك في وطنك أو في أي مكان في الوطن العربي، ستفرض كل منطقة وكل إقليم وكل قطر عليك منظومة صغيرة من التقاليد والعادات ذات المصدر الديني أو الشعبي، وستجد نفسك ملزماً باتباعها ومراعاتها دون إنذار أو إشعار سابق بوجودها. وأحيانا سيدفعك شعور داخلي إلى التردد بالقيام بسلوك معين وطرح عدد من الاستفسارات على الآخرين عما إذا كان من المسموح به التصوير في هذه المنطقة مثلا. وستجد نفسك متردداً في التحلل من زيك الوقور وارتداء الملابس الخفيفة وملاحظة ملابس الآخرين وأزياءهم. وربما تكون قد قمت سلفا بالاستفسار عما يمكن اقتناءه من أدوات وملابس

وملابس خفيفة لقضاء عطلتك في الاسكندرية أو في تونس أو اللاذقية أو الدار البيضاء أو الجزائر أو عدن وهي مدن ساحلية عربية تحكمها نفس التقاليد التي تخضع لها في مدينتك ومنزلك. ومع ذلك يلزمك قضاء الأجازة فيها اتباع تقاليد وقيم لا يمكنك التحلل منها، ناهيك عن قضاء أجازتك في البندقية أو نيس أو دوفيل أو أي شاطئ من شواطئ الأطلنطي أو الادرياتيك، لأن هناك آداب صارمة للسلوك تسير جنبا إلى جنبا مع إطار واسع للحريات الشخصية، ولا يفصل بين هذين الموضوعين إلا خيط رفيع وكل خروج عليه يعرضك لمشاكل كبيرة.

الأجازات والفنادق:

أول المهام التي ستواجهك عند قضاء أجازتك في دول الغرب والدول الصناعية بشكل عام، هي تأمين الفندق الذي يناسبك مع عائلتك أو أفراد اسرتك، سواءً من حيث الجودة والنوعية أو من حيث الإيجار، ولهذا سيمثل الحجز في الفندق الخطوة الأولى في هذا المضمار. وعند الوصول إلى الفندق تقضي التقاليد المتعارف عليها أن تحمل حقائبك وتتجه فورا إلى مكتب الإستقبال «ريسبشن»، وفي الفنادق الجيدة ستجد شخصاً عند مدخل الفندق يحمل حقائبك إلى موظف الاستقبال. وموظف الإستقبال هو الذي سيقوم بالإجراءات الخاصة بتسليمك الغرفة التي حجزتها، وسيخبرك عما إذا كان هناك غرفة فارغة في الفندق إذا لم تكن قد قمت بالحجز. وستجد نفسك في المواسم السياحية في الدول الغربية تنتقل من فندق إلى آخر بحثا عن غرفة مناسبة وما عليك في هذه الحالة إلا التحلي بالصبر وعدم إظهار تضايقك وانفعالك والقبول بالأمر الواقع. وستجد أن في الفنادق الفخمة فرصة أكبر للحصول على غرفة خالية دون حجز، لكنك ستضطر للتضحية بدفع إيجار مرتفع بشكل غير متناسب مع إيجار غرفة في فندق متواضع.

وبعد أن يقوم موظف الاستقبال بإجراءات التسجيل ومنحك مفتاح الغرفة فان شخصا سينقل حقائبك ويرشدك إلى غرفتك، وتقتضي العادات في معظم الدول الغربية إعطاء «بقشيش» لهذا الشخص. وعند دخولك الغرفة من الأفضل أن تتأكد أنها تتوافق مع رغباتك، وأن الأشياء التي تريدها كالتليفون أو الحمام أو التليفزيون متوفرة أم لا. لأن من

حقك أن تطرح الموضوع على المدير المسئول في الفندق بأسلوب مهذب. وإذا كان لديه غرفة أفضل وغير محجوزة فإنه سيعطيك الأولوية لشغلها أو سيطلب منك مهلة لتغيير غرفتك فيما بعد.

ومن القضايا التي يجب مراعاتها أثناء الاقامة في الفندق هي المحافظة على السكينة والهدوء وعدم غلق أبواب الغرف بقوة تزعج الآخرين، والحرص الدائم على تخفيض صوت الراديو او التليفزيون أو أي جهاز سمعي، لأن الصوت قد يضايق الساكنين في الغرف المجاورة. ومن حيث المبدأ لا تسمح الفنادق بإحضار أغذية من الخارج وتناولها في الغرف ومن باب أولى أن تحضير الطعام والطبخ ممنوع بصورة مطلقة لكنهم يتسامحون في تناول الفواكه أو البسكويت شريطة المحافظة على نظافة الغرف ورمي بقايا وفضلات المأكولات في صندوق الزبالة بكيس بلاستيكي أو بكيس من الورق. ومن واجبك أيضا تنظيم ثيابك وأمتعتك في الدواليب وعدم نشرها في كل مكان. وغسل الملابس بما في ذلك الملابس الداخلية ممنوع أيضا في الفنادق. وإذا أردت أن يقوم الفندق بتنظيفها فيجب أن تتأكد من المواعيد والمهلة اللازمة لتنظيفها وعودتها إليك قبل أن يحين موعد رحيلك من الفندق.

وقبل مغادرتك الفندق عليك أن تبلغ الإدارة في اليوم السابق لمغادرتك. ويخطط الغربيون باهتمام كبير لأجازتهم، ويبلغون الفنادق عند الحجز عن مدة الإقامة التي يريدون بقاءها في الفندق. وستجد في كثير من الأحوال وبخاصة في الفنادق الصغيرة أنك مطالب بمغادرة الفندق فور انتهاء مدة الحجز دون نقاش إذا كانت الغرفة قد حجزت لشخص آخر ولا توجد غرفه أخرى بديلة عنها.

وفي بعض الدول الأوروبية وبخاصة في الفنادق الصغيرة والفنادق التي تديرها عائلة يفرضون على النزلاء تناول إحدى الوجبتين الرئيسيتين في مطعم الفندق، وغالبا ما تكون وجبة العشاء وسيضيفون قيمة وجبة العشاء على أجور السكن سواء تناولت الوجبة أم لا وفي كثير من الحالات قد تكون وجبة الفطور اجبارية لكنهم لن يفاجئوك بهذا الموقف وسيبلغونك مسبقا بهذا النظام وما عليك إلا قبوله أو رفضه من البداية.

وعليك في الفندق أن تحافظ على سلامة الأثاث واحترام العاملين فيه وعدم إغراق الحمام بالمياه عند الاستحمام والحرص على استخدام الستارة الواقية فوق «البانيو» التي تمنع

تساقط مياه الحمام «الدوش» على الأرض. ولاتمسح أحذيتك بالستائر أو الملايات ولاتأخذ معك المناشف أو الطفايات أو أي شيء أخر، لأن حقوقك مقصورة على استئجارها وليس ملكيتها. وإذا أتلفت شيئا أو أحرقته بسبب تدخين سيجارتك، فاستعد دائما لدفع التعويض بدلا من إخفاءه والفرار من مواجهة الخطأ.

ويمكنك ببساطة تقديم الاعتذار وعرض التعويض أو شراء بديل عن الشيء الذي أتلفته.

اداب السلوك ووسائل التسلية الثقافية

يعتقد البعض أن وسائل التسلية والترويح الثقافي ليست إلا ظاهرة مقصورة على المجتمعات الصناعية والتكنولوجية، حيث يعمل أغلب السكان في قطاع الخدمات والإنتاج ويسيطر على الناس الحساب الدقيق للزمن، والاهتمام بالقيمة العالية للوقت المخصص للراحة والاستمتاع بوسائل التسلية الثقافية. وهناك من يعتقد أن استغلال أوقات الفراغ للاستمتاع بوسائل التسلية المتاحة هي فكرة معروفة في كل العصور وفي جميع الحضارات. ومع ذلك فإن فكرة استغلال أوقات الفراغ استغلالاً ممتعا وذو طبيعة خاصة ومتميزة لا توجد في مجتمعات ما قبل الصناعة، لأن غالبية السكان تعمل في الزراعة حيث يقل الاهتمام بعنصر الزمن وقيمته وتقل وسائل التسلية أو تنعدم. هذا مع تسليمنا أن هناك وقت فراغ خارج وقت العمل في المجتمع الزراعي، لكن هذا الوقت واسع وليس له نفس ملامح وقسمات ووسائل قضاء وقت الفراغ في دول الحضارة الصناعية كالنزهات والبلاجات والسينما والأوبرا والمسرح وغير ذلك.

وحتى لا نستغرق في تأمل عميق لخصائص المجتمع ما قبل الصناعي والمجتمع الصناعي والمجتمع ما بعد الصناعي، نعود للتركيز على هدفنا الرئيسي وهو آداب السلوك أثناء قضاء وقت الراحة في المجتمعات الغربية. فالناس مثلا يذهبون إلى المسارح ودور السينما جماعات وأفرادا، ولكن كل شخص وكل جماعة تجتهد أن لا تضايق الآخرين. والمرأة حرة مثلها مثل الرجل، لكن المرأة المهذبة تحاول أن تتجنب العناق أو القيام بحركات مبتذلة مع زوجها أو خطيبها، لأن أي سلوك مثل هذا يدفع المجتمع إلى إصدار احكام قاسية على هؤلاء المبالغين في ممارسة الحرية الشخصية. وملابس الفتيات والنساء والشباب محتشمة، رغم أن قواعد السياحه تسمح لهم بالخروج عن قواعد الحشمة التقليدية إلى حد بعيد. لكن المراقب اللبيب لن يندهش عندما يجد النساء والفتيات في دول الغرب وقد ارتدين الملابس المحتشمة الكاملة عند الذهاب لقضاء السهرة في المسرح أو الاوبرا وحتى عند الذهاب للمطاعم والمراقص. ومن هذا المنطلق تقتضي بعض هذه الأماكن الخاصة بالتسلية وقضاء الوقت الممتع والمفيد أن يرتدي الرجال ملابس سهرة كاملة بمافيها الكرفتة أو البابيون، وسيلاحظ المرء أن المرأة المهذبة والمثقفة هي التي تستخدم الحد الأدنى من مساحيق الوجه، فتحافظ على وقارها

وتنأى بنفسها عن أن تكون مركزاً لجذب انتباه الآخرين. وسنحاول الآن أن نناقش المظاهر الخاصة لآداب السلوك في أهم وسائل التسلية الثقافية وقضاء الوقت الممتع.

السينما:

يجد المرء في السينما نفسه محكوماً بمنظومة من الآداب التي ينبغي التقيد بها في الأماكن العامة بصورة عامة، وأهمها المحافظة على الوقار واحترام الآخرين. وأول خطوة صحيحة في هذا السلوك هي عدم اللجوء إلى أي شكل من أشكال الاحتيال على طوابير حجز تذاكر السينما، وفي بعض الدول الأوروبية وبخاصة فرنسا، على الشخص أن يدفع مبلغاً بسيطاً من المال وقدره فرنك فرنسي للمرشده التي تستقبل مرتادي السينما عند الباب وتدلهم على أماكن جلوسهم وتقطع جزءاً من التذكرة كإجراء لتوقي عدم استعمالها مرة أخرى. وفي الغالب فإن هذا المبلغ البسيط «فرنك فرنسي» هو حق للمرشدة وجزءا من إيرادها، وله شرعية تامة في فرنسا وبعض الدول الغربية الأخرى وليس مجرد بقشيش اختياري. ولهذا يعتبر التهرب والتخفي عن المرشده والجلوس في أي كرسي في الصالة دون علمها سلوكا معيبا وبعيدا عن آداب الشهامة والسلوك السليم.

وإذا كان مقعد الإنسان وسط صف من المتفرجين في الصالة، فإن على المرء أن يتجنب مضايقتهم بدخوله وخروجه بصورة متكررة من أمامهم. وإذا كان مضطراً للمرور فعليه أن لايتكرر وأن يتحرك في الممر الضيق أمام الأشخاص بأدب وبأسلوب خفيف وسريع. وإذا وصل المرء صالة السينما متأخرا، فعليه أن يأخذ مكانه وأن يمتنع عن الحديث مع مرافقيه، وأن لا يقوم بتحليل حوادث الفيلم أو انتقاده بصوت مسموع لأن هناك من لا يشاركه ذوقه ورؤيته الفنية.

ومع تسليمنا بأن إطار الحرية الشخصية في الغرب واسع جدا إلا أن سلوك أولئك الشباب الذين يستغلون الظلام في الصالة لوضع رؤوسهم على أكتاف بعضهم هو أمر مستهجن ويضايق الذين يقعدون خلفهم وبجانبهم. وينطبق على هذا المفهوم كل التصرفات المشينة كالمداعبة والغزل، لأن السينما هي إحدى الأماكن العامة كما سبق أن ذكرنا، ويجب أن لايخرج سلوك الناس فيها عن الآداب العامة.

ولأن السينما مكان للثقافة والتفكير والتأمل، إعتاد الناس في دول الغرب السكوت

التام والإصغاء للحوار الهام الذي يكمل ما تقدمه الصورة المتحركة من مضامين روائية وتعليمية مفيدة. ولذا يجب أن يتم إخراج بعض الأشياء من أكياس ورقية بهدوء. كما أن الأكل ممنوع بكل صورة باستثناء بعض الشوكلاتة والآيس كريم والمرطبات أثناء الاستراحة. ولا يتسامح الناس في دول الغرب بتناول اللب سواء في السينما أو الباص أو المقاهي، لأنها من العادات المتخلفة والمنقرضة.وفي كل حال يعتبر القيام بأي عمل يحدث صوتا أو صرصرة سلوكا منافيا لآداب السينما. وفي السينما لا يتنقل الناس من مكان إلى مكان آخر لتحية أصدقائهم ومعارفهم أثناء الاستراحة، بل يكتفون بالتحية الوقورة باليد من بعيد أو تحية بانحناءة خفيفة بالرأس وابتسامة.

المسرح:

من أقدم آداب السلوك التي فرضتها ثقافة المسرح الوصول طبقا للموعد المحدد، والوقت المثالي للحضور إلى المسرح هو قبل ١٥ دقيقة من رفع الستارة وبدء المسرحية. وما من شك أنه يوجد أحيانا ما يستدعي التأخير، ولهذا فإن السلوك السليم هو الإنتظار وقوفاً في مؤخرة الصالة حتى ينتهي المشهد الأول ثم التقدم نحو المقعد المخصص لك بعد ذلك. وربما تسمح الظروف أحيانا بالتقدم بوقار تام إلى المقعد المخصص لك إذا كان مكانه معروفا، والاعتذار بصوت خافت لأولئك الذين ستضطر للمشي أمامهم. وكانت العادة في الماضي أن يرتدي الرجال والنساء ثياب السهرة الأنيقة عندما يذهبون لقضاء أمسياتهم في المسرح، أما الآن، وبصورة متزايدة منذ الخمسينات، فقد تجاوزت أوروبا المسرح الكلاسيكي واجتاحت حضارة الغرب مدارس مسرحية لا حصر لها، كالمسرح الجديد والمسرح الحديث والمسرح المعاصر والمسرح الواقعي والمسارح الشعبية وبخاصة في الولايات المتحدة الامريكية. وقد أدى هذا التطور إلى جعل المسرح فعلا وسيلة من وسائل التثقيف الجماهيري وليس لمجرد التسلية وتمضية وقت ممتع. وكانت نتيجة هذا التطور تحلل الناس من تقاليد القيافة وارتداء البدلات وأزياء السهرة. ومع ذلك، ما زال حدٌ من العناية بالمظهر الشخصي وبالقيافة والملبس من الأمور التي يجب مراعاتها عند الذهاب إلى المسرح، لكن ينبغي الاستفسار عن نوعية المسرح الذي يود المرء الذهاب اليه. ففي ألمانيا وبريطانيا والنمسا وفرنسا وبعض الدول الأوروبيه الأخرى ما زالت بعض المسارح الراقية تقضي أن يرتدي

الزبائن ملابس السهرة أو بدلة مع الكرافتة كالحفلات الساهرة تماما بتمام.

ومن الآداب المرعية في هذا المضمار ما يلي:-

- ضرورة مراعاة خلع المعطف والمشمع الواقي من المطر والمظلة والقبعة لدى الشخص المسؤول عن ذلك في حجرة الثياب عند مدخل المسرح.

- وخلافا لمعظم الحالات، يدخل الرجل المسرح قبل المرأة وعليه أن يقدم التذاكر ويدفع البقشيش للمرشدة ويتم هذا حتى إذا كان مدعوا من سيدة أو مرافقة.

وعندما يمر أمام الكراسي عليه أن يعطي وجهه للقاعدين على الكراسي التي يمر أمامها وليس ظهره.

- وبعد ذلك فإن القاعده الذهبية من قواعد السلوك أثناء العرض المسرحي هي السكوت التام والامتناع عن التعليق أو إحداث أي صوت كان.

- وإذا كان من حقك أن تضحك أو تبكي أو تصفق، فإن عليك أن لا تضايق الآخرين.

- ويجب أن تتذكر دائما أن المبالغة في الإعجاب أو المبالغة في التعبير عنه عادة شرقية. ولذا فإن الاعتدال في التصفيق أو الضحك مؤشر على قوة الشخصية واحترامها وتوازنها.

الحفلات الموسيقية والأوبرا:

تعتبر الحفلات الموسيقية وحفلات الأوبرا من أكثر الانشطة الثقافية الترفيهية ارتباطا بالتقاليد الكلاسيكية في السلوك، وأهمها الحرص على ارتداء زي السهرة أو ما يسمى «بالاسموكنج» أو على الاقل جاكيت وكرفتة. ومع ذلك فإن حفلات موسيقية شعبية كحفلات الشباب وحفلات موسيقى «البوب» كلها مفتوحة لكل الأزياء، بل إن ارتداء البدلة «الاسموكنج» أو الكرفتة، في هذا النوع من الحفلات الموسيقية، أصبح مثيرا للسخرية.

وإذا كان الصراخ والهياج والموسيقى الصاخبة هي سمة حفلات موسيقى «البوب»

فإن الهدوء والسكينة في حفلات الموسيقى الكلاسيكية والأوبرا هو السلوك الذي لا يمكن التسامح فيه. وهذا يعني أن الشخص الذي لا يحب الموسيقى الكلاسيكية أو الأوبرا أن يمتنع أساسا عن حضور هذه الحفلات. وإذا تمكنت غريزة الفضول من السيطرة عليه، فإن عليه أن يعرف أنه لا يمكن أن ينهض من مقعده وينصرف من الصالة أثناء العزف أو الأداء الموسيقي. وبنفس الكيفيه إذا تأخر عن الحضور قبل بدء الحفل فعليه الانتظار حتى ينتهي المقطع الموسيقي لكي يغادر مقعده أو يتقدم للجلوس على المقعد المخصص له. وهكذا فإن من أهم قواعد السلوك هو الإنصات والسكوت والامتناع عن إحداث أي صوت لأي سبب كان، وكذا ارتداء زي السهرة أو جاكيت مع كرافتة على الأقل.

آداب السلوك في المحلات التجاري:

تعني الآداب العامة في المحلات التجارية نوعين متقابلين من السلوك والآداب. الأولى تلزم التاجر أو البائع في مواجهة الزبون، والأخرى هي مجموعة الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها الزبون.

- من جانب التاجر:

لابد من الإشارة إلى أن التطور الصناعي والإيقاع السريع لحياة الناس وأعمالهم وارتفاع معدل الاستهلاك قد أثر بشكل كبير على طبيعة علاقات العاملين في المحلات التجاريه بزبائنهم. فقد ضاق إطار اللطف مع الزبائن بل وتلاشى كلية في المحلات الكبيرة والسوبرماركت، حيث يتم تصنيف السلع بأنواعها وعيناتها وتكتب أسعارها بصورة واضحة عليها، وما على الزبون إلا اختيار ما يريد ووضعه في سلة أو عربة يدفعها أمامه، وسيمر عند خروجه من أمام العامل أو العاملة المسئولة عن محاسبته واستلام قيمة المشتريات. وفي هذا النوع من المحلات التجارية تنخفض الاتصالات الإنسانية بين الزبون والبائع إلى درجة الصد أحيانا. فقد يدخل زبون ويشتري ما يريد ويدفع قيمة السلع التي تظهر مسجلة بوضوح على الحاسبة الضخمة أمام الموظفة دون تبادل أي حديث اللهم كلمة «شكرا» يسمعها الزبون بعد الدفع.

ومع ذلك فما يزال في دول الغرب محلات تجارية كثيرة يعمل فيها عدد من الباعة والعمال والمرشدين وموظفي الاستعلامات. وفي الغالب يستقبلون الزبون بابتسامة خفيفة.

وإذا كانوا يتحدثون فلن يتركونك توزع نظراتك في حيرة على أجزاء المحل، وسيقطعون حديثهم الشخصي والاقتراب منك لمعرفة رغباتك. وبصورة عامة تعلم المحلات التجاريه موظفيها كيف يرشدونك للحصول على طلبك، إذا كان متوفرا لديهم، وكيف يقدمون لك المشورة، وكيف يقنعوك بأدب جم ودون إلحاح بأن السلعة المعروضة جيدة أو أن البدلة الموجودة أمامك تناسبك، إذا كانت فعلا كذلك. إنهم يعرفون أن الزبون هو أدرى بما يريد. ولاتسمح المحلات التجارية لعمالها أن يعاملوا الزبائن بكبرياء أو بطباع جافة، إذا كان الزبون ثقيلا، ولن يلاحقونك بنظراتهم إذا خرجت ولم تشتر أي شيء.

من جانب الزبون:

إذا كان المحل التجاري صغيرا يتعود الناس البدء بإلقاء كلمة «صباح الخير» أو أية تحية. أما إذا كان المحل التجاري من طراز السوبر ماركت فإن التحيه لا تقدم لأحد إلا إذا كنت مضطرا للحديث مع موظف الاستعلامات. وفي المحلات التجارية الصغيرة ينبغي أن يحدد المرء طلبه وعدم ارهاق البائع او البائعة بإنزال كل السلع الموجودة في الرفوف ووضعها أمامك لمجرد التسلية والمشاهدة. ومن حقك في المحلات التجارية أن تشاهد وترى مختلف السلع وأن تخرج دون أن تشتري شيئا. ولكن حاذر أن تعبث في السلع أو تبعثرها، وإذا حدث ذلك فمن الواجب تقديم الإعتذار للبائع أو البائعة.

وبصورة عامه فإن البيع والشراء تعبير عن الإرادة العامة، وإذا اشتريت سلعة تكون قد عبرت عن إرادة مقنعة وسليمة. ولذا فإن من الأمور التي تعيب شخصية الإنسان أن يتراجع عن ما أعلنه بارادته وحريته واختياره السليم. وعليه فإن من الأمور غير المستحبة هو إعادة السلعة الى البائع بعد شرائها ومغادرة المحل التجاري، إلا إذا كان بها عيب من العيوب، أو إذا كان البائع قد غش الزبون أوخدعه في الثمن. ففي هذه الحالة من حقك إعادة السلعة وطلب رد الثمن بشكل حازم.

السلوك في المستشفيات :

يهمنا هنا حالتان من حالات التواجد في المستشفى، أولهما أن تكون زائرا لمريض والأخرى أن تكون مريضا.

وفي الحالة التي تكون فيها زائرا لمريض فإن من المتعارف عليه أن تحمل بعض الصحف والمجلات أو باقة من الورد أو الفواكه أو بعض البسكويت الممتاز. وفي هذه الحالة ينبغي أن يتجنب الزائر الزهور والورود ذات الرائحة القوية. وليس من المستحب تقديم إكليل من الزهور أو باقة كبيرة من الورود ملفتة للنظر، وكذا كل الهدايا الفخمة، لأنها في تقاليد الغرب تمس حساسية المرضى الآخرين. وهناك مجموعة من المقتضيات السلوكية أهمها ما يلي :

– عدم اصطحاب الأطفال.

– الالتزام بالمواعيد الخاصة بالزيارة.

– عدم مضايقة المريض بالزيارة الطويلة وبخاصة إذا كانت صحته لا تسمح بذلك .

– عدم إرهاق المريض وبخاصة في الحالات المرضية الصعبة بالأخبار المزعجة.

– إلتزام الهدوء التام والتحدث بصوت منخفض.

– إلقاء التحية على المريض أو المرضى الآخرين في نفس الغرفه بصوت خفيف، وبالإمكان الاستفسار عن صحتهم، ولكن دون إلحاح أو الدخول في تفاصيل.

أما بالنسبة للأدب الذي ينبغي أن يتحلى به المريض فإن حالة المرض التي يعاني منها هي التي تحدد نوعية السلوك الذي ينبغي أن يتحلى به. إذ ليس من المعقول أن يطلب أحد من شخص مصاب بحادث وكسور وجروح في أجزاء مختلفة من جسمه، يصرخ من الألم، أن يلتزم الهدوء والأدب في استدعاء الطبيب أو الممرضة. لكن إذا كان مرضه هينا أو أنه قد أصبح في حالة النقاهة فعليه أن يتجنب الضجيج والمبالغة في اطلاق التأوهات والأنين. ومن أهم واجباته عدم احتكار المستخدمين في المستشفى أو الاستئثار بالأطباء وإزعاج الممرضين بأتفه الطلبات. هذا بالإضافة إلى أن معظم الناس المعافين، باستثناء أقربائه وأعزائه، لا يحبون أن يقص عليهم المريض آلامه وأمراضه وعملياته الجراحية.

الأجازة في المخيمات:

تعرف الدول الغربية بل وكل الدول الصناعية ودول أوروبا الشرقية والعديد من الدول العربية السياحية نوعا طريفا من قضاء الأجازات في الهواء الطلق. حيث تقيم

البلديات والشركات ووكالات السياحة مخيمات تتوفر فيها الخدمات الرئيسية، كالحمامات وشبكة الكهرباء وبعض المطاعم الخفيفة، وتنصب فيها الخيام بأحجامها المختلفة. وفي الغالب تقام فيها بعض الشقق الصغيرة، وأحيانا يتم تخصيص بعض المناطق الخالية وتؤجر للناس وللعائلات لإقامة خيامهم عليها لقضاء عطلاتهم في الهواء الطلق.

ويوجد في الواقع عشاق لهذا النوع من الأجازات، كما أن البعض وبخاصة الشباب وذوي الدخول المحدودة لا يوجد أمامهم غير هذا النوع من الأجازات، وفي هذا الإطار ينبغي مراعاة مجموعة من قواعد السلوك أهمها ما يلي :-

- إن أهم قاعدة للنجاح في هذا النوع من الأجازات هي حب الإنسان لهذا النوع من الحياة المشتركة التي لا يعرفها إلا القليلون في العالم العربي.
- تجنب إحداث الضجة والضوضاء مع مراعاة استخدام الأجهزة السمعية كالراديو والمسجلة في أدنى صوت ممكن.
- عدم الاستئثار بالخدمات المشتركة، أو تقليل فرص الآخرين في استخدامها، ومن أهم هذه الخدمات، المغاسل والحمامات والأراضي المخصصة للعب وغير ذلك.
- الحرص على الالتزام بضوابط الوقار والحشمة وتجنب كلما يؤذي الجيران في المخيم.
- احترام الأشياء الخاصة بالمخيمات الأخرى بما في ذلك الأرضية المحددة للمخيم.
- الإطلاع على أنظمة المخيم وقواعد الحياة فيه ومراعاة تطبيقها بالصورة التي تليق بالإنسان وبحضارته.

غير أن هناك نوع آخر من المخيمات الطبيعية في الأماكن الخالية والمهجورة وفي الجبال، وهذه المخيمات يقيمها بعض المغامرين أو الباحثين عن المعرفة والراغبين في النزهة. ويقل هذا النوع من المخيمات يوما بعد يوم. ومع ذلك يستلزم القيام بها الحصول على ترخيص من الجهات المختصة أو من مالك الأرض التي سيقام عليها المخيم، والامتناع عن إحداث أي تلف أو اضرار بالأرض، وتعويض كل ضرر يحدث على الأرض التي أقيم عليها مخيمهم.

الغداء في الهواء الطلق:

ثمة عادة مشهورة في مختلف أنحاء العالم. ومن المحتمل أنها قد ولت في الدول الصناعية بصورتها الحالية المعروفة باسم «بِكْنِكْ». لكنها في الواقع قديمة قدم ارتباط الإنسان بزراعة الأرض والعمل خارج المنزل. ومقتضى هذه العادة ببساطة، أن تتناول الأسرة أو مجموعة من الشباب أو الأصدقاء أو زملاء العمل والدراسة وجبة غذاء خفيفة على الهواء الطلق بالقرب من الأرض الخضراء أو فوق الجبال أو على شاطئ البحر.

ومن الأمور المتعارف عليها في هذا النوع من النزهات الاقتصار على حمل أقل وأخف ما يمكن من الأشياء والمواد الغذائية. ومن المضحك جدا أن يحمل أي شخص معه ثلاجة أو مائدة طعام، وقد خرج من بيته أساسا للاستمتاع بالهواء النقي وتناول وجبة خفيفة وناشفة.

ويعتبر من مقتضيات الأدب في هذا النوع من النزهات المحافظة على صحة البيئة في المكان الذي ستبقى فيه، فلا ترمي مخلفات الطعام أو صفائح المأكولات المحفوظة على الأرض. ومن مقتضيات الذوق الرفيع أيضا المحافظة على الأشجار والورود والزهور وكل شيء طبيعي وجميل ينتسب لذلك المكان الذي استقبلك.

وهناك ملاحظة هامة حول المكان المختار لتناول وجبة الغذاء على الهواء الطلق. ففي أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية لا يقيمون أماكن «للبكنك» بالقرب من طريق مزدحم بالسيارات فينقلب الهدف من الاستمتاع بالهواء الطلق إلى استنشاق للهواء الملوث بعادم السيارات والأليات. ولذا فإن خدمة الطرق الكبيرة «الهايواي» في دول الغرب، يصممون أماكن «للبكنك» بعيدة قليلا عن الطريق ويحيطونها بمجموعة من الأشجار الخضراء.

وفي جميع الأحوال، سواءَ أكانت وجبة غذاء في الهواء الطلق أثناء السفر في الطرقات الواسعة أو خارج مدينتك أو في غابة أو حديقة، فعليك مراعاة ما يلي :-

١ - المحافظة على نظافة المكان ورمي مخلفات الغذاء في السلة المخصصة لذلك.

٢ - عدم إزعاج الآخرين بالأجهزة السمعية كالراديو والمسجلة.

٣ - عدم الإضرار بالأشجار والمحيط البيئي بصورة عامة .

زيارة المتاحف والمعارض:

تعتبر المتاحف والمعارض المختلفة من أهم مظاهر الحياة الثقافية في دول الغرب. وبالرغم من كثرتها وتنوعها في عواصم تلك الدول إلاّ أنها تشكل أماكن يزدحم فيها المختصون والمهتمون والباحثون عن المعرفة الثقافية. ولهذا فإن هناك عدداً من مقتضيات السلوك والآداب العامة، يأتي على رأسها احترام هذه الأماكن بالتمسك بالوقار والهدوء والامتناع عن التعليق بأصوات عالية أو إظهار المعرفة والتبجح بسرد المعلومات والتعليقات السطحية. ويمكن تحديد أهم آداب السلوك بما يلي:–

- عدم الوقوف لمدة طويلة أمام أثر متحفي هام أو لوحة خاصة إذا كان هناك العديد من الزوار.
- عدم التحدث بصوت عال أو التعليق على اللوحات أو القطع الأثرية بصوت يضايق الآخرين. لأن المرء موجود هنا للرؤية والمشاهدة وليس للقيام بالنقاش الحاد المضايق للآخرين.
- إذا كان هناك ضرورة لتقديم بعض التفسيرات والشروح فلابد أن تتم بصوت منخفض. علما أنه من المتسامح فيه للعلماء والأساتذة المصحوبين ببعض طلاب العلم وكذا المرشدين السياحيين بإلقاء بيانات وتحليلات للمجموعات التي يقودونها بصوت مسموع بصورة كافية.
- ينبغي على الزوار عدم الانضمام إلى المجموعات العلمية أو السياحية والاستفادة من تفسير وتوضيح المرشدين المصاحبين لهم.
- عدم التباهي بما في بلادك من قطع فنية أو أثرية ومقارنتها بما تشاهده أمامك من لوحات أو قطع فنية أو أثرية أو محاولة التقليل من قيمتها الثقافية أو الازدراء بها.
- عدم لمس اللوحات والقطع الأثرية ومراعاة كل إجراءات السلامة والأمن وتجنب كل ما قد يضر بمحتويات المعارض والمتاحف.

السلوك في أماكن العبادة:

تعتبر أماكن العبادة في الدول الغربية، كالكنائس والمعابد، أماكن للزيارة والمعرفة الثقافية خلافا لممارسة العبادة. وفي حالة الزيارة العادية يلتزم الناس في الغرب بأعظم معاني الأدب والوقار والاحترام لهذه الأماكن المقدسة.

ولن تشاهد أبدا أحد يتكلم بصوت عال أو يدخل الكنيسة بملابس غير لائقة كالشورت للرجال والنساء أو الفساتين التي تكشف عن جزء من ظهر المرأة أو صدرها أوملابس الشواطئ. وعلى المرأة أن تغطي جسمها بالطو أو بأي رداء يخفي مفاتنها. ولن يسمح شاب لنفسه أن ينادي صديقه من بعيد أو أن يضحك. كما أن الزيارة المجردة ينبغي أن تتم في غير أوقات الصلاة. ويجب على أولئك الذين يضعون قبعات على رؤوسهم أن يرفعوها أثناء وجودهم في الكنيسة. وبصورة خاصة ليست أماكن العبادة أبداً أماكن لتناول الأطعمة وكل أنواع الأكل والشرب أو النوم والراحة. بل إنها مراكز للعبادة والتأمل الديني والروحي.

آداب المراسلات

تتم الرسالة طبعا بالكتابة، والكتابة هي أدق الفنون وأقدمها، فقد عرف المصريون القدماء الكتابة قبل أكثر من خمسة آلاف عام، أي منذ عام ٣١٠٠ قبل الميلاد. ومن المعروف أيضا أن السومريين هم أقدم الأمم التي عرفت الكتابة على الإطلاق، لكن المصريين سجلوا كتاباتهم على ورق البردي منذ فترة كبيرة قبل الميلاد، كما عرف الصينيون نوعا من الورق المتطور قبل قرن كامل من مولد السيد المسيح أيضا. وبالتأكيد فإن الفينيقيين والسبئيين واليونانيين واليابانيين قد عرفوا الكتابة قبل قرون عديدة من التاريخ الميلادي.

ويهمنا هنا الحديث عن الرسالة التي تعتبر واحدة من أهم وسائل الاتصال بين الناس، سواء أكان الهدف من الرسالة نقل مشاعر الصداقة أو الشكر أو لأهداف تجارية أو إدارية أو أي شيء آخر. وفي الواقع فإن حداً أدنى مطلوب من الأسلوب الكتابي واللغوي الذي يجب أن تحرر به الرسالة. وهذا لا يعني أبدا أن الرسالة ينبغي أن تكتب بأسلوب لغوي منمق، بل يكفي أن تكتب بلغة صحيحة وبخط مقروء سواء أكانت الكتابة بخط اليد أو بالآلة الكاتبة، لكن الناس قد تعارفوا أن الرسائل ذات الطابع الرسمي أو التجاري وكل الرسائل التي ليس لها طابع شخصي لا بد أن تحرر بالآلة الكاتبة أو بالكمبيوتر، وقد استهدفت العناية بالرسالة تسهيل قراءتها دون تعب أو ملل.

وما من شك أن الحافز على الكتابة وتحرير الرسائل قد ضعف كثيرا بسبب الإمكانيات الهائلة التي يوفرها جهاز التليفون كوسيلة للاتصالات بين الناس وبخاصة قدرته على نقل الانفعال والصوت بصورة مضمونة وفي أسرع وقت ممكن. ومع ذلك فإن التليفون في دول الغرب لا يمكن أن يكون بديلا عن رسائل العزاء أو التهاني الخاصة بالمناسبات والأعياد الدينية والتهاني المتعلقة بالنجاحات الخاصة في أي مجال من مجالات العمل، ناهيك عن المراسلات الهامة المتعلقة بالأعمال. بل إن هناك

مراسلات في مجال الأعمال ذات طابع قضائي أو إجرائي، وستجد في باريس ولندن كما في بغداد والقاهرة وصنعاء ودمشق كُتّاب عرض حال متخصصين في كتابة هذه الرسائل ذات الطابع الرسمي أو الإجرائي، لكنها الآن في طريقها إلى الإنقراض في عواصم الغرب، وقامت بدلا عنها مكاتب للخدمات القانونية وخدمات الأعمال التجارية وغير ذلك من الخدمات. كما تقدم الأجهزة الإدارية ومؤسسات الخدمات العامة إستمارات طلب يملأ المواطن بعض البيانات الهامة عليها وتقدم بدلا عن الرسائل.

ومهما تطورت المجتمعات لا يمكن الاستغناء عن الكتابة، لأن أخلاق الناس وعلاقاتهم وأنشطتهم لا يمكن أن تستغني عن تحرير الرسائل، لكن هناك تطورا كبيرا في أسلوب الكتابة وفي موضوعاتها، وأصبحت الرسالة صورة لشخصية محررها. ولا يعني هذا أن تحرير الرسالة يستدعي مهارة وموهبة خاصة لأن هذا سيجعل من تحرير الرسالة عملا مقصورا على عدد قليل من الأشخاص، لكنه يكفي أن يراعي محرر الرسالة الحد الأدنى من القواعد الخاصة بكتابة الرسالة.

شكل الرسالة وأسلوبها:

يجرنا الحديث عن شكل الرسالة إلى الحديث أولا عن الورق المختار للرسالة، حيث يميل الناس في الدول الغربية إلى الحرص على أن تكون أوراق الرسائل نمطية من حيث حجمها. ويستطيع المرء أن يلاحظ أن أوراق الرسائل لها حجم واحد تقريبا، كما أن نوعية الأوراق جيدة وممتازة. ويلاحظ المرء أيضا أن تلك الأوراق غير مخططة أو أن خطوطها غير ظاهرة بشكل بارز. وباستثناء الرسائل الرسمية ورسائل العزاء، تأخذ أوراق الرسائل مختلف الألوان الفاتحة. ومن المألوف جدا أن يبتدىء الناس بتخصيص الجزء الأعلى من يسار الرسالة لعنوان المرسل واسمه ورقم تليفونه، لكن النساء لا يضعن إلا عنوان العمل وتليفون العمل فقط.

ويراعى الناس في خطاباتهم أيضا نوعية الحبر ولا يختارون إلا اللونين الأسود والأزرق، لكن بعض الشباب في دول الغرب بدأو في استعمال أنواع مختلفة من الحبر تنسجم مع أنواع أخرى من الورق بصورة جديدة ومبتكرة. ومع ذلك فما زال

الأسلوب مقصورا على الرسائل بين الشباب، حتى أقلام الحبر الجاف لا تستخدم إلاّ في الرسائل الخاصة بالأصدقاء الحميمين.

أما من حيث الأسلوب الكتابي فإن من الأمور الغريبة أن الناس في الغرب لا يحبون أبدا بدء خطاباتهم بكلمة «أنا» إلا في الخطابات الرسمية. وغالبا ما يستخدمون أسلوبا كتابيا عاديا وطبيعيا ولكن بلغة صحيحة ليست اللغة الدارجة. وأعتقد أن الجمل الطويلة والمركبة تبعث على الملل كما في اللغة العربية سواء بسواء. وبصورة عامة يعكس أسلوب الرسالة شخصية كاتبها، كما أن كل شخص يخاطب الشخص الآخر برسالته بأسلوب يتناسب مع شخصية المرسل إليه ومستواه الثقافي مع التركيز دائما على تحديد النقاط الهامة للرسالة.

ومن الأمور التي ينبغي تجنبها شطب الكلمات أو تحشير الكتابة أو إضافة كلمات بين السطور. وفي جميع الرسائل ينبغي ترك هامش خال من الكتابة على يسار الرسالة مكون من ثلاثة سنتيمتر، ويحرص البعض وبخاصة في الرسائل على ترك حاشية أو هامش خال من الكتابة على جانبيها وفي أعلاها وأسفلها أيضا. ومن الأمور الملفتة للانتباه أن الرسالة الشخصية المحررة بخط اليد لها قيمة معنوية أكبر بكثير من الرسائل المحررة بالآلة الكاتبة. ولهذا يقوم البعض بكتابة تحية خاصة بخط يده أسفل الرسالة التي تم طباعتها بالآلة الكاتبة وبخاصة في رسائل العزاء. ويهتم الناس في دول الغرب عند كتابة الرسائل بوضع النقاط عند إنتهاء الجمل ووضع الفواصل من أجل جعل الرسالة أسهل قراءة وفهما.

الحاشية والتوقيع:

يكتب في أعلى الرسالة على اليمين عادة الناس تاريخ الرسالة، وبعد ترك حاشية أو هامش فارغ من أعلى الورقة بحدود ربع حجمها يبدأون الرسالة بإحدى الصيغ التالية... «السيد العزيز، أو الصديق العزيز، أو السيد فلان...» وتستطيع من خلال هذه الصيغ البسيطة تحديد طبيعة العلاقة أو الرابطة بينك وبين من تخاطبه في الرسالة. حتى إذا وجهت رسالتك إلى مسئول كبير أو وزير أو رئيس الجمهورية، فان مقتضيات الأدب والدبلوماسية لا تستدعي أكثر من كتابة السيد الوزير أو السيد

رئيس الجمهورية. لكن المساحة التي تمثل الحاشية أو الهامش الخالي من أعلى الرسالة وبين بداية الرسالة ينبغي أن يزداد حجمها لتعبر عن الاحترام البالغ. كما أن حجم الحاشية الخالي من الرسالة على اليسار يعبر عن الاحترام ايضا. ومن الأفضل كتابة كل فكرة أو موضوع في الرسالة في أربعة أو خمسة أسطر ثم البدء من أول السطر لعرض الفكرة الثانية. وينبغي أيضا كتابة الفقرة الأخيرة التي تحمل التحية والتقدير بفقرة جديدة تكتب من أول السطر. ونود هنا أن نسترعي انتباه القاريء إلى أن هناك صيغاً عديدة للتعبير عن التحية والاحترام، وأن هناك صيغاً خاصة بالأصدقاء وأخرى لغير الأصدقاء، وللمسئولين بمختلف مراتبهم وأخرى للنساء تتسم بالوقار والرصانة وأنه يجب التعرف على هذه الصيغ ومراعاتها بدقة عند تحرير الرسائل في كل لغة على حدة.

ومن الأمور التي يجب الانتباه إليها أن يكون التوقيع واضحا ومقروءاً بحيث يمكن للقاريء معرفة كاتب الرسالة. وإذا كان الشخص يرى فائدة من وضع توقيعه بحروف متشابكة فإن من الأفضل كتابة اسمه بالأحرف المقروءة تحت التوقيع. وفي الغرب يعتاد الناس على كتابة الأحرف الأولى من أسماءهم ويتبعونها بكتابة اللقب أو اسم العائلة وتختار النساء المتزوجات كتابة لقب الزوج أو اسم عائلته وليس لقب أو اسم عائلة أبيها.

أما بين الأصدقاء والأبناء فانهم يكتفون بكتابة الاسم الأول دون اسم العائلة.

وفي النادر قد يتذكر الإنسان شيئا ما يريد إضافته إلى الرسالة بعد تحريرها وتوقيعها. ومثل هذه الإضافة متسامح فيها، لكن كتابة أكثر من ملاحظة أو إضافة في أسفل الرسالة أو على حاشيتها أمر غير مقبول لأنه ينم عن الإهمال وعدم الاحترام ويستدعي إعادة كتابة الرسالة من جديد وإدراج الإضافات في صلب الرسالة.

جواب الرسالة:

تقتضي آداب الرسالة في الواقع، الإجابة عليها باسرع وقت ممكن. ويصدق المثال العربي القائل «لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد» وإذا تكومت الرسائل وتأخرت أو

أهملت وبخاصة بالنسبة للموظف فإنه قد يترتب على ذلك إهمال شئون الناس وتعرض مصالحهم للضياع. لأن لكل رسالة غرض وهدف يجب الإجابة عليه، كما أن ذلك الإهمال والتراكم قد يؤدي بتلك الرسائل إلى رفوف الحفظ وإلى صناديق الزبالة في أسوء الأحوال. وعليه فإن من قواعد الأدب ومن مقتضيات الشعور بالمسئولية الإجابة على الرسائل بأسرع وقت ممكن بعد استلامها.

ومن المسلم به أن بعض الرسائل قد تثير بعض ردود الفعل أو تطرح بعض الأراء والأفكار والأسئلة التي يصعب الرد عليها فورا. لكن الرسالة العادية تستحق الرد عليها خلال يومين من وصولها. أما رسائل الشكر أو الاعتذار أو العزاء أو التهاني فيجب الرد عليها خلال أربع وعشرين ساعة. وخلافا لذلك لا تقتضي الرسائل بين الأصدقاء أو بين أفراد العائلة مثل هذه المهلة القصيرة الخاصة بموعد الرد. كما إن الرسائل المتعلقة بالأعمال أو الرسائل الموجهة للأجهزة الإدارية قد تستدعي فترة من التركيز والتأمل والتفكير تستغرق عادة أسبوع واحد فقط. أما إذا كانت الرسالة تطرح قضايا معقدة وتحتاج إلى فترة طويلة للتشاور ووضع الحلول فإن من أخلاق العمل الإداري أن يقدم المسئول جوابا يحدد فيه موعدا لحل القضية مع اعتذارة لتأخير الرد.

رسائل الإبلاغ وكروت الزيارات:

توجد صور متعددة من البلاغات والإخطارات والإعلانات تحكمها مجموعة من القواعد والأعراف. ومن هذه الرسائل إعلانات الزواج والوفاة مثلا، وهي معروفة ومتداولة في دول الغرب. وتحرير هذه البلاغات يستدعي التقيد ببعض المعايير والصيغ، لكن السنوات الأخيرة شهدت ميلا في دول الغرب نحو الابتكار والتخلي ولو جزئيا عن شروط كتابة تلك البلاغات. ومع ذلك لا يزال محاولات الخروج عن الصيغ التقليدية للبلاغات المتعلقة بالوفاة أمرا غير مستحبا.

ويوجد أيضا نوع آخر من «الرسائل» يسمى كروت الزيارات، وهي عبارة عن أوراق صغيرة مستطيلة أو مربعة يتراوح طولها بين ١٤٠ و ١٤٨ مليمتر وعرضها ما بين ٩٠ و ١٠٠مليمتر تقريبا أو اكبر من ذلك أو أصغر قليلا. ولكونها من الورق

المقوى فإنها تحافظ على قوامها مدة طويلة، كما تحافظ على البيانات القليلة التي تكتب عليها، وهي اسم الشخص وعناوينه ورقم تليفونه، وإن شئت أيضا اضافة رقم الفاكسميل او التلكس وتليفون المكتب وبخاصة إذا كنت من رجال الدرلة المهمين أو من رجال الأعمال.

ولا تقتصر فائدة كروت•الزيارات على تبادل العناوين وبعض البيانات الهامة مع الأصدقاء الجدد، لكنها مفيدة أيضا لتقديم الدعوات في المناسبات الصغيرة أو للرد بالقبول أو الاعتذار عنها أو للتعبير عن التمنيات والأماني أو الشكر أو التهنئة، وتعليق تلك الكروت على باقة من الورد أو على الهدايا. وفي العادة يكتب الناس أسماءهم على الكارتات بحروف مكبرة ويذكرون فيها درجاتهم العلمية أو الإدارية والعناوين وأرقام التليفونات. ويلجأ بعض الناس الهامين إلى عمل نوعين أو ثلاثة أنواع من الكروت تختلف فيما تتضمنه من بيانات بحيث يستطيع المرء تقديم كارت فيه كامل البيانات بما في ذلك تليفون المنزل لصديق حميم أو لشخص يثق فيه بينما يعطي كارت آخر يحتوي على الاسم والوظيفة ورقم صندوق البريد لشخص لا تربطه به معرفة قوية.

وقد انتشر في العالم الغربي أيضا نوع آخر من كروت المناسبات الخاصة بالاعياد ويسمونها «كارت بوستال». وربما جاء أصل هذا التقليد من الدول الأنجلو سكسونية، ولا تستدعي هذه الكروت أكثر من اختيار كرت أو اكثر من الكروت التي تباع في الأسواق قبل مدة كافية من تاريخ هذه المناسبات. وتأتي في مقدمتها في دول الغرب كروت أعياد الميلاد ورأس السنة الميلادية، بالإضافة إلى أنواع متعددة من الكروت للاستعمال طول العام. وقد بدأ هذا النوع من الكروت في الانتشار في الدول العربية بمناسبة الأعياد الدينية الإسلامية.

وبالإضافة إلى ما يكتب من عبارات جميلة في هذه الكروت يستطيع مرسلها أن يكتب أيضا بعض العبارات الجميلة في مكان مناسب داخل الكارت وليس خارجه.

البرقية والفاكسميل والتلكس:

كان التلغراف الوسيلة الوحيدة من وسائل الاتصال المستعجلة، أما الآن فإن هناك وسائل أخرى للاتصال السريع كالتلكس والفاكسميل. ويستخدم التلغراف لنقل أخبار سارة أو محزنة أو لنقل التهاني أو الرثاء أو لتحديد موعد سفر أو وصول أو لقاء. كما يستعمل التلغراف والتلكس والفاكسميل لتسهيل الأعمال التجارية والإدارية بشكل واسع الآن، وبخاصة أن الفاكسميل ينقل الرسالة ذاتها حاملة خطوطها وتوقيعها والختم الرسمي عليها.

وتستدعي البرقية صياغة مختصرة جدا، والتلكس يستدعي أيضا مثل هذا الاختصار، لكن الفاكسميل يحمل وثائق ورسائل كاملة عبر الأثير. وتتضمن رسالة الفاكسميل على عكس البرقية والتلكس كل صيغ اللياقة والأدب كأي رسالة او وثيقة بل إن الفاكسميل عبارة عن صورة مرسلة عبر التلفون والأقمار الصناعية لأي وثيقة كانت.

آداب التليفون:

منذ مائة عام تقريبا والتليفون لا يزال وسيلة اتصال جذابة ومفيدة. لكنه بالإضافة إلى ذلك قد يكون أداة للإزعاج والقلق والضجر إذا أسيء استخدامه. حيث يستطيع أي شخص أن يعكر الهدوء والطمأنيه لأي شخص بالاتصال به بطريقة تخالف قواعد السلوك واللياقة الخاصة باستعمال التليفون. لقد أصبح التليفون جزءا من حياتنا ووسيلة يوميه هامه لاتصالاتنا واخبارنا ومعالجة أعمالنا وحل مشاكلنا، ولهذا فقد أدرك الناس ضرورة البحث عن قواعد تضمن احترام الآخرين عند استخدام هذا الجهاز الهام، خاصة أن هناك من الشباب والمراهقين والمنحرفين وعديمي الخلق من يجد في التليفون وسيلة لأذية الناس ومضايقتهم داخل منازلهم خاصة في ساعات متأخرة من الليل دون أن يتمكن هؤلاء من إنزال عقاب سريع بهم.

ومن جهة أخرى، لا تزال هذه الوسيلة الهامة من وسائل الإتصالات بين الناس تواجه سوء استعمال من قطاع كبير من الناس وبخاصة بعض النساء العاطلات

والمثرثرات. فقد وجد فيه البعض أداة بديلة للقاءات والزيارات التي يتبادل فيها الناس الأحاديث من كل نوع. ويمتد الحديث بينهم بواسطة التليفون وقتا طويلا. كما وجد فيه البعض وسيلة بديلة عن المراسلات وتغطية للكسل الذي يسيطر عليهم ومطية لضياع الوقت. وهذا يشكل خروجا على أول قاعدة من قواعد السلوك التي ينبغي مراعاتها. ومن المتعارف عليه أن مدة الاتصال التليفوني يجب أن لا تتجاوز في دول الغرب أكثر من دقيقتين بين الرجال وخمس دقائق بين النساء. لأن من آداب السلوك أيضا أن على مستقبل المكالمة التليفونية أن لا يقفل التليفون في وجه محدثه دون إنهاء الحديث والتعبير عن التحية والوداع. وعليه فإن من واجب المتحدث أن يكون لماحا ومختصراً قدر الإمكان، إلا إذا كان هناك صداقة قوية ويعرف أن ظروف الشخص الآخر ووقته يسمح بإطالة الحديث، أو أن هناك قبولاً مشتركاً على قراءة وثيقة قصيرة أو تلقين الشخص الآخر وثيقة تستحق كتابتها عن طريق التليفون. وفي جميع الأحوال فإن هذه الحالات نادرة جدا والإطالة في الحديث بالتليفون عادة يجب تجنبها وأن على طالب الحديث أن يهييء الجو لإنهاء المكالمة من جانبه وتقديم الوداع.

وفي العادة فإن أي شخص يطلب شخص آخر بالتليفون في دول الغرب يبدأ بالنداء بكلمة «ألو» ويبدأ بتقديم التحية كأن يقول مثلا «صباح الخير» ثم يسأل محدثه «هل هذا السيد فلان» وعندما يرد عليه الشخص الآخر بالإيجاب، عليه أن يبدأ بتوجيه التحية مجددا وتقديم إسمه فيقول مثلا «صباح الخير سيدي أو سيدتي أنا فلان بن فلان» هل يمكنني أن اتحدث مع السيد فلان؟ وإذا كان الشخص الذي أردت محادثته غير موجود فمن الأفضل أن تطلب موعدا مناسبا لمكالمته مرة أخرى، أو أن يستفهم أحد افراد أسرته عن الوقت المناسب لذلك. ولا تنسى أبدا أنك ستكون غريباً في بلاد الغرب وأن العلاقات بين الناس في تلك المجتمعات الواسعة لا تتم بالثقة السريعة. ولذا من الأفضل أن تخبر محدثك باسمك وبأسباب اتصالك وبالموعد الذي ستكرر فيه اتصالك.

وإذا كان الشخص المطلوب للحديث بالتليفون غير موجود فمن واجب الشخص الذي رد على التليفون أن يبلغ السائل بعدم وجوده بسرعة وبدون تردد. ومن المحبذ إعلام المتحدث بمواعيد عودته إلى منزله. وقد يصادف في الحالات النادرة

أن يكون المتحدث في التليفون ثقيل الضل ويريد تمطيط الحديث أو عدم إنهائه بسرعة بعد أن عرف عدم وجود الشخص الذي يريد الحديث معه وبخاصة إذا كان الشخص المجيب من النساء. وفي هذه الحالة من الواجب أن يكون المجيب، وبخاصة المرأة، حازما ويقدم الإعتذار ويقطع الحديث فورا ودون تردد. ومن الأمور غير المستحبة أن يتحدث المرء بصوت عال بالقرب من التليفون طالبا من الشخص الذي استقبل المكاملة الرد بأنه غير موجود ناسيا أن ميكرفون التليفون حساس جدا وقد يسمع المتحدث صوته ويؤذيه هذا التملص. ومن الأفضل في هذه الحالة إذا كان المرء مستعجلا أن يأخذ التليفون ويعتذر لمتحدثه بأنه مستعجل ويمنحه دقيقتين من وقته للحديث. ومن الأمور غير المستحبة أيضا أن ينتظر الشخص محدثه والتليفون معلق على أذنه عدة دقائق قبل وصوله. ومن الأفضل في حالات الانتظار الطويلة أن يعتذر المرء ويطلب عودة الاتصال بعد فترة محددة. وإذا كان مستقبل المكاملة سكرتير شخص أخر مشغول، فإن من الأدب إبلاغه بانشغاله.وعدم تركه مدة طويلة ينتظر على التليفون إلا إذا كان هو يفضل الانتظار على إعادة المكالمة بعد برهة أخرى. وإذا طلب شخص أخر مكالمة لك مع شخص ثالث فإن من الأدب عدم تركه فترة ينتظر مكالمتك بل ينبغي أن تبادر إلى الحديث معه فور رده على التليفون.

ومن القواعد السلوكية الجديرة بالاحترام عدم الاتصال بشخص في منزله بعد الساعة العاشرة مساء وقبل الساعة الثامنة أو التاسعة صباحا طبقا لمواعيد بدء العمل اليومي في كل دولة غربية، إلا إذا كان يربطك بالشخص الآخر علاقة أبوة أو بنوة أو أخوة أو صداقة أو قرابة متينة تسمح بذلك. وإذا كنت ضيفا على أحد في بيته فإن من الأدب الاقتصاد إلى أدنى حد في الاتصالات التليفونية وبخاصة الاتصالات إلى المحافظات وعدم الاتصال إلى الخارج إلا طبقا لنظام معروف في الغرب يعلن فيه موظف التليفون فورا بعد انتهاء المكالمة بالمدة التي استغرقها المتحدث في مكالمته الخارجية ومبلغ الرسم المحدد عليها. وفي هذه الحالة يقوم الضيف في الدول الغربية بدفع رسوم المكالمة بروح رياضية، ويقوم المضيف باستلام المبلغ دون أي حرج يذكر.

وإذا انقطعت المكالمة التليفونية لأي سبب من الأسباب فمن مقتضى اللياقة أن يقوم الشخص الذي قام بالاتصال التليفوني أولا بإعادة الإتصال مرة ثانية. كما ينبغي التذكير أن التليفون غير مستحب في دول الغرب للإبلاغ بدعوات الولائم أو أي نوع من أنواع الدعوات لتناول الطعام إلا إذا كانت بين الأقارب أو الأصدقاء الحميمين.

علاقات العمل الإداري وآدابه

عرفت البشرية منذ الآف السنين نظام الهرم الإداري والتسلسل الإداري، وكانت سلطة الملوك ومساعديهم مطلقة وتتسم بالهيمنة والتسلط. وكان على المرؤسين أن ينفذوا ويطيعوا الأوامر طاعة عمياء وأن لا يخرجوا عن الحدود المرسومة لهم. ومع الزمن تخلت الأنظمة الاستبدادية عن عروشها وأفسحت الطريق أمام أنظمة إدارية تسود فيها علاقات العمل المبنية على الديمقراطية واستهدفت الأجهزة الإدارية الكفاءه والسرعة والبساطة في أدائها لأعمالها، وتخلت أكثر فأكثر عن البيروقراطية والتعقيد الإداري والشكلية وكل الإجراءات الصورية.

سلوك القائد الإداري:

يعتبر القائد الإداري الآن في الدول المتطورة خبيرا فنيا أو إداريا يستطيع التشاور مع مساعديه ومرؤسيه وتحمل المسئولية في اتخاذ القرارات المتعلقة بعمله وإصدار التوجيهات الخاصة بحل المشاكل التي تعيق أهداف عمله. ولم يعد الآن في الدول المتقدمة من سبب لأن يظهر القائد الإداري علامات التفوق والتميز على مرؤسيه، لأن مستوى الكفاءة والمهارة لأي فني متخصص أو حتى لسكرتيرته يجعل العمل الذي تقوم به جوهريا ولا غنى عنه، بل إن القائد الإداري لا يستطيع القيام به. ومع ذلك فإن للرئيس الإداري صلاحية ضخمة في تقدير العمل وتقييم الأداء. ولهذا الوضع، فإن توجيهاته ينبغي أن تحظى بالإحترام من مختلف مراتب ومستويات الجهاز الإداري. ومن ناحية أخرى، فإن على رئيس الجهاز الإداري أن يحرص على أن تكون توجيهاته وأوامره مبنيه على الواقعية والوضوح والبساطه وأن لا تنطوي على أي شكل من أشكال التعجيز أو الإذلال أو العجرفة.

وفي المجتمعات المتقدمة يعطي الناس من الاهتمام والرعاية للتشريعات والأنظمة القانونية نفس القدر الذي يعطونه للتشريعات الاجتماعية وقواعد السلوك. فتحتل

آداب الحديث مكانة كبيرة في سلوك الرؤساء والمرؤسين. ولا يمكن تغيير ظروف العمل وشروطه بمجرد قرار إداري من رئيس المؤسسة إلاّ بعد مراجعة عقود العمل والنظام الإداري المعمول به. ويتقيد رجال الأعمال والقادة الإداريون بسلوك منضبط وصدوق إلى حد ما لكنه بعيد عن الدلال والمزح والهزر من جهة، وبعيد عن التعالي والعنجهية من جهة أخرى. وفي الواقع يجب أن يكون القائد الإداري قادرا على تقدير المحيط الثقافي والمستوى الخلقي لمرؤسية، ويستطيع تبعا لذلك أن يقوم بمعادلة صعبة يعمق من خلالها علاقات الود والألفة معهم، أو أن يزيد من حجم المسافة الفاصلة بينه وبين أولئك الذين لا يتمتعون بروح تعاونيه بناءه. ومهما كان البعد الخاص والمسافة التي يختارها القائد الإداري للروابط الشخصية بينه وبين بعض مرؤسية لا يعفيه ذلك أبدا من أن يكون حساسا وخلوقا وقادرا على تحقق التعاطف والتضامن مع مشاكل مرؤسيه. ولعل أعظم الإداريين هم الذين يستطيعون التوفيق بين مقتضيات الشكر والتهاني على نجاح مرؤسيهم وتقديم توجيهاتهم وأوامرهم وملاحظاتهم دون أن يجرحوا مشاعرهم، وأن لا يكونوا محبين للنقد الدائم للعمل المنجز. ومع ذلك فإن مقتضى التنافس والحرص على مواصلة التطور في الدول المتقدمة يعطي لرؤساء الأجهزة الإدارية، سواء في أجهزة الدولة أو في المؤسسات الخاصة، الحق في إلغاء عقود التوظيف أو الاستغناء عن الموظفين المهملين أو المتلاعبين أو غير الجادين، بالإضافة إلى سلسلة من الجزاءات الصارمة.

وعند وصول رئيس المؤسسة إلى عمله فإن من واجبه أن يرد صباح الخير على من يواجهه من موظفيه. كما أن من واجب القائد الإداري وبمحض مبادرته إذا اراد أن يمد يده أولا لمصافحة معاونيه ومرؤسيه. وبمعنى أخر ليس من واجب المرؤسين أن يمدوا أيديهم لتحية رئيسهم، بل يتركوا ذلك لمبادرة الرئيس ورغبته، وربما يكون تفسير هذا السلوك الغربي بين الرؤساء والمرؤسين هو رغبتهم في المحافظة على الأبعاد والمسافات في العلاقات بين الرؤساء والمرؤسين بحيث يحتفظ المرؤوس بكرامته، ولا يسقط رئيس العمل في جو من الدلال والألفة التي قد تفسد الوضع المثالي للعلاقات المنضبطة. ومع ذلك وبالرغم من رغبة بعض المسئولين الإداريين المحافظة على علاقات غير منفتحة مع مرؤسيهم فإن الأذكياء منهم لا يقبلون إدارة اجهزتهم ومؤسساتهم

كما تدار السجون أو الثكنات العسكرية. وهناك اتفاق في عصر الديمقراطية، أن الفوارق الاجتماعية والمادية وفوارق المراكز الإدارية ينبغي أن تزول وأن تختفي وأن تفسح مجالا كبيرا للوئام والحب والتفاهم. وإذا كانت الدقة والوضوح في اتخاذ القرارات من الصفات الهامه في القائد الإداري فإن الغموض والتردد يعتبران كالغضب وسرعة الانفعال من العيوب المخلة بقدرات المسئول الإداري وبشخصيته. كما أن الشكاء في الغير يخلق النميمة ويحطم المكانة الخاصة للمسئول الإداري في نظر مرؤسيه.

وأثناء الاجتماعات التي يرأسها رئيس المؤسسة فإن من أهم أسباب نجاح هذه الاجتماعات تحديد أهدافها ونظامها. فهناك اجتماعات تتعلق بالجانب المعنوي البحت، كالاجتماعات التي تتم بمناسبة إجراء ترقيات عامة أو بمناسبة المغادرة في مهمة طويلة أو بمناسبة الأعياد الدينية. وهناك اجتماعات تتعلق بمتابعة تنفيذ العمل الإداري والفني، وهذه الاجتماعات هي الجانب الأهم في حديثنا. ولعل من أهم قواعد السلوك المرعية في هذه الإجتماعات هو التنظيم وتحديد جدول عمل وتجنب الإطالة في الحديث والامتناع عن توجيه ملاحظات اللوم المرير والقارس. ومن الأفضل أن يكون رئيس الاجتماع جاداً وأن يحافظ على الروح الناقدة والرامية الى معالجة كل أوجه القصور والسلبيات بشجاعة وصراحة مع تجنب توجيه عبارات اللوم المريرة والقاسية كما ذكرنا من قبل. وإذا كان هناك ما يدعو للتعبير عن الشكر ومشاعر الرضى والامتنان فإن على القائد الإداري أن لا ينسى ذلك لأن له تأثير كبير على معنويات العاملين.

علاقات المرؤسين برؤسائهم:

تهب الآن على الدول الصناعية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية، رياح التجديد والتغيير في علاقات العمل بصورة عامة، وفي علاقات المرؤسين برؤسائهم بصورة خاصة. فقد أدت الرغبة في تحقيق المزيد من النجاح والتقدم والتفوق في حرب التنافس الضارية بين أجهزة الإنتاج والخدمات إلى المزيد من إطلاق الحوافز وإلغاء كل عوائق العمل بما في ذلك التسلسل الهرمي الذي يقوم عليه

تركيب الهياكل الإدارية. فبدلا من نظام علاقات العمل القائمة على العزلة والمسافات الطويلة التي تفصل بين الموظفين والمسئول الأول في الجهاز الإداري وبدلا من مراسيم الإحترام المفتعل، تسود اليوم علاقات الإخاء والود القائمة على البساطة والتواضع وبخاصة في مؤسسات الصحافة والإعلام والبنوك والتسويق والدعاية والتأمين... الخ. ومع ذلك فما زالت مؤسسات وهيئات وأجهزة إدارية تقوم على الأسس التقليدية في العلاقات بين موظفيها. لكن الأمر المكروه والمنفر أن يقبل موظف ما أن يكون ودودا ولطيفا مع رئيسه بينما يتعامل مع مرؤسيه بخشونه واضحة.

وفي كل الأحوال ما زالت كل المؤسسات الإدارية في الدول الصناعية تقتضي حدا من الأدب وأسلوبا خاصا في الحديث مع الرؤساء الإداريين بما في ذلك الكتابة والتليفون، لكن لم يعد من الضروري أبدا أن ينادي المرؤس رئيسه بعبارة سيدي المدير العام... الخ بل إن الاتجاه الآن يسير نحو تعميم المناداة بالاسم مباشرة.

السلوك بين زملاء العمل:

من الصحيح القول أن العلاقات بين الموظفين المتساوين تقريبا في مراتبهم الإدارية تقوم على المساواة والتعاون والتوازن، لأنه لا يوجد بين المتساوين ما يدعو للتميز وعدم المساواة. لكنه يوجد بالإضافة إلى ذلك عدد من قواعد السلوك التي ينبغي مراعاتها مع زملاء العمل، ويأتي في هذا الإطار حرص كل واحد على تجنب تصعيد الخلافات أو الشعور بالتنافس الهادم والضار بالعمل والحرص على تكريس الزمن المخصص للإنتاج وعدم إضاعته في سرد المشاكل العائلية والقصص التافهة. ويعرف الغربيون جيدا أن مكان العمل له قدسية تامة فيمنحونه الاحترام ويضبطون تصرفاتهم بوقار كبير، ويفصلون فصلا تاما بين حياتهم الخاصة وحياتهم المهنية والوظيفية. وبالرغم من أن العلاقات بين الشباب من الذكور والإناث يسودها جو من الإسفاف في ممارسة الحرية، إلاّ أنهم لا يخلطون بين الجد والهزل في أماكن العمل، وتسيطر على الجميع روح الجدية والمسئولية. وحتى إذا نشأت صداقات بين الشباب في مجال العمل فإنهم لا يملكون الحرية التي تمكنهم من تكريس جزء من وقت العمل

للقاءات والحديث والملاطفة إلاّ في الأوقات المألوفة كالاستراحة المخصصة لتناول الغداء أو المرطبات والقهوة.

وفي إطار العمل يتجنب زملاء العمل المتساوون في درجاتهم والذين ليس لهم حق الإشراف على بعضهم بعضا أن يتدخلوا في أعمال بعضهم، ويمتنعون أيضا عن تقديم النصح المجاني المربك، لأن الموظف يعتبر أعلم بواجبه وهو رمز لشخصيته وكرامته. وحق الإشراف لا يقر أبدا للجميع بل للرؤساء والموجهين. إلاّ اذا طلب موظف من زميله مشورته، فإن المشورة هنا واجبة إذا كان من يقدمها يعرف تقديم المشورة والمساعدة لزميله في حل المشكلة التي تواجهه. وعلينا أن نتذكر دائما أن معظم المشاكل التي تواجه الموظفين قد تنشأ من شعورهم أنهم حبيسوا أربعة جدران طوال ست أو سبع ساعات من العمل. الأمر الذي يجعل البعض يفقد أعصابه بسهوله ويخرجه من طباعه وأخلاقه وسجاياه. ولهذا، فإن من أهم صفات القائد الإداري والموظف الجيد الصبر وقوة التحمل وهدوء البال. ومن الأمور الحسنة عدم إظهار مشاعر التبرم والشكاء من ظروف العمل وتجنب المخاصمة والنزاع والجدل في القضايا التي لا تتعلق بالعمل. ومن النادر في دول الغرب إلقاء النكت أثناء العمل أو ممارسة المزح والهزر أو التعريض بكلمات ضد الآخرين بصورة مباشرة أوغير مباشرة.

وفي مكان العمل يحافظ الموظفين العاملين على سلامة مظهرهم وملابسهم، ويحرص المديرون ورؤساء المؤسسات في دول الغرب على ارتداء البدلات مع الكرفتات، وأحيانا يكتفون بارتداء الجاكت والتخلص من الكرفتات. ومن المتسامح فيه بين المهندسين والمعماريين والمشرفين على المصانع وكل الموظفين الصغار ارتداء بنطلونات من الخاكي أو المخمل أو بنطلونات «الجينز» على الطريقة الأمريكية. لكن المظهر التام يتوقف على ما يلبس فوق البنطلون من رداء، فقد يكون سترة أو بلوفر بحسب المكانة التي يريد الموظف أن يظهر بها.

وتتقيد النساء في دول الغرب بمظهر يتسم بالوقار والحشمة والامتناع عن ارتداء الثياب الذي تكشف عن الأذرع والصدر أو أي جزء من الجسم ما عدا الوجه،

مع الحرص أن يكون المكياج قليلاً وتسريحة الشعر مهذبة تضفي روح الوقار والأدب على المرأة العاملة.

الوعي المهني وحل المنازعات:

ليس من شك أن أول مقتضيات الوعي المهني بالنسبة للموظف والمستخدم هو أداء العمل والقيام بالواجبات على أكمل وجه في إطار من الحماسة والمعنويات العالية. ويعرف المجربون أن العمل المنقوص مدعاة للمشاكل ويعرض الموظف للتجريح، وهذا طبيعي لأن كل واحد لا يحب أن يقوم بالعمل الذي تخلى عنه غيره أو لم يكلمه الاّ للضرورات. ومع ذلك فإن معظم الأعمال التي تقوم بها الهيئات والأجهزة الإدارية لا ينجزها شخص واحد ولا يمكن إنجازها إلا بالتعاون بين عدد من الناس. ولهذا يجب أن تسود في المؤسسات والهيئات والإدارات ومراكز العمل روح الفريق الواحد والإيمان بالعمل الجماعي القائم على التعاون الخلاق والمبدع.

وفي جميع الأجهزة الإدارية، قد تثور المشاكل وتشتد المنازعات، وأسوأ ما يمكن القيام به في هذه الأحوال هو محاولة البعض استغلال هذه المشاكل والمنازعات للقيام بدور نقابي، أو تشكيل لجان بين الموظفين، أو القيام بدور المرشد والمصلح الاجتماعي، وهي وسائل عادة ما تزيد الطين بلة وتسعى لزيادة التوتر وتعقيد المشاكل وإقامة مرتكزات وتقوية السلطات الشخصية للبعض على حساب النظام والقانون ومعايير الإدارة وضوابط العمل. وفي الواقع، فإن لكل موظف مهامه ولكل مستخدم اختصاصه. وعند حدوث المشاكل فإن من مقتضيات السلوك الوظيفي الخلاق أن يعود الموظف إلى رؤسائه وأن ينصت إلى تعليماتهم وارشاداتهم. هذا مع العلم أن هناك وسائل قانونية واشرافية للوقوف ضد نزعات التسلط والعجرفة وكل محاولات إذلال الموظفين، وذلك بالرجوع أولا إلى السلطات العليا ثم اللجوء إلى الإجراءات الاستثنائية كالاضراب عن العمل أو حتى الاعتصام.

وفي معظم الدول الغربية لا يعترف بالنظام النقابي إلا في المؤسسات الإنتاجية ومؤسسات الخدمات الجماهيرية، كالنقل والصحافة والبنوك، أما الأجهزة الإدارية التي تنظمها قوانين الخدمة المدنية والقانون العام فإن دور النقابات غير معروف. ومع

ذلك، توجد لجان خاصة بفض المنازعات بين الرؤساء والمرؤسين، لكنه لا يمكن الرجوع إليها إلا بعد أن يعجز القادة الإداريون على حل الخلافات والمنازعات. والسبب في هذا القيد الأساسي هو أن أجهزة الدولة الرسمية ليست مكرسة لخدمة شخص أو أشخاص بل لخدمة الدولة بمفهومها الواسع وهي الأرض والمواطن والدولة. كما أن أهداف الإدارة العامة وفلسفتها لا تقوم على الربح وتحقيق أعلى هامش منه بين نفقاتها ومصروفاتها، بل أن هناك هيئات مكرسة لخدمة الجمهور مجانا كالتعليم والصحة العامة وأجهزة الأمن والدفاع عن الوطن وغير ذلك. وهكذا فإن الخلاف بين مراتب العمل الإداري يجب أن لا تحل بالإدانات أو المواقف العدائية أو المعارضة الدائمة، بل بالتحلي بروح الوفاق والتعاون والاعتراف المتبادل بحق الجميع في العمل وفي اختصاصات محددة وبالعمل الجماعي الموصل إلى النجاح وبحق القادة الإداريين في الاشراف وتوجيه العمل.

الخاتمة

الإسلام وآداب السلوك

استعرضنا في هذا الكتاب مجموعة القواعد والتقاليد الأساسية التي تحكم علاقات الناس وآدابهم تجاه بعضهم بعضا في المجتمعات الغربية، بل وفي كل الدول الصناعية في النصف الشمالي من الأرض. ولقد استهدفنا، كما سبق ذكره، مجرد تسليط الضوء على سلوكيات الناس في تلك الحضارة، وسيدرك القارىء أننا لا نروج لها ولكننا ندعو إلى فهمها أولا ثم العمل على استلهام واقتباس ما يتناسب مع حضارتنا العربية الإسلامية ولا يتعارض معها. ومن المفيد أن نستعرض هنا بصورة سريعة ومختصرة لجانب من تلك المبادىء الخلقية والسلوكية التي أكد عليها الدين الإسلامي الحنيف لتوجيه أخلاق الناس وضبط علاقاتهم على أسس قويمة، فقد قال رسول الله ﷺ: «إن الله بعثني لأتمم مكارم الأخلاق ومحاسن الأفعال». وقال ايضا: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» هذا بالإضافة إلى أن الحضارة العربية الإسلامية قد طورت مدونة رائعة من آداب السلوك وعلاقات العمل ضمت كل جوانب النشاط البشري. لكن فترة الانحطاط الحضاري قد قضت على الفضيلة والعلم والمعرفة ومبادىء الخلق الكريم.

كان المجتمع العربي في عهد الرسول وفي العصر الذهبي للإسلام يعرف معنى الحديث الشريف الذي يقول:«إن أحب عباد الله الى الله تعالى أحسنهم خلقا» و«اكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا» وكان للناس في رسول الله ﷺ أسوة حسنة. ونجد في القرآن الكريم والحديث الشريف تلك المدونة الواسعة من الأحكام الخلقية وآداب السلوك. فقد أوصى الله بالصدق في مناسبات كثيرة في كتابه الكريم، ومنها

«إتقوا الله وكونوا مع الصادقين» كما نهى عن الغيبة والنميمة وكلام السوء في آيات كثيرة وأحاديث متكررة فقد روى البخاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قوله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت» وفي الحديث الذي رواه الترمذي قال: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة».

لقد استهدف الدين الإسلامي تكريم بني آدم وتفضيلهم على غيرهم من المخلوقات، ولهذا فقد جاء في محكم كتابه الكريم: ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾. كما حض رسول الله ﷺ على الأمانة وقال: «لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له»، وفي الوفاء بالعهود والوعود أنزل الله في محكم كتابه آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا﴾. كما حض على التعاون في محكم كتابه تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾.

وعني الإسلام عناية كامله بآداب الحديث والنقاش فقال في محكم كتابه: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس، ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما﴾. وفي سورة الرحمن يقول الله تعالى: ﴿الرحمن علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان*﴾. وفي الحديث الشريف: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه». وتقول الحكمه العربية القديمة: «من كثر لغطه كثر غلطه» وجاء في محكم كتاب الله تعالى: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما..﴾ كما لخص رسول الله ﷺ آداب الطريق بأنها: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر». وفي الدعوة إلى الحلم وتجنب الغضب وكظم الغيظ وعد الله بالجنة للمتقين، ﴿الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾. ومن أهم مظاهر الخلق الكريم وكظم الغيظ العفو عن المسيىء. فقد قال الله سبحانه وتعالى مخاطبا خاتم الأنبياء والمرسلين: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾. كما حض الدين الإسلامي الحنيف على الصبر باعتباره من أهم الصفات العظيمة في الإنسان. فجاء

في محكم كتاب الله تعالى: ﴿وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾. كما اعتبر الله النصح والتواصي بالصبر كالنصح بالحق سواء بسواء. فقال سبحانه وتعالى: ﴿وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾.

وقد عني الإسلام بذات الإنسان وشخصيته ومظهره فحض على الطهارة ونظافة الجسم ونظافة الأسنان، كما أكد على أهمية المحافظة على النظافة وحسن المظهر وصحة الجسم والعقل، فقد قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين أمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا..﴾ وفي الحديث الشريف أيضا: «تخللوا فإنه نظافة، والنظافة تدعوا إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنة». وفي حديث آخر رواه مسلم «غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم، وسواك ويمس من الطيب» وفي حديث رواه ابن ماجة قال: قال ﷺ: «تسوكوا، فإن السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب...» ويقول الله تعالى: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ وفي حديث عن رسول الله ﷺ رواه مسلم قال: «إن الله تعالى جميل يحب الجمال».

وفي المحافظة على نظافة الشوارع والطرقات روى الطبراني عن رسول الله ﷺ قوله «من أذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم» وفي روايه للبيهقي: «من سل سخيمته على طريق من طرق المسلمين فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». وفي تكريم العقل والحض على العلم قال تعالى: ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾. وجاء في سورة الزمر ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ إنما يتذكر أولوا الألباب﴾. وقال رسول الله ﷺ: «فضل العلم خير من فضل العبادة». وروى ابن ماجة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يا أبا ذر لأن تغدو فتعلم أية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة. ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل به خير لك من أن تصلي ألف ركعة». وأكد الدين الإسلامي على الرأفه والرقة وتجنب القسوة، فقد روى الترمذي في الحديث: «.. إن أبعد الناس من الله تعالى القاسي القلب». كما خاطب الله تعالى نبيه قائلا: (فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك). وهناك ضوابط رائعة للعلاقات بين الناس منها

حديث بن داود الذي يقول: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم إلى من يخالل». وروى الترمذي عن رسول الله ﷺ قال: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم». ويقول المثل العربي القديم: «رب أخ لك لم تلده أمك». وعند القطيعة بين الناس أو الطلاق بين الأزواج قال الله تعالى: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير﴾. كما نهى الله تعالى عن السخرية بالآخرين أو الإزدراء بهم فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن﴾. ودعانا الله سبحانه وتعالى أيضا إلى الإخاء والتضامن والعدل والمساواة، فقال في محكم كتابه الكريم: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى * وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا * إن أكرمكم عند الله اتقاكم * إن الله عليم خبير﴾. وقال أيضا: ﴿إنما المؤمنون أخوة فاصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾.

كما حض الدين الإسلامي على التواضع والوقار والحياء وكل القيم الأدبية والخلقية، فقد روى ابن احمد عن رسول الله ﷺ قال: «الحياء من الإيمان والإيمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار». كما روى ابن مالك عن رسول الله ﷺ قال: «إن لكل دين خلقا، وخلق الإسلام الحياء».

وبهذه الأمثلة السريعة يتضح لنا مدى اهتمام الدين الإسلامي بالأخلاق وآداب السلوك تأكيدا للرابطة القوية بين العبادات والخلق والعمل وتأكيدا لقول الرسول ﷺ: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

والله الموفق ...

آداب السلوك في المجتمعات الغربية

أجد من المفيد أن أشير هنا إلى أن الحافز لتقديم هذا الدليل الاجتماعي والنفسي ينبع من النتائج المرة للتنافر والصدام بين سلوك الإنسان العربي وتصرفاته اليومية، وبين سلوك الناس في الدول الغربية. فقد كنت شاهدا على مدى عدة سنوات، أن حالة سوء الفهم لقواعد السلوك في الحضارة الغربية تشكل في أحوال كثيرة، سببا في الفشل الذي يواجهه العربي في أدائه لمهامه العلمية أو التجارية أو الرسمية هناك. وكان سوء الفهم لعادات الغرب وتقاليده سببا في عدم قدرة البعض على تحقيق التكيف المطلوب مع قواعد الحياة الاجتماعية وإدراك الفوارق الرئيسية بين القيم الثقافية والحضارية التي تضبط سلوك الناس وتصرفاتهم في أوروبا الغربية وأمريكا ودول شرق أوروبا أيضا. كما أن الجهل بقواعد السلوك في الغرب هو أحد الأسباب الرئيسية في الاستهجان والسخرية من الإنسان العربي، أضف إلى ذلك تراكمات من الأحقاد الطويلة الناتجة عن الفتوحات الإسلامية في أوروبا ثم الحروب الصليبية التي شكلت بداية الانتقام التاريخي العنيف الذي تمكن فيه الغرب من اخضاع العالم العربي والإسلامي. وفوق هذا، وأخطر من هذا كله، تلك الدعاية الصهيونية التي تحاول استعداء الرأي العام الغربي ضد العرب واستغلال عدم فهمهم للتقاليد وآداب السلوك في الدول الغربية وتصوير سلوكهم بالبربرية والهمجية وخشونة الطباع والجمود والتخلف.

« المؤلف »

الناشر : دار الشروق للنشر والتوزيع
عمان – الأردن
التوزيع : المركز العربي للمطبوعات
بيروت – لبنان

تصميم الغلاف: محمد نصرالله